

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسية بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الطور الثالث LMD

الشعبة : علم الاجتماع
التخصص : علم الاجتماع الانحراف والجريمة

عنف اللّغة من خلال الكتابات الحائطية

دراسة ميدانية بولاية الشلف

من إعداد

مصطفى بحر محمد

المناقشة بتاريخ 2024/11/17 من طرف اللجنة المكونة من:

رئيسا

مشرفا ومقررا

ممتحنا

ممتحنا

ممتحنا

ممتحنا

جامعة الشلف

جامعة الشلف

جامعة الشلف

جامعة الشلف

جامعة مستغانم

جامعة وهران 02

أستاذ التعليم العالي

أستاذ التعليم العالي

محاضر أ

محاضر أ

أستاذ التعليم العالي

أستاذ التعليم العالي

أ.د. ضامر وليد عبد الرحمان

أ.د.زيان محمد

د. ميمون محمد

د.لعاقل محمد

أ.د. مرقومة منصور

أ.د. مروفل مختار

السنة الجامعية: 2024/2023

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع.

عرفانا منا بالجميل والشكر الجزيل للأستاذ المشرف أ.د. زيان محمد على قبوله الإشراف على هذا العمل منذ أن كان فكرة وعلى نصائحه وتوجيهاته، فجزاه الله عنا كل خير.

كما نخص بالشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة وفرقة التكوين في الدكتوراه.

إهداء

إلى والدي الكريمين أطال الله عمرهما
وحفظهما.

إلى عائلتي الصغيرة ...

إلى رفاقي القلائل، كنتم سندا معنويا قويا في
طريقي هذا.

إلى كل معلم وأستاذ تعلمت منه

إلى الجزائر .. هذا البلد العزيز

محمد

مقدمة

تشكل ظاهرة «**عنف اللغة**» واحدة من الجوانب الشائكة في التفاعل الاجتماعي ضمن المجتمعات المعاصرة، ومع تزايد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة، أصبحت الكتابات الحائطية تشكل جزءاً أساسياً من هذه الظاهرة، حيث تعبر عن مشاعر وآراء الأفراد بشكل مباشر وعلني. ومع ذلك، يمكن أن يكون استخدام اللغة في هذه السياقات عدائياً أو مسيئاً، مما يؤدي إلى تعميق الانقسامات الاجتماعية وزيادة حالات الجريمة والانحراف.

تعتبر ظاهرة الانحراف والجريمة عن كل سلوك يخرج عن القواعد والمعايير المعتادة في المجتمع، حيث يتم تجريم بعض هذه السلوكيات وتصنيفها ضمن الجريمة، بينما يعتبر بعضها الآخر انحرافاً فقط دون توجيه عقوبات قانونية لها، إذ يتداخل سوسيولوجيا الانحراف والجريمة مع القانون في معالجة دوره الاجتماعي في تنظيم سلوك الأفراد، من خلال تحديد قواعد الضبط الاجتماعي وتنظيم السلوك، وتطبيق العقوبات والجزاءات على الأفعال التي تنحرف عن الأطر التي يحددها القانون في المجتمع.

تهتم سوسيولوجيا الجريمة والانحراف بمحاولة إيجاد الطرق والوسائل التي تساعد الأفراد على التوافق مع المجتمع، من خلال تكامل قيم الأفراد مع قيم المجتمع، التي تكون بمثابة المثل العليا التي توجه سلوك الأفراد، وتعمل كمحركات للاختيار والتفضيل السلوكي في المواقف الاجتماعية المختلفة. كما تساعد الفرد على إتباع توجيهات القيم الثقافية والاجتماعية، والعمل بطريقة غير متعارضة معها. والعكس صحيح، فإذا تعارضت قيم الفرد وقيم المجتمع، فإنه سيعمل بطرق تتنافى مع المنظومة الاجتماعية لمجتمعه.

يأتي هذا البحث في إطار تخصص جريمة وانحراف، يهدف إلى فهم عمق وطبيعة **عنف اللغة** من خلال الكتابات الحائطية في ولاية الشلف، وتبرز أهميته من خلال دراسة تأثير الكتابات

الحائطية في تشكيل الوعي الجماعي وتأثيرها في زيادة حالات الجريمة والانحراف في المجتمع، إذ تتنوع الموضوعات والإشكاليات التي تطرح نفسها على الباحث السوسيولوجي، نظرًا لأهميتها وتداولها وحضورها في حياتنا اليومية، حيث تسعى سوسيولوجيا الجريمة والانحراف، لفهم أسباب السلوك الإجرامي والانحرافي وتحليله، من خلال دراسة اقتفاف الأفراد لهذه الممارسات والعوامل التي تدفعهم إليها. كما يركز كذلك على التعامل مع المعايير الاجتماعية المشروعة وغير المشروعة داخل المجتمع، وتأثير العمليات الاجتماعية الكبرى مثل: التحضر في تشكيل سلوك الانحراف والجريمة.

يتم ترسيخ مختلف السلوكيات والأنشطة الإنسانية التي يتبناها الأفراد داخل المجتمع، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، إذ يقوم المجتمع بوضع معايير وضوابط للأفراد بهدف تنشئتهم في فضاءات متعددة، بما في ذلك الفضاء الحضري والمديني، حيث تنشط ممارسات متعددة، بما في ذلك الكتابة الحائطية، التي تُعتبر من «الممارسات التي تأخذ نصيبًا كبيرًا على مستوى التجلي والحضور الدائم، فهي في حد ذاتها تمثل تجاوزًا للقواعد الاجتماعية والأخلاقية، وتعتبر خرقًا للقانون بسبب دورها كضابط اجتماعي للأفراد».

إن تنوع ممارسات التخريب والتشويه والعبث بممتلكات الآخرين، وإشهار العبارات التي تندرج ضمن المحظورات الاجتماعية والقانونية، كلها بمثابة مؤشرات على عدم التوافق بين أنماط التنشئة الاجتماعية السائدة وسلوكيات الأفراد في مجتمعهم، بحيث تصبح الكتابات الحائطية وسيلة غير مقبولة يلجأ إليها الفرد للتعبير عن قضاياه، وانشغالاته، ومشاكله، وإعتراضاته، وتذمره، كونه يستخدم الجدران كوسيلة لسرد تفاصيل حياته اليومية وعلاقاته مع الآخرين. وفي هذه العلاقات،

تتعارض مع المصالح والرؤى العامة في كثير من الأحيان، مما يؤدي إلى تجسيد الصراعات والعداوات من خلال تعبيرات عنيفة ومسيئة للآخرين، تُوجّه عبر الجدران نيابة عن الشخص نفسه.

ينتمي ممارسي الكتابة على الحائط إلى «فئة الشباب والمراهقين»، وقد يكون من الصعب تحديد هويتهم دون فهم السياق الثقافي والاجتماعي الذي يحيط بهم، ومن الصعوبة بمكان الحصول على معلومات خاصة عنهم، بسبب الحساسية الاجتماعية للموضوع ومخاوفهم من الانتقام أو العقاب، إنهم يختارون بدقة أماكن التعبير على الجدران، فيتعلق اختيار المكان بالمواضيع التي يرغبون في التعبير عنها، وبالتالي تحمل بعض العبارات حساسية مرتبطة بالمكان الذي يتم اختياره. فمثلاً، قد يختار الشباب أماكن منزوية لكتابة مواضيع سياسية للتعبير بشكل مباشر عن انتقاداتهم للأشخاص أو السلطة. بالمقابل، تكون بعض الكتابات الأخرى في أماكن مفتوحة وبارزة للعيان والمارة، بهدف جعلها ملاحظة ومشهودة من الجميع، لتظل تلك الممارسة حاضرة ومستمرة على الحائط لفترات طويلة. عموماً قد لا تتوفر التقنيات اللازمة لتحديد هوية الأفراد الفاعلين، خاصة في الحالات التي تتطلب تحليل مضامين النصوص أو تحليلها اللغوي.

نحاول من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على أهمية الكتابات الحائطية كظاهرة تحتاج إلى الدراسة والاهتمام، خصوصاً على المستوى العربي والوطني. فهي تمثل مظهرًا حيويًا من مظاهر الحياة الاجتماعية، وتعبّر عن ممارسات اجتماعية تتجدد باستمرار، إذ يُستخدم الحائط لأغراض متعددة من قبل الأفراد، مما يجعله وسيطاً لكل أنواع الخطابات، سواء كانت خطية أو رمزية. ومن بين هذه الخطابات والممارسات، نجد عنف اللغة الذي يظهر بين ثناياها ويتجلى على سطوح الجدران، مشكّلاً عنفاً تجاه الأفراد باستخدام اللغة كسلاح.

إن التوجه نحو ممارسة الكتابة الحائطية يرتبط بمتغيرات عدّة على مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية للفرد، فطبيعة التنشئة الاجتماعية تؤثر في شخصية الفرد وتشكله، وتؤثر على قراره في فعل الخريشة على الحائط. بينما تمتنع فئات أخرى عن ممارسة هذا النوع من السلوك. إنها ممارسة قد تؤسس لسلوكيات إجرامية في نظر المجتمع والقانون، مما يزيد من تشويه الحائط والفضاء العمومي، ويظهر العنف المادي الذي يتسبب في تلف عمران المدينة وتشويه جماليتها.

تم تقسيم البحث إلى أربع فصول رئيسية، تم التركيز في الثلاثة الأولى على الجانب النظري للبحث، في حين تم تخصيص الفصل الرابع للجانب الميداني. يحمل **الفصل الأول، عنوان "البناء المنهجي"**، تم فيه التطرق إلى إشكالية الدراسة وفرضياتها، بالإضافة إلى استعراض أسباب اختيار الموضوع وأهداف الدراسة وأهميتها، كما تم تحديد المفاهيم الأساسية المتعلقة بالبحث ومنهجيته، وذلك من خلال الإشارة إلى المنهج المتبع وأدوات البحث المستخدمة، وتحديد مجتمع البحث وعينة التحليل.

الفصل الثاني، المعنون "الكتابات الحائطية: المفهوم والتاريخ"، تم فيه تقديم تعريف شامل للكتابات الحائطية وبيان جذورها التاريخية. كما تم استعراض الكتابات الحائطية في سياقات مختلفة عبر الزمن والمكان، بما في ذلك في الجزائر وأمريكا وأوروبا والعالم العربي وإفريقيا. وتم التطرق أيضاً إلى أدوات وأشكال الكتابات الحائطية وعوامل تنشئتها الاجتماعية.

في الفصل الثالث، المعنون "العنف: النظريات والأشكال"، تم التعمق في دراسة مفهوم العنف من خلال العدسات النظرية المختلفة. وتم استعراض النظريات التفسيرية المختلفة للعنف، بما في ذلك النظرية البيولوجية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية. وتم التركيز أيضاً على مسألة **عنف اللغة وأنواعه وأشكاله، وعلاقته بظواهر الجريمة والانحراف.**

أما الفصل الرابع، فقد تضمن "الإجراءات الميدانية للدراسة"، حيث تم عرض البيانات المجمعة من الميدان ومناقشة الفرضيات. وقد تم تحليل عينات من الكتابات الحائطية في مدينة الشلف، تليها مناقشة النتائج العامة للدراسة وتوصياتها المحتملة.

في الختام، نستطيع الاستنتاج أن دراسة «عنف اللغة من خلال الكتابات الحائطية في ولاية الشلف» تمثل مسعىً مهماً لفهم الديناميات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الجزائري المعاصر. وبالتالي تسلط هذه الدراسة الضوء على تأثيرات العنف اللغوي على الثقافة المحلية وزيادة حالات الجريمة والانحراف، وتسعى إلى تقديم توصيات فعّالة لمواجهة هذه الظاهرة. بالتالي، يمكن أن تسهم النتائج التي توصلنا إليها في تحسين الوعي الجماعي وتعزيز القيم الإيجابية في المجتمع، وبناء مستقبل أفضل للجميع.

الفصل الأول البناء المنهجي

1. الإشكالية
2. الفرضيات
3. أسباب اختيار الدراسة
4. أهداف الدراسة
5. أهمية الدراسة
6. الدراسات السابقة
7. المقاربات النظرية
8. منهجية الدراسة
9. مفاهيم الدراسة

1. الإشكالية:

تمثل ظاهرة «الكتابات الحائطية أو الجدارية أو ما يُعرف بالغرافيتيا»، ظاهرة اجتماعية قديمة يمكن تتبعها إلى فترات مبكرة جدًا في تاريخ البشرية، فقد كان الإنسان في عصور ما قبل التاريخ يعبر عن نفسه وعن تجاربه وتفاعلاته مع العالم من حوله عبر رسوماته على الصخور والحجارة، وتظهر آثار هذه الكتابات القديمة في العديد من المواقع حول العالم، مثل: كهوف الطاسيلي في الجزائر، حيث يعود تاريخ النقوش والرسوم فيها إلى فترات قديمة جدًا.

باتت الكتابة على الجدران ظاهرة ثقافية، فلا يكاد يكون هناك مجتمع قد سلم منها أو خلت جدران مدنه وفضاءاته من هذه الكتابات والرسومات أو الرموز، والتي تعبر بشكل أو بآخر عن خطاب مباشر أو غير مباشر داخل المجتمع، مترجمًا جملة من الرغبات، التي قد تتناقض مع المنظومة الأخلاقية والقانونية التي تحكم الأفراد، وأنماط التنشئة الاجتماعية التي ينشأ عليها هؤلاء الأفراد ما يجعل تأثير إفرزات هذه الممارسة حاضرا على عدة مستويات لغوية ورمزية ومادية.

إن اهتمام السوسيولوجيا بظاهرة الكتابات الحائطية ليست حديثة العهد، بل تناولتها العديد من الأعمال السوسيولوجية لغرض فهم هذه الظاهرة في مختلف جوانبها، على سبيل المثال لا العرض، دراسة فيليب أريس (Philippe Aries) الذي ركز فيها على فهم تطور الثقافة الشعبية والسلوك الاجتماعي في العصور القديمة والمعاصرة، وقدم مساهمات هامة في دراسة تأثير التعبير الشعبي، بما في ذلك الكتابات الحائطية ودورها في تشكيل الهويات المجتمعية وتطورها، وكذا دراسة روجر كوتر (Roger Cooter) الذي قدم تحليلات عميقة حول هذه الكتابات وكيفية استخدامها كوسيلة للتعبير عن الهويات الجماعية والاحتجاجات الاجتماعية، ودراسة مايكل ماينز (Michael Mains) الذي اهتم بتأثير الثقافة الشعبية على المجتمعات المحلية وتطورها عبر الزمن، واستكشاف

دور الكتابات الحائطية في تحديد الهويات الثقافية وتعزيز التواصل الاجتماعي أو تأجيج التوترات والنزاعات والعنف، ودراسات مارغريتا رودريجز (Margarita Rodriguez) التي ركزت على فهم كيفية تأثير البيئة الحضرية والظروف الاجتماعية على ظاهرة الكتابة على الجدران، وكذلك كيفية استخدام الكتابات الحائطية كوسيلة للتعبير الاجتماعي والسياسي في المجتمعات الحضرية، أما أعمال كلاوديا ميتشيل (Claudia Mitchell) فتركزت على دراسة دور الفنون الشعبية والكتابات الحائطية في تشكيل الهويات الثقافية، وتعزيز التواصل الاجتماعي، وكيفية استخدامها كوسيلة للتعبير عن التجارب الشخصية والجماعية وتسلط الضوء على أهم القضايا الاجتماعية والسياسية في المجتمع. على العموم تُعتبر دراسات هؤلاء الباحثين مساهمات هامة في فهم ظاهرة الكتابة على الجدران ودورها في تشكيل وتأثير المجتمعات الحضرية والثقافية، لكننا لاحظنا المفارقة في اعتبار هذه الممارسات ممارسات فنية وجمالية أم أنها ممارسات تخريبية وعنيفة، وذلك حسب طبيعة المجتمع والبيئة الاجتماعية والثقافة.

انطلاقاً من قراءات متواصلة قرّرنا تولي غمار البحث في موضوع الكتابات الحائطية في الجزائر، سواء من خلال الدراسات السوسيولوجية الدولية أو الوطنية، لكن من منظور اختصاص سوسيولوجيا الجريمة والانحراف، فلاحظنا أنها تتجلى من خلال فاعليها في البيئة والسياقات التاريخية والثقافية والاجتماعية، للتعبير بأشكال وأساليب متنوعة، وحاولنا قدر الإمكان البحث عن العناصر التي تميّزها عن ما أنجزته الدراسات-الأنفة الذكر-، التي تنتظر أغلبها للكتابات الحائطية، كـ ممارسات فنية منسوبة لـ فناني الشارع أو فن الشارع (Street Art) بفلسفته السريالية وتمظهراته الجمالية، وعلى خلاف ذلك إنها كتابات انخرط فاعلوها في فعل الكتابة الحرة، كوسيلة للتعبير عن آرائهم وتصوراتهم ولإثبات حضورهم أو رداً على تهمة إقصائهم من الواقع الاجتماعي، إنهم أشخاص مجهولين يعبرون بلغة تتسم عادة بالعنف والعبث من حيث المحتوى

والمعني اللغوي والرسومات والرموز والوسائل، كونها تحيل صراحة لأفعال منافية للقانون ك: «التشهير والإبتزاز والتهديد والإساءة للآخرين وسب الدين والأفراد...»، وهي المواضيع التي ركزنا عليها في إعداد هذه الدراسة.

يسعى ممارسي الكتابات الحائطية إلى إشهار وإظهار كتاباتهم لعامة أفراد المجتمع الجزائري بشكل واضح، مما قد يُسيء لهم بطريقة أو بأخرى عبر تلقي وقراءة الكلمات والرسومات والرموز المسيئة لمن يشاهدها (المُشهرُّ به، أو المُهدَّد أو الذي يتم ابتزازه...) وكذلك تشويه اللغة التي تكتب بها، عن طريق تحريف أو إضافة أو إنقاص حروف، ما يؤدي إلى تبعثر المعنى وتعنيف اللغة في حدّ ذاتها، تلك التي قد تحمل دلالات تصنيفية أو عنصرية أو جنسية... وغيرها، فضلاً عن أن هذه الكتابات قد تحمل بين متونها الكثير من الخطابات العنيفة، وما يزيد من تفاقم هذه الكتابات الحائطية في المدن كون الفاعلين الأساسيين يظلون مجهولين، ما يجعل دراستهم صعبة من الناحية السوسيولوجية التي تعتمد في العادة على «مجتمع أو عينة البحث» لكنها-في نظرنا- عدسات بحثية قيّمة يمكن من خلالها تفكيك بعض التوترات والتناقضات في الحياة الحضرية.

لاحظنا كذلك انتشار هذه الأصناف من الكتابات في مجال الدراسة (الشلف) داخل الفضاءات الحضرية، والمرافق العمومية والمؤسسات الوطنية والخاصة، وعلى قارعة الطرقات وأسفل الجسور وفي جوانبها، وفي الحمامات العامة ومداخل العمارات والأحياء الشعبية (بالأخص حي الحرية، حي السلام، وسط المدينة، حي الشريف)، ما قد يؤثر على سلوك الساكنة من أفراد المجتمع وبالخصوص الشباب والمراهقين، وعلى النمط العمراني للمدينة من تشويه للجدران وتخريب للممتلكات العامة، علماً أن القانون الجزائري يُعاقب الفاعلين لهذا النشاط حسب ما تقتضيه المادة

450 والتي تنص على العقاب «بغرامة من 100 إلى 500 دج ويجوز أن يُعاقب أيضاً بالحبس لمدة عشرة أيام على الأكثر: * كل من قام بكتابات أو وضع علامات أو رسوم بأية طريقة كانت وبغير إذن من السلطات الإدارية على أموال منقولة أو عقارية مملوكة للدولة أو المجموعات المحلية أو على مال واقع في أملاك أي منهما أو بغرض تسيير خدمة عمومية أو لأنها موضوعة تحت تصرف الجمهور. ** كل من قام بكتابات أو وضع علامات أو رسوم على عقار بأية وسيلة كانت دون أن يكون مالكا أو مستأجرا له أو منتفعا به وبغير إذن من أي من هؤلاء الأشخاص»¹، غير أن ما يأمله الباحث هو فهم الظاهرة لغرض مُعالجتها وتحليلها وتجفيف منابع انتشارها بدل إصدار أحكام عقابية أو تأديبية ضد ممارستها.

إن هذا الصنف من الكتابات التي يمكن إدراجه ضمن السلوك الإجرامي والانحرافي في نظر القانون الجزائري، هو بمثابة خروج عن الأطر المجتمعية التي تحددها قواعد السلوك العامة داخل المجتمع، وبالتالي . ف «الكتابة الحائطية ممارسة غير حضارية وتخريبية، وغير قانونية» إذ غالباً ما تعبر عن ممارسات تمس ممتلكات العامة والخاصة بدون إذن مالكيها وفي الخفاء، الأمر الذي يكلف الكثير عند إزالتها من على جدران هذه الممتلكات ويسبب لمالكيها أو للمجتمع والأفراد، إنها جريمة تلحق أضراراً بممتلكات الآخرين، كما تمثل دليلاً مادياً يعتد به في إثبات جرائم التشهير والقتل والتهديد....، وعليه فإن هذه الكتابات الحائطية في مجملها تعتبر تعدي على الأملاك وعلى الأفراد، وسلوك يخرق وينتهك المعايير والقيم التي يقرّها ويحددها المجتمع.

عليه ومما سبق نطرح الإشكالية التالية: كيف يمكن فهم أسباب وتأثيرات **عنف اللغة**

المتجسد في الكتابات الحائطية في مدينة الشلف؟

¹ - قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 450 معدلة، الصيغة المعدلة لعام 2015، ص186.

انطلاقاً من الإشكالية تفرعت التساؤلات التالية:

1. هل يمكن أن يؤدي عنف اللغة في الكتابات الحائطية إلى زيادة التوترات والصراعات داخل المجتمع المحلي، مما يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية والسلم الاجتماعي.
2. هل يمكن أن يؤثر العنف اللغوي على الأفراد الذين يعيشون في بيئة تتخللها كتابات حائطية عدوانية، وقد يتعرضون للتهديد أو الإحراج أو الضغط النفسي.
3. هل تؤثر الكتابات الحائطية العنيفة على صورة المدينة، وتشوه صورتها في أعين الزوار أو الزائرين.
4. هل يمكن أن تثير الكتابات الحائطية العنيفة قضايا قانونية وأخلاقية، خاصة إذا كانت تحتوي على مضامين تحرض على العنف أو تنتهك حقوق الأفراد.

2. الفرضيات:

- يمكن أن يؤدي عنف اللغة في الكتابات الحائطية إلى زيادة التوترات والصراعات داخل المجتمع المحلي، مما يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية والسلم الاجتماعي.
- يمكن أن يؤثر العنف اللغوي على الأفراد الذين يعيشون في بيئة تتخللها كتابات حائطية عدوانية، وقد يتعرضون للتهديد أو الإحراج أو الضغط النفسي.
- قد تؤثر الكتابات الحائطية العنيفة على صورة المدينة، وتشوه صورتها في أعين الزوار أو الزائرين.
- يمكن أن تثير الكتابات الحائطية العنيفة قضايا قانونية وأخلاقية، خاصة إذا كانت تحتوي على مضامين تحرض على العنف أو تنتهك حقوق الأفراد.

3. أسباب اختيار الدراسة:

أ. الأسباب الذاتية:

- نبع اهتمامنا بظاهرة الكتابات الحائطية في المجتمع من خلال تسجيل ملاحظات يومية حول الظاهرة وطرح الكثير من التساؤلات حول أسبابها ومحتوياتها ومعانيها؟، الأمر الذي دفعنا لخوض غمار دراستها دراسة سوسيولوجية تتوخى الموضوعية.
- نظرا لاهتمامنا الأكاديمي بموضوعي «اللغة والعنف» ضمن اختصاص سوسيولوجيا الجريمة والانحراف، دفعنا لمحاولة الربط الظاهرتين، ذلك الاهتمام الذي بدأ في مرحلة الماستر حيث تناولنا موضوع عنف اللغة في المجتمع الجزائري، مركزين على الشق اللفظي العنيف للأفراد داخل المجتمع من خلال تفاعلاتهم وخطاباتهم اليومية. ومن هنا أردنا التركيز مرة أخرى لكن هذه المرة على الشق المكتوب من اللغة العنيفة المجسدة ضمن الكتابات الحائطية محاولين استكمال ما بدأنا به خلال دراستنا السابقة.
- نظرا للتأثير الذي تركته الكتابات الحائطية داخل مدينة الشلف نتيجة تشويه الجدران والفضاءات العامة بها.

ب. الأسباب الموضوعية:

- تعود الأسباب الموضوعية للدراسة بحكم انتمائنا السوسيولوجي واهتماماتنا البحثية، ما دفعنا لمعالجة الظاهرة من منظور اختصاصنا الأكاديمي باعتبار الظاهرة تتم عن ممارسات غير مقبولة لا اجتماعيا ولا قانونيا.
- ندرة الدراسات العربية التي عالجت الظاهرة وخصتها بالدراسة والتحليل سوى بعض الأعمال والمقالات التي أمكننا الحصول عليها، ما أثار لدينا الرغبة في التقدم بهذه

الدراسة آملين أن تشكل إضافة علمية آملين أن تلبي احتياجات الباحثين في هذا المجال، لانجاز بحوث مستقبلية.

- محاولة الخروج عما سلكته الدراسات السابقة في دراستها للموضوع والتوجه نحو دراسة ما تحمله الكتابات الحائطية والتركيز على عنف اللغة ضمن هذه الكتابات والرسومات التي يحملها الحائط.

4. أهداف الدراسة: تهدف دراستنا لـ:

- الكشف عن ما تحمله الكتابات الحائطية في مدينة الشلف مركزين على عنف اللغة من خلال هذه الممارسة ودلالاتها من الناحية القانونية.

- التعرف على دور نمط التنشئة الاجتماعية في ظهور فعل الممارسة الكتابية الحائطية في مدينة الشلف، وعلى تأثير هذه الظاهرة على سلوكات وأفعال الشباب والمراهقين الذين قد يتأثرون بمحتواها خاصة إذا كانت تدعو للعنف.

- الوقوف على طبيعة الظاهرة وربطها بالسلوك الانحرافي من خلال تسليط الضوء على عنف اللغة الذي تتضمنه هذه الكتابات والرسومات وتلقيه من طرف الأفراد جراء المشاهدة اليومية لهذه الكتابات على الجدران ومختلف الدعامات الأخرى داخل المدينة.

5. أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في:

- التركيز على أهمية دراسة موضوع يشكل خطورة داخل المجتمع الجزائري عموما والمجتمع المحلي خصوصا حيث يتعلق الأمر بالعنف الظاهر في مضامين اللغة التي تكتب بها هذه الكتابات الحائطية في المدينة.

- إثراء الدراسات العلمية في هذا المجال عن طريق مساهمتنا المتواضعة حول دراسة موضوعي العنف واللغة وكذا موضوع الكتابة على الجدران.
- إبراز موضوع الكتابات الحائطية والعنف على مستوى البحوث العلمية في مجال العلوم الاجتماعية عموما وسوسيولوجيا الانحراف والجريمة على وجه الخصوص.
- لفت انتباه المختصين في مختلف ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية، ذلك بالتركيز على دراسة جوانب متعددة أخرى لموضوع الكتابات الحائطية.

6. الدراسات السابقة:

1.6. دراسة ألبا غريفين (Alba Griffin)¹: تبحث الدراسة في الفضاء الحضري وتصورات العنف في مدينة بوجاتا بكولومبيا من خلال ممارسات الكتابات الحائطية داخل المدينة، حيث ركز الباحث على مجموعة من الثقافات الفرعية والأساليب التي يتم من خلالها إعادة إنتاج تصورات العنف، حيث ركز على تحليل المعاني المرتبطة بالكتابة، وفن الشوارع في مختلف مناطق المدينة، مع الاستعانة بالمقابلة كأداة بحث مع أشخاص من مدينة بوجاتا بكولومبيا، وتمحورت الدراسة حول دراسة لثلاث مناطق ميدانية والتي قدم الباحث من خلالها بعض الاتجاهات المعاصرة في فن الرسم على الجدران في هذه المدينة وربطها بمتغير العنف.

أولا: الكشف عن ديناميكية الرسومات على الجدران وفن الشارع في منطقة calle 26 وما تحتويه هذه الرسومات من عنف سياسي، وثانيا: تأثيرات ما أسماه الباحث بالعنف الهيكلية والعنف المباشر من خلال الرسومات على الجدران في منطقة (سيودار بوليفار)، وثالثا: البحث عن

¹- Alba Griffin, *Reading the Walls in Bogotá: Imaginaries of Violence in the Urban Visual Landscap*, Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy, School of Modern Languages, Newcastle University, July 2019.

المواقف والآراء عبر رسومات منطقة لا كنديلاريا *la candelaria*، حيث تؤكد هذه الآراء على عدم المساواة بين الأفراد في الفضاء العام للمنطقة.

زواج الباحث بين السياق الاجتماعي والمكاني لهذه الممارسات (الكتابات والرسومات على جدران المدينة في المناطق الثلاث)، وبين تصورات الأفراد في هذه المدينة لممارسة العنف بكل أشكاله. كما ساهمت هذه الدراسة في تسليط الضوء على عدم تجانس الفئات الاجتماعية الحضرية ومطالبتها الدائمة بالمساواة بين الأفراد داخل هذه الفضاءات، من خلال التعبيرات الحائطية، كما عرجت الدراسة على التعقيدات التي تتضمنها الكتابات الجدارية في هكذا أماكن وممارسات العنف في الحياة اليومية وآثارها السياسية والمكانية والاجتماعية المحتملة مع إشكالية السياسة الثقافية لهذه الأشكال من التعبير داخل المدينة.

نقد الدراسة: من خلال الدراسة الاعتماد على نموذج الثقافات الفرعية في إعادة إنتاج تصورات العنف عند الأفراد مع إغفال العوامل الأخرى المسببة للعنف في الفضاء الحضري، والقول بعدم تجانس الفئات الاجتماعية، ومطالبتها الدائمة بالمساواة داخل هذه الفضاءات من خلال التعبيرات الحائطية، في حين أن هذه الشكل من التعبير يقتصر على بعض الأفراد وليس الكل، والاكتفاء بأداة المقابلة كأداة بحث وحيدة في حين كان الأجدر الانتباه للظاهرة من خلال الملاحظة العلمية المنتظمة وتحليل نماذج من هذه الكتابات داخل هذه المدينة.

2.6. دراسة كريم أوراس¹: رسالة دكتوراه في علوم اللغة بعنوان *غرافيتيات مدينة الجزائر*

بين اللغات، الرموز والخطابات، ركز فيها الباحث في على تناول الجانب اللغوي والعلامات

¹-Karim Ouaras, *Les Graffiti de La Ville d'Alger Entre Langues, Signes et Discours*, Doctorat en sciences de langage, Département de Langue Latines, Algérie, Université d'Oran, 2012.

والرموز للكتابات الجدارية، بالاعتماد على المنهج اللغوي الاجتماعي أو ما يعرف باللغويات الاجتماعية، وهو منهج لفهم اللغة في تفاعلها مع المجتمع. كما ميّز الباحث بين فئتين في الكتابة على جدران مدينة الجزائر، إحداهما يتعلق بالكتابة الرسمية التي تحددها القواعد اللغوية، والفئة الأخرى تتعلق بممارسات لغوية عفوية وعادية على شكل رموز وعلامات يستعملها الشباب للتعبير عن مواضيع متعددة كالجنس والاحتجاج والمعارضة السياسية... وغيرها.

أكد الباحث أن الممارسين لهذه الكتابات الحائطية يشجعون في الاستثمار في الفضاء الحضري والمجال العام، من خلال إعادة بناء هوياتهم بفضل رسم هذه العلامات على الجدران. كما أشار أوراس أن الغرافيتي يشجع على حرية التعبير تحت غطاء عدم الكشف عن هوية ممارسي هذا الفعل، إذ أنه لا يمكن تصور فضاء حضري بمعزل عن الكتابة على الجدران. كما احتلت معظم التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي شهدتها الجزائر مكانة مميزة في عالم الغرافيتي الجزائري، حيث لعبت هذه العوامل دورا هاما في انتشار الظاهرة.

هدفت الدراسة إلى فك رموز ومعالم المدينة وفحصها من خلال الغرافيتي كعلامة لغوية وخطابية تسمح بفهم المدينة والعوامل التي ساهمت في ظهور الكتابة على الجدران وانتشارها في كل مكان. ثم خلص في الختام إلى أن الغرافيتي هو أحد طرق التعبير عند الأفراد في مدينة الجزائر العاصمة وأحد أهم أبعاد هذه الظاهرة هذه مسألة الوصول إلى الاعتراف، والإشارة لهؤلاء لممارسي الغرافيتي من خلال الكتابة التي تشكل علامة لغوية خطابية مشبعة بالهوية والخيال الاجتماعي والثقافي، هذه العملية التي تفرض نفسها في الفضاء الحضري كنقش عرقي اجتماعي لغوي وسيميولوجي يتركه الممارس مع نية توصيل الخطابات بطريقة عدم الكشف عن الهوية التامة.

أكد الباحث على أن التواصل ظاهرة عالمية يحكمها نظام تبادل لقيم رمزية تجمع بين الجوانب اللغوية والسيمولوجية، وأن الاهتمام بخطابات الغرافيتي من شأنه أن يسهل عملية التعرف على الطبقات الاجتماعية في المجتمع، مع إمكانية استغلال هذه الخطابات في سدّ الفجوة التي تفصل الدولة عن المجتمع المدني، والتمكن من إدارة المدينة ومعرفة احتياجات الأفراد فيها، مع التمكن من معرفة ما يفكر فيه المجتمع من خلال الجدار.

نقد الدراسة: ربط الباحث من خلال دراسته بين التحليل اللغوي والتحليل الاجتماعي لظاهرة الغرافيتي داخل المدينة، وهو ترابط ينتج عنه قراءة متعددة الجوانب تحيل القارئ لمعرفة شكل الخطابات التي ينتجها الممارس على الجدار على المستوى اللغوي والسيمولوجي والاجتماعي، الأمر الذي يعطينا توليفة متميزة في دراسة موضوع كالغرافيتي داخل الفضاء الحضري.

3.6. دراسة عامر نورة¹: انطلقت الباحثة من تساؤل رئيسي مفاده: ما هي جملة التصورات الاجتماعية للكتابات الجدارية؟ كما حاولت الباحثة الإشارة إلى ماهية التصورات الاجتماعية لظاهرة الكتابات الجدارية باعتماد المنهج الوصفي مع استعمال تقنية شبكة التداعيات مدعمة ذلك بأداة تحليل المضمون حيث تم تطبيق ذلك على 15 حالة.

اندرجت الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية، إذ تمثلت عينة الدراسة في 26 صورة مأخوذة من مدن الشرق الجزائري: سطيف، العلمة، قسنطينة، عين السمارة، الخروب، أم البواقي، وكذا شلغوم العيد، وهذه الدراسة عبارة عن مقارنة نفسية اجتماعية لظاهرة الكتابات الجدارية باعتبارها عنفا رمزيا، إذ تعتقد الباحثة أن هذه الظاهرة لها انعكاس مباشر لظاهرة العنف الاجتماعي ومنه إلى العنف الرمزي، فقد يكون هذا العنف ضد الذات أو جماعيا حسب الباحثة.

¹-نورة عامر، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، (غير منشورة)، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006.

توصلت الباحثة من خلال دراستها هذه إلى جملة من النتائج أهمها: ما نسبته 15.05% من الكتابات الجدارية تحمل تصورات عن العنف، في حين أن ما نسبته 12.29% عن عبرت عن مشاكل نفسية في مقابل 11.29% منها تعبر عن مشاكل عاطفية، ونسبته 10.75% يعبر عن مشاكل عائلية، ونفس النسبة قد عبرت عن مشاكل اجتماعية بـ 9.67% قد عبرت عن مدى التأثير بالثقافة الغربية والهجرة و 10.75% منها عبرت عن مشاكل المدينة.

أكدت الباحثة بخصوص ظاهرة الكتابات الجدارية أنه مهما كان الهدف منها سواء بخصوص المطالبة بالحقوق المهضومة أو أسلوب تعبير أو رفض للواقع المعاش أو فرصة سانحة لرد الاعتبار، فإنها في مجملها أسلوب عنف يعمد فاعلوها إشهاره في وجه العامة، عبر ما يكتبونه بوضوح أو بغموض، مفضلين هذا الأسلوب على الظهور العلني، مستخدمين الرموز وكتابات جدارية من أجل التخفي عن نشاط ممنوع قانونياً ومرفوض اجتماعياً.

نقد الدراسة:

اعتبار الكتابات الحائطية مؤشر رئيسي للدلالة على المشاكل التي يواجهها الطالب في الجامعة، في حين هناك مؤشرات أخرى تتجلى من خلالها هذه المشاكل، واقتصار عينة البحث على 26 صورة للكتابة الحائطية فقط في حين كان المجال المكاني للدراسة يشتمل على عدة مدن في الشرق الجزائري.

4.6. دراسة كريم محمد¹: انطلق الباحث من تساؤل رئيسي مفاده: ما هي مضامين

ومواضيع ودلالات الكتابات الجدارية في المجتمع المحلي بمستغانم، وما هي مكانة محوري

¹ -محمد كريم، الكتابات الجدارية، دراسة سوسيولوجية بمستغانم، رسالة ماجستير في علم الاجتماع والاتصال، (غير منشورة)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2013.

الغرافيتي من المجتمع وقنواته الاتصالية؟، تقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية التحليلية ذلك باستخدام المنهج الوصفي، هذا واعتمد التحليل السميولوجي في تحليل أبعاد الكتابات الجدارية بمدينة مستغانم، وعن عينة البحث في هذه الدراسة فقد تمثلت في مجموعة من الصور وعددها 149 صورة لأحياء المدينة مع بعض الصور الملتقطة من محيط الجامعة كذلك، حيث توصل الباحث إلى النتائج التالية:

إن الكتابات الجدارية ذات دلالات سياسية واقتصادية واجتماعية وفنية ورياضية ناتجة عن ظروف وأحداث وفتية حياتية (استحقاقات رياضية، انتخابات...). كما يقع المجتمع المحلي حرية التعبير، ويغلق قنواته الاتصالية أمام محرري الغرافيتي لحساسية المواضيع المطروحة، كما أن كتابات ورسومات الغرافيتي، هي تعبير عن مفاهيم وجودية نابعة من قلق وتشاؤم من ظروف الواقع المعيشي (أنا محرر غرافيتي، أنا موجود هنا، أو كنت هنا...). حيث عكست نسب كبيرة من توزيعات أنواع الكتابات الجدارية بمستغانم، تلك الكتابات المخددة لمحرريها تأكيداً على الجانب الوجودي للشباب كفاعلين مستترين ضمن الفضاءات الحضرية لمدينة.

نقد الدراسة:

ما يؤخذ على الدراسة هو عدم الاعتماد على مقارنة نظرية في طرح الموضوع للدراسة وربطه بنظرية أو نظريات في علم الاجتماع يسقط من خلالها الباحث موضوعه، لما تكتسبه هذه النقطة من أهمية في الاستعانة بمقاربة ميكروسوسيولوجية لمعالجة موضوع الكتابات الحائطية، مع إغفال الاعتماد على الملاحظة العلمية كأداة بحث والاكتفاء بتحليل المضمون لتفسير الظاهرة وتحليلها، علماً أن الملاحظة أداة رئيسية ومهمة جداً في هكذا مواضيع يستعين بها الباحث في الإلمام بموضوعه، وربطه بجانبه الميداني الذي تكون الملاحظة بوابة لولوجه وفهمه جيداً، والتركيز

على جانب الاتصال في دراسة ظاهرة الكتابات الحائطية مع أن عنوان الدراسة شمل الدراسة السوسولوجية ولم يحدّد اتجاه الدراسة، الأمر الذي يؤثر على منظور تحليل الظاهرة في سياقها السوسولوجي.

5.6. دراسة بوعلام باي¹: هدفت الدراسة إلى الإجابة عن جملة من التساؤلات البحثية

أهمها: ما مضمون الكتابات الحائطية المنتشرة بالوسط الجامعي؟ وما هي الأسباب وراء استفحال الممارسة الغرافيتية بالفضاء الجامعي؟ ولماذا هذا الحضور المكثف للمدّرس على مستوى مضامين هذه الكتابات؟.

تتموضع هذه الدراسة ضمن المقاربة الميكروسوسولوجية، اعتمد فيها الباحث على المنهج الفهمي، وعلى المقاربة الثقافية مع استثمار كامل للمعطيات الميدانية المتاحة قصد تحليل كل وحدة غرافيتية (كلمة + جملة + رمز + صورة) بالتركيز على مضمونها واللغة المستعملة دون إغفال طبيعة الحامل لهذه الكتابات (جدران، طاولات، كراسي، جدران...)، ومن حيث التقنيات فقد تم الاعتماد على تحليل المضمون كتقنية رئيسية مع الاستعانة بالملاحظة وبعض المقابلات الفردية غير المباشرة خاصة عبر الانترنت والتصوير الفوتوغرافي للمواد الغرافيتية، ولمحاولة الباحث الإجابة على تساؤلات الدراسة توصل إلى ما يلي:

تعكس الكتابات الحائطية أبعاد هوية طلابية متميزة بانتماءاتها المتعددة، والكتابات الغرافيتية، هي إستراتيجية هوياتية للتعبير عن ملامح الهوية الطلابية، حيث انتشرت لعدم توافر قنوات تعبيرية ملائمة للطلبة للتعبير عن خصوصياتهم الثقافية، وظهرت الكتابات الحائطية

¹ - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، جامعة تلمسان أنموذجاً، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع (غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013.

الطلابية كرد فعل لسلطة المنع والتهميش التي يعاني منها الطالب داخل الفضاء الجامعي خاصة والمجتمعي عامة.

تؤثر مضامين الكتابات الحائطية ملامح الثقافة العامة لمجتمع الجامعة المصغر، لتعكس الهوية الطلابية البارزة في شكل كتابات هامشية، نتيجة سلطة المنع الاجتماعي الممارس من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ويلتجأ الطالب إلى الكتابات الحائطية للتعبير عن ما يكنه صدره من احترام أو احتقار، أو تبجيل لشخص أو جماعة ما، وفي ذلك الوقت يحاول إرساء رسائل مشفرة للآخر، كما اتضح من خلال مضامين الكتابات الحائطية مؤشرات، مواقف منحرفة نسبيا عن المرامي الرسمية للمؤسسة الجامعية.

نقد الدراسة: تمت الدراسة في مجالها المكاني في مؤسسة الجامعة التي يعيش فيها الجغرافيتي على دعائم مختلفة فضلا عن الحائط، الأمر الذي جعل للدراسة خصوصية وميزة خصوصا عندها تعلق البحث فيها عن موضوع مهم تركز حول مسألة الهوية عند الطالب الجامعي وربطه بالممارسة الجغرافية، وقد نجح الباحث في إعطاء الظاهرة بعدها التربوي، وحصرها في مجالها المؤسساتي، مع عرض مقاربات عديدة للظاهرة وهو أمر مهم جدا في موضوع كالجغرافيتي المتعدد المشارب والمناحي للدراسة. كما لا نخفي أن الدراسة كانت من بين الأعمال التي تركت أثر فينا وتحفيزا لنا في البحث في موضوع الكتابات الحائطية أكثر ونقله إلى المدينة وتوسيع نطاق الدراسة، مع مراعاة التخصص أيضا في طرح الموضوع للدراسة والبحث.

6.6. دراسة فتحة لبني¹: انطلقت الباحثة من إشكالية: إلى أي حد يعكس الخطاب

الغرافيتي الهوية الجزائرية؟ وكيف يعبر عنها؟، ومن هنا طرحت الباحثة جملة من الفرضيات للدراسة كانت على الشكل التالي: تتماثل الارتجالات الهويةتية المعكوسة على الجدار مع ارتجال الخطاب السياسي الجزائري اتجاه ما يمثل واقع الفرد، ويشكل الجدار إطار من أطر الانتماء يحدد فيه الممارس هويته عندما تعجز أو تغيب البدائل. كما لا تغدو التعبيرات الجرافيتية الجنسية والعاطفية سوى انزياحات مؤقتة أوجدتها خصوصية الفترة العمرية لممارس الجدار، وأخيرا يقوم الخطاب الجرافيتي برسم ملامح الهوية الثقافية عبر إعادة إنتاج السائد ثقافيا في المجتمع الجزائري، وتكمن أهمية الدراسة في كونها تنفذ إلى سوسيولوجيا الهامش، وتبحث في أهمية الخطاب الجرافيتي، من خلال ما يؤكد ممارسي الجدار على التواجد الرمزي والنفسي والاجتماعي والثقافي للإنسان من خلال السلوك الذي يحاكي الواقع اليومي للأفراد، وأهمية الجدار كهامش في التعبير غير الرسمي.

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الوصفي والاستعانة بتحليل المضمون كأداة بحث، وبخصوص نتائج الدراسة المتوصل إليها تلخصت فيما يلي: إن الجرافار (الممارس على الجدار) يتجاوز الجد في جداريته إلى تبني روح السخرية في تعرية الطابوهات والانتهاكات حتى تأتي الرسالة حبلً بالكثير من الألم أو ربما صور الانتقام.

تعكس الممارسة الجدارية قطيعة أو غلقا للأفق الإعلامي أمام الشباب ما جعل الجرافيتيا شكلا من أشكال التعبير وفضاء خاص ممن لم تتوفر لهم فرصة التعبير عن الرأي، مع رفض

¹ - فتحة لبني، الجرافيتيا والهوية في الجزائر، دراسة سوسيو تحليلية لبعض الكتابات الجدارية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، (غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، 2017.

أصحاب هذه الممارسة موقف الإعلام الرسمي وتحويلهم الجدار إلى قناة للتعبير وإبداء الرأي بكل حرية وموازة هذه القناة بالإعلام الرسمي.

تكشف لنا ظاهرة الغرافيتيا من خلال البحث وفي أحد أوجهها عن خلل مجتمعي جدير بالمتابعة والدراسة كانت أبرز مؤشرات غيابه ثقافة الحوار وأزمة الثقة بالآخر، وإشكالية الإحساس بالهوية، كما أن الغرافيتيا من خلال هامشيتها هي خطاب متعدد الدلائل والأشكال والتعبيرات، خطاب مركب قد يعكس الواقع وينقده.

نقد الدراسة: ركزت الباحثة في دراستها على التعرف على الجانب الهوياتي للمجتمع من خلال نماذج الكتابات الجدارية ومحاولة فهم الواقع المجتمعي من خلالها، وهو أحد أهم ما ينتجه البحث والتتقيب والدراسة لهذه الظاهرة، وقد نجحت الباحثة إلى حد بعيد في إسقاط الموضوع في سياقها السوسيولوجي والبحث عن مواضيع مهمة جدا تتناولها الجدران كمسألة الهوية والتعبير وحرية الرأي، لكن في جانب آخر ما يعاب على الدراسة هو عدم الاعتماد على تقنيات متعددة في عملية جمع المعلومات.

7. المقاربات النظرية:

إن المقاربة النظرية في البحوث الأكاديمية لطالما كانت ضرورية لأي بحث كونها تشكل الفارق بينها وبين الدراسات غير الأكاديمية فهي تضع تفكير الباحث حول موضوعه في إطار منهجي واضح ومؤطر من خلال جملة من الآراء العلمية والمفاهيم المرتبطة بالدراسة، وبالحديث عن المقاربة النظرية فإن أغلب الدارسين والباحثين كان توجههم نحو إدراج المقاربة الواحدة في البحوث بعد الاختيار الدقيق لها بما يتناسب والبحث، واعتبار تبني أكثر من مقاربة عيبا منهجيا أو خطأ علميا من طرف الباحث لكن مع مرور الوقت اتضح وتأكد للباحثين أن الاكتفاء بمقاربة واحدة

قد يعطينا تحليلاً أحادي الجانب ذلك أن «التحليل المتعدد المداخل أو المقاربات المتعددة مثلها تماماً مثل المناهج والتقنيات المتعددة باعتبار الوحدة تكمل الأخرى، كذلك الأمر بالنسبة للمقاربات النظرية فكل مقارنة تكمل الأخرى في البحث»¹.

1.7. مقارنة الأنوميا: كان إميل دوركايم (E, Durkheim) أول من استعمل اصطلاح

الانحراف عن المعايير، أو ما يعرف بالأنوميا ليشير إلى أنها تعبر عن «حالة وجود معايير غامضة ومتصارعة وغير متكافئة يفتقد فيها المرء العلاقات الأخلاقية الهامة مع الآخرين، ومنه يعكس الانحراف عن المعايير حالة من الصراع القيمي بين أفراد المجتمع، هذا الصراع الذي يعكس في جانب منه سلوكاً مرضياً، ومنه الشعور بعدم الاستقرار بين هؤلاء الأفراد»²، وحسب تفسير دوركايم فإن المجتمع إذا ما اختلت فيه القواعد المنظمة لسلوك الأفراد في مجتمع ما دخل في حالة الأنوميا، إذ يكون الفرد أمام حالة تناقض بين سلوكياته وواجباته داخل المجتمع، فيعمد إلى إظهار أفعال وسلوكيات رافضة لواقعه معترضاً عليه، الأمر الذي يحيل إلى ظهور وبروز ممارسات مرضية وغير مقبولة حسب رؤية دوركايم، وينطبق الأمر على توجه الأفراد إلى الاستعانة بالكتابة الحائطية كأسلوب اعتراض ورفض لواقعهم المعيشي، فيتعارض ذلك مع منظومة القيم والمعايير التي يؤطرها النظام الاجتماعي ذلك أن هذه الممارسة تعتبر خروج عن هذه المنظومة داخل المجتمع.

يطرح روبرت ميرتون (R, Merton) شكلاً آخر للأنوميا عندما يتحدث عن كون حالة

الأنوميا تعبر عن «انفصال ثقافي بين الغايات أو الأهداف التي يشجعها المجتمع وبين الوسائل

¹ -ناصر قاسيمي، التحليل السوسيولوجي، نماذج تطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص127.

² - محمد سعيد فرج، ما... علم الاجتماع، منشأة المعارف، مصر، 2012، ص309.

التي من المتوقع أن يستخدمها الناس في مساعدهم لتحقيقها»¹، وهنا يجرنا الحديث مرة أخرى إلى ممارسة الكتابة الحائطية التي يستعين بها الأفراد لغرض إيصال رسائل متعددة ما بين اجتماعية وسياسية احتجاجية أو ثقافية، من خلال الحائط، والذين يرون أنه متنفس وقناة ووسيلة لتمرير رسائلهم ومشاكلهم للتعبير عن ذواتهم في المقام الأول، إذ أن القنوات الأخرى للتعبير عن ذلك مغلقة حسبهم، لذا يرجعون للحائط لاستخدامه لهذا الغرض، ولأغراض أخرى مثلاً كاعتماده إشارة تبليغ للمعنيين بالأمر، من خلال رسم وخط مجموعة من الكتابات والخطابات التي تحملها الجدران، والتي هي مجال حسبهم للتعبير عن ما يتوقون إليه أو ما يحبونه وما يكرهونه أو يرفضونه في أحيان أخرى، فقد تحضر الكتابة على الحائط لتصبح شكلاً من أشكال التمرد على كل الأنماط والأهداف والغايات التي يشجعها المجتمع تلك التي تطرق لها ميرتون في تفسيره، ومن هنا تتعارض الأفكار والغايات لتفقدنا أخيراً إلى شكل من أشكال الأنوميا داخل المجتمع.

تعتبر مقارنة الأنوميا أن «الكتابة الحائطية عرضاً من الأعراض الدالة على وجود اختلالات اجتماعية، فهي بالنسبة إلى علماء الاجتماع هي دليل على تحول وخلل اجتماعيين، إنه تحول في ظروف الحياة، كما أنه بديل لأفعال أكثر عنفاً، بهذا تصبح الكتابة الحائطية ظاهرة اجتماعية حقيقية تمكنا دراستها من تشخيص الحالة الاجتماعية للمجتمع، ومن ثمة تحديد القطاعات المتضررة من هويته، وبالتالي فضح حالات الاستقرار والانسجام المزيفة التي تسعى سيرورة التماثل إيهامنا بها»². وفي سياق آخر يربط ميرتون بين الأنوميا والانحراف «ومن ثم يجادل بأن الخلل الوظيفي بين الثقافة والبناء له عواقب وخيمة تؤدي إلى انحراف داخل

¹ -جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2009، ص326.

² - غماري طيبي، الجرافيتي من أدب للغرباء إلى فن للاغتراب، مجلة عالم الفكر، مجلد 43، عدد 3، الكويت، 2015، ص103.

المجتمع»¹، فالكثير من السلوكيات تصنع في قالب ثقافي داخل المجتمع، حيث هناك من يرى أن الثقافة تمثل الوعاء الشامل الذي تتجلى فيه سلوكيات وأفعال الأفراد، فإذا ما تعارضت مع حالة أنوميا وخروج عن المعايير الثقافية والبناء الاجتماعي، فإن ذلك يؤدي إلى تبني السلوك الإنحرافي.

1.7. المقاربة التفاعلية الرمزية: يرى علماء التفاعلية الرمزية أن جميع صور التفاعل بين

الأفراد تتضمن تبادلاً للرموز، فعندما «تتفاعل مع الآخرين نبحت دوماً عن مفاتيح حول أنسب أنماط السلوك في السياق الذي يحدث فيه التفاعل، وعن مفاتيح حول كيفية تفسير ما يقصده الآخرون، وتلفت التفاعلية الرمزية انتباهنا إلى تفاصيل التفاعل بين الأشخاص وكيفية استخدام هذه التفاصيل في فهم ما يقوله الآخرون ويفعلونه»². ومن هنا فإن الأفراد الذين يستخدمون الكتابة الحائطية كطريقة للتواصل مع الآخرين يحاولون استغلال الحائط لتفسير ما يودون طرحه، ذلك من خلال خط مختلف الكلمات والعبارات والرموز.

يزعم رواد هذه النظرية أن «اللغة تتيح لنا الفرصة لنرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون، والعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز، أي الإشارة التي تمثل معنى أو شيئاً آخر، والكلمات التي نستعملها للإشارة إلى أمور محددة هي في واقع الأمر رموز تمثل المعاني التي نقصدها، فالبشر يعتمدون على رموز وتفاهات ومواضع مشتركة في تفاعلهم مع بعضهم البعض ولأنهم كذلك يعيشون في عالم زاخر بالرموز، وعليه فإن جميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل

¹ - جورج ريتز، جيفري ستينسكي، النظريات الحديثة في علم الاجتماع، (تر: ذيب بن محمد الدوسري وآخرون)، ط1، منشورات مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، 2021، ص240.

² - مصطفى خلف عبد الجواد، نظرية علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2009، ص484.

على تبادل الرموز بينهم»¹، وبالحديث عن اللغة فإن الفعل الكتابي عند الأشخاص الذين يكتبون على الحائط يرتكز في الأساس على اللغة سواء تعلق الأمر بالكلمات أو الرسوم، فهي تمثل رموز ينطلق منها هؤلاء لغرض إظهار أنفسهم بطريقة غير مباشرة، وإن كانوا مجهولين لباقي الأفراد فإن ما يخلفونه ورائهم على الحائط إنما يدل على تأكيد حضورهم مرفقين برسائل متعددة المضامين.

يعيش الفرد في عالم من الرموز والمعارف المحيطة به من منظور التفاعل الرمزي، وفي «كل موقف أو تفاعل اجتماعي يتأثر بها، ويستخدمها يومياً وباستمرار، ويتضح استخدام الفرد للرموز من خلال معانيها للتعبير على حاجاته الاجتماعية، ورغباته الفردية، حيث يتعلم الفرد من خلال التفاعل مع الأخرى وشكل شعوري أو لا شعوري استخدام الرموز مثل اللغة»²، وقد يستخدم الأفراد الكتابات الحائطية كآلية للتفاعل الرمزي من أجل التعبير عن حاجاتهم الاجتماعية المختلفة ورغباتهم عن طريق استعمال اللغة في ذلك.

3.7. مقارنة الضبط الاجتماعي: يشير الضبط الاجتماعي عموماً إلى «مجموع القوى التي

يمارسها المجتمع على أفرادها، والطرق والمعايير التي يفرضها من خلال الإشراف على سلوكياتهم، ومحاربة الانحراف، والتمسك بالقيم والتعليمات المرغوبة، والمقبولة»³، والكتابة على الحائط إحدى السلوكيات التي يرفضها المجتمع اجتماعياً، ويسعى لضبطها من خلال سن قوانين لمحاربتها وتحديد عقوبة لممارستها، ويكتسب الفرد عملية الضبط الاجتماعي من خلال «عملية التنشئة الاجتماعية وعلى جميع المراحل العمرية لهذه العملية. كما يقتزن الضبط الاجتماعي بالجزئات

¹ - أنتوني غدنز، علم الاجتماع مع مداخلات عربية، (تر: فايز الصياغ)، ط4، منشورات المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009، ص76.

² - أمال كرز، الممارسات الثقافية في التربية والتعليم، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2018، ص23-24.

³ - صبرينة جامع، الضبط الاجتماعي، منظور نظري، مجلة العلوم الإنسانية، عدد47، جامعة بسكرة، الجزائر، 2017، ص567.

وطبيعتها، ليضمن المجتمع نوعاً من الامتثال والطاعة والخضوع، وتهذيب الخارجين عن القواعد والنظم الاجتماعية التي تهدد كيان الجماعة أو التنظيم الاجتماعي ككل»¹، ومن هنا فإن الخروج عن قواعد السلوك العامة التي يحددها المجتمع تظهر في سلوكيات يخرج فيها البعض عن هذه القواعد مثل تدوين خطابات التهديد والعنف والإساءة للآخرين على سطوح الجدران، فحسب منظور الضبط الاجتماعي فإن أفعال كهذه والتي تدخل ضمن الانحراف والجريمة «تنتج عندما تكون الروابط الاجتماعية متصدعة أو ضعيفة، ففي ظل هشاشة العلاقات الاجتماعية مع المؤسسات التقليدية في المجتمع، يكون الفرد أبعد عن الامتثال مع السلوك التوافقي، فالانحراف والجريمة وحتى الاستمرار فيهما ينتج على مستوى المجتمع لما تكون الروابط الاجتماعية معتلة وظيفياً»²، أي أن مؤسسات الضبط لا تلعب دورها المنوط بها، وبالتالي يحيد الأفراد عن إتباع منظومة القيم والمعايير المتفق عليها في المجتمع.

تأتي نظرية الضبط لتؤكد أن «العنف يعتبر استجابة للبناء الاجتماعي، حيث يظهر العنف عندما يفشل المجتمع في وضع قيود وضوابط محكمة علي أعضائه، بمعنى أن العنف يظهر كنتيجة لضعف البناء الاجتماعي، وخلوه من القيود والضوابط الاجتماعية المحكمة لضبط سلوك أفراد المجتمع. كما تؤكد النظرية أن خط الدفاع الاجتماعي الأول بالنسبة للمجتمع يتمثل في

¹ -عبد الله محمد بن عبد الرحمان، علم الاجتماع، النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص219.

² - سمير يونس، إسهامات منظور الضبط الاجتماعي في دراسة الجريمة، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مجلد 5، عدد 3، جامعة جيجل، الجزائر، 2022، ص78.

معايير الجماعة التي لا تشجع العنف وترفضه، لأنه سلوك غير مقبول ومستتهجن اجتماعياً، والأسر التي تقفل في ضبط سلوكيات أفرادها سيتم ضبطها بقوة القانون»¹.

تظهر وسائل الضبط وأدواته في صور شتى ومتعددة، منها «ما هو مكتوب ومدون ويتمثل في القانون الوضعي الذي تتولاه الهيئات التشريعية في المجتمع، ومنها ما هو غير مكتوب يظهر في العادات والتقاليد والأعراف، والرأي العام والأخلاق... وغيرها»²، فالقانون الوضعي يضبط سلوكيات عديدة للأفراد ويكبحها من خلال توقيع عقوبات عليها كسلوك الكتابة الحائطية، والباقي تتكفل به وسائل الضبط غير الرسمية وهذا ما يفسر عدم اتجاه كثيرين نحو هذه الممارسة بالرغم من أنهم يقطنون نفس المنطقة ويعيشون في مجتمع واحد.

يرى إدوارد روس *E. Ross* وهو أحد أهم منظري هذه النظرية أن «النظام في المجتمع لا يعتبر سلوكاً غريزياً أو تلقائياً، إنما ينشأ نتيجة الضبط الاجتماعي والذي بدوره يخلق أشكالاً سوية من النظام تساعد على تحقيق الاستقرار الاجتماعي»³، والعكس صحيح، فإن غياب الضبط الاجتماعي داخل المجتمع فإنه يفتح الباب أمام السلوكيات الانحرافية والجرامية.

¹ - محمد سلام، ثقافة العنف لدى طلبة المدارس الثانوية، الأزمة والمواجهة، ط1، دار الكتب المصرية، مصر، 2012، ص31.

² - إبراهيم أبو الغار، علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق، مصر، (د س)، ص198.

³ - إبراهيم أبو الغار، المرجع السابق، ص191.

4.7. مقارنة النوافذ المكسرة: ظهرت هذه النظرية عام 1982 من خلال مقال نشره العالم

السياسي جيمس، ك ويلسون (J,Q, Wilson) وعالم الجريمة جورج كيلنج (J,Kelling) بمجلة الأطلنطي الشهرية وعنوانه **النوافذ المكسرة (Broken Windows)**¹، وقد استخدم الباحثان صورة النوافذ المكسرة كمثال يوضحان من خلاله كيف أن المناطق الحضرية والأحياء تدخل إلى مرحلة التدهور «Dégradation» والفوضى ثم الجريمة، وضرباً مثلاً بأن إحدى النوافذ المكسرة في مبنى مصنع معين قد توحى للمارة بأنه لا يوجد أحد يهتم بهذا المكان، وبمرور الوقت يتم تكسير عدد آخر من هذه النوافذ بسبب ما قد يلقيه الشباب من حجارة عليها، ثم يبدأ المارة بالتفكير في أنه لا يوجد من يهتم بهذا الحي، وإن حالة الإهمال التي تحل بهذا المكان تجعل الشباب المنحرف يعتقد أن هذا المكان مكان للجريمة، والتي تبدأ بالجرائم البسيطة ك التشرد والتسول والشذوذ الجنسي، واستهلاك الخمر إلى أن تصل إلى الجرائم الكبرى كالقتل مثلاً².

يشتمل افتراض هذه النظرية حول النوافذ المكسرة من خلال ملاحظتنا لبعض المباني المهجورة في المدينة، أن وجود كتابات معينة على حائط داخل حي معين يمكن أن تفتح المجال إلى أشخاص آخرين يمارسون فعل الكتابة مراراً وتكراراً في نفس المنطقة، الأمر الذي يحفز باقي الأفراد المنحرفين على ارتياد مكان تملؤه أصناف هذه الكتابات مما يدل على خلو المكان من الرقابة والضبط، هذا ما يثير المنحرفين ويشعرهم بمزيد من الميل نحو الجرائم الصغيرة في هذه الأماكن التي يحتلونها ما دامت منسية، ويمارسون فيها طقوسهم الانحرافية المتنوعة التي تتعدى الجرائم البسيطة نحو الجرائم الخطيرة مثل: الاغتصاب والسرقة والقتل..، فالكتابة الحائطية الكثيفة

¹-James Q. Wilson and George L. Kelling, *Broken Windows*, March, 1982, In [http://faculty.washington.edu/matsueda/courses/587/readings/Wilson%20and%20Kelling%20\(1982\).pdf](http://faculty.washington.edu/matsueda/courses/587/readings/Wilson%20and%20Kelling%20(1982).pdf), 12 Jan 2022.

²- الطاهر سواكري، إسهامات نظرية النوافذ المكسرة في تفسير الجريمة والانحراف، مجلة حوليات، العدد 29، جامعة الجزائر 1، 2016، ص ص191-192.

في منطقة مهجورة يتم إهمالها من طرف السلطة المدنية، قد تجذب دائما منحرفين جدد إليها ما يعني تشارك ثقافة فرعية إجرامية كلما كثر العدد، «كما لا يمكن لأفراد المجتمع أن يكونوا وحدهم قادرين على الحفاظ على الأمن في هذه الأحياء، فمن الواضح أن الشرطة هي المفتاح لأمر صيانة هذه الأماكن»¹.

تتطلب النظرية كذلك من الفرضية القائلة أن «الفوضى البسيطة في علاقات الأفراد داخل المجتمع مثل تواجد الشباب في مداخل العمارات والذين يتسببون في الفوضى ويتصرفون بأفعال لا أخلاقية، فهذه الفوضى تشجع بعض المجرمين على ارتكاب الجرائم الخطيرة في هذه المناطق، وجوهر هذه النظرية هو عدم التسامح مع الأخطاء مهما صغرت والتركيز على أن يشعر الناس أنهم يعيشون ضمن إطار نظام لا يرحب بالفوضى والخطأ، لأن الناس بطبعهم يحبون ذلك، وسيلتزمون بالنظام عندها»²، وينطبق الأمر كذلك على الكتابة الحائطية، فإن لم يتم إزالة كل كتابة أو رسم وقت كتابتها، فإن الأمر يتفاقم ويؤكد على غياب الرقابة لذلك المكان، فالتنفيذ السريع في إزالة الكتابات من على الحائط يساهم في استعادة المكان وزيادة مؤشر الضبط الاجتماعي داخل هذا الفضاء، وهو الأمر الذي تذهب إليه النظرية حيث تركز على أن الاهتمام بالانحرافات والجنح الصغيرة يساعد في إنشاء مجتمع منظم قانونيا يشعر فيه الأفراد بالأمان، والعمل على الامتثال لها. تقوم النظرية كذلك على فكرة أن التأخر في معالجة أي مظهر من مظاهر الفوضى في مكان وبيئة معينة، سيؤثر على رؤى الأفراد ومواقفهم وتصرفاتهم تجاه هذا المكان. كما تفيد النظرية أنه في أي لحظة يمكن أن ينزلق الحي أو المنطقة في مستنقع الجريمة والسلوكات الانحرافية التي

¹ -James Q. Wilson and George L. Kelling, *Op cit*, p02.

² - الطاهر بلعيساوي & نذير بوحنيكة، المداخل النظرية لظاهرة العنف لدى الشباب، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، مجلد 03، عدد 04، جامعة جيجل، 2020، ص ص39-40.

تكون كتابات حائطية إحدى مؤشرات السلبية، هي تعمل على ترسيخ أفكار وإيديولوجيا معينة لدى المراهقين والشباب، كما يظهر أن بعض البنايات مهجورة بسبب غياب مالكيها أو وفاتهم أو كونها عقارات متنازع عنها، فيتم تركها للنسيان وتصبح عرضة للإتلاف وإرسال الرسائل المشفرة، ومما لاحظناه في دراستنا الميدانية أن الأحياء التي تكثر فيها الكتابة على الحائط، تتواجد بها أكياس القمامة بكثرة ما يفسر عن الاهتمام بالمكان حتى من جانب النظافة، وفي سياق آخر فإن وجود الكتابات الحائطية بكثافة على البنايات والعقارات الخاصة يشير إلى عدم اهتمام مالكي وأصحاب هذه البنايات بالحفاظ على ممتلكاتهم الخاصة، الأمر الذي يساعد المجرمين على عمليات السرقة والسطو وفرض منطقهم العنفي في تسيير تجارتهم وتفعيل علاقاتهم المشبوهة، نظراً للانطباع الذي يتركه مظهر المكان خاصة في ظل غياب الرقابة والأمن.

إن ظاهرة الكتابة الحائطية حسب نظرية النوافذ المكسورة لها تأثير تراكمي خطير، فظهور كتابة واحدة على سطح جدار ما بإمكانه أن ينتج المزيد من الكتابات الحائطية المسيئة وغير الأخلاقية، ومع مرور الوقت تأخذ هذه الكتابات أشكالاً مختلفة غير قانونية، كـ «شعارات التهديد والتشهير والجهر بالمعصية وسب الدين وإفشاء الأسرار والأمانات، ناهيك عن عمليات الابتزاز والأعمال الانتقامية»، وكل هذا من شأنه أن يؤثر على تنشئة الشباب والمراهقين والأطفال ويغذي لديهم الشعور بالإقصاء والدونية خاصة مع تدني الخدمات المؤسساتية في الأحياء التي يقطنون بها.

8. منهجية الدراسة:

1.8. مناهج البحث: في إطار البحوث العلمية كثيراً ما تملي عليك طبيعة الموضوع نوعية المناهج أو المنهج المستخدم الذي عليك إتباعه واستخدامه لتنظيم عملية البحث في الدراسة، ولهذا يعرف المنهج على أنه: «مجموع الأساليب والمداخل المتعددة التي يستخدمها الباحث في جميع البيانات اللازمة لبحثه، والتي سيصل من خلالها إلى نتائج أو تفسيرات أو تنبؤات أو نظريات»¹، والدراسة التي بين أيدينا تقع ضمن ما يسمى بـ البحوث الموضوعاتية، وبالتحديد **البحوث الوصفية** ومن هنا اعتمدنا على **المنهج الوصفي** وهو «المنهج الذي يقوم على وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد على صورة نوعية أو كمية رقمية، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفا رقميا للظاهرة»².

حاولنا وصف ظاهرة الكتابات وصفا موضوعيا لغرض تشخيص الملامح الأساسية لها وخصوصيتها داخل مكان الظاهرة، ومدى ارتباطها بمتغيرات البحث، وهو ما يعكس حرصنا على مدى التركيز على الوصف الدقيق والتفصيلي المرفق بالتحليل على مستويات عدة (كمي، كيفي، سيمولوجي، سوسولوجي) الذي نحاول أن نصل إليه من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

تم الاعتماد كذلك على **المنهج التاريخي** في تتبع الظاهرة المدروسة وتعتمد على «الأسلوب الذي يتبعه الباحث من خلال التقصي عن الحقيقة مع أهمية دراسة الماضي وربطه بالحاضر قصد فهمه، ذلك من خلال الوثائق المعتمدة والتي ترد على إثرها تفسيرات علمية وتنبؤات

¹ -إبراهيم إبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص66.

² - رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسيته النظرية وممارسته العلمية، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2000، ص183.

وتصورات للظواهر المراد دراستها»¹، أي بتتبع السياق التاريخي التي وردت وتشكلت فيه ظاهرة الكتابات الحائطية مع تطور أشكالها على مختلف الأزمنة، ذلك أن الاتجاه التاريخي ضروري ومهم للغاية في فهم الظاهرة الاجتماعية.

تم الاستعانة بالمنهج السيميولوجي في التحليل الكيفي وهو «ذلك المنهج الذي يهتم بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية في النص دراسة منتظمة...، كما يهتم بالإشارات غير اللغوية»²، إنه يكشف عن الدلالات الخفية والمستترة خلف الكلمات، ففي «السيميولوجيا إننا إزاء علامة مشبعة دلاليًا لأن مرجعها المجتمع، فتبتعد عن الحياة لتختلف أو تتعارض حسب الطبقات والفضاءات كالقول مثلاً: علامة فقر، أو علامة ترف، هذا يعني أن السيميولوجيا الاجتماعية تذكر بالقواعد الاجتماعية التي تبني الأنساق، أي أنها تتجاوز الفهم نحو التفسير»³.

كان ينبغي دعم دراستنا بتحليل بعض نماذج الكتابات الحائطية من عرضها وتحليلها سيميولوجيا كون السيميولوجيا «تتناول بالدراسة الدلالية الكامنة وراء المعنى، وكذلك معنى الإشارات والعلامات كتحليل الصورة وتفكيك مفرداتها من أجل الكشف عما تخفيه من معاني ودلالات»⁴، وليس غريباً أن تكون الجدران شاهدة على وجائع الإنسان وتحمل هموم المدون الاجتماعية واغترابه عن الواقع الاجتماعي، حيث اتجهنا إلى تفكيك دلالة الصور التي تم التقاطها وتحليلها سيميولوجيا وكيفياً ما يجعل هذا التحليل مكملاً لأداة تحليل المضمون، وبياناتها الكمية في الكشف

¹ - أحمد سويس، دور المنهج العلمي في تفسير الظاهرة الاجتماعية، المنهج التاريخي أنموذجاً، مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 5، عدد 1، 2023، ص24.

² - إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 2011، ص285.

³ - محسن بوعزيزي، السيميولوجيا الاجتماعية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010، ص47.

⁴ - يوسف تمار، أصول تحليل المضمون وتقنياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018، ص ص32-33.

عن معاني ودلالات، ومضمون ما تفرزه الكتابات، محاولين ربط هذه التحليلات بالشق السوسيولوجي للدراسة، وهو ما يقع ضمن المقاربة الاجتماعية في تحليل الصورة وهي «مقاربة تركز اهتمامها على الكشف عن الآثار التي تتركها معاني الصورة وتمارسها دلالاتها على أفراد المجتمع، وهي مقاربة لها أهميتها لأنها تعري ممارسات الصرة على أرض الواقع»¹، وقد تم الاعتماد على بعض العناصر الهامة في التحليل السميولوجي كدلالة الألوان والخط واللغة وموضع الكتابة الحائطية.

تم التركيز كذلك على المنهج الكيفي في جمع لمعلومات والبيانات بغرض الوصول إلى استنتاجات تضيف قيمة لهذه الدراسة، وذلك بعد الاطلاع والقراءة المستمرة حول الموضوع وربط ذلك بما يحضر بين أيدينا من معلومات، والتحليل الكيفي يعتمد «اعتمادا كثيرا على مهارات الباحث التحليلية والإدماجية ومعرفته الشخصية بالسياق الاجتماعي الذي يتم فيه جمع البيانات الكيفية، فيكون التركيز في التحليل الكيفي على صنع المعنى أو فهم الظاهرة بدل التوقع أو التفسير لذا فهو يحتاج إلى فكر إبداعي»²، وبخصوص التحليل الكيفي في موضوع كالكتابات الحائطية فإنه يتميز «بتعامله مع بيانات مكتوبة كالكلمات، ويتضمن القليل من القياسات الكمية والتقنيات، ويهدف إلى تحويل البيانات النوعية وتفسيرها بطريقة علمية منظمة ودقيقة، إذ تعتمد عملية التحليل الكيفي للبيانات أكثر عمقا وتركيزا وتفضيلا من التحليل الكيفي»³.

¹ - الزهراء زرقين & أحمد عماد الدين خواني، مستويات تحليل الصورة من العتبات السميولوجية إلى المقاربات السوسيولوجية، مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، العدد 6، 2020، ص 109.

² - فضيل دليو، البحوث الكيفية، إجراءات تطبيقية، ط1، دار ألفا للوثائق، 2023، الجزائر، ص 225.

³ - سوتيربوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، (تر: شحدة فارغ)، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017، ص 585.

2.8. تقنيات الدراسة:

أ. **المقابلة:** تم إجراء مقابلات مع أفراد تم مصادفتهم في مجال البحث، حيث ساعدتنا في تقصي بعض المعلومات الهامة في موضوعة الدراسة وتبيان عناصرها، من خلال تسجيل آرائهم وانطباعاتهم وتصوراتهم حول ظاهرة عنف اللغة، وحول الكتابات التي يتم إنتاجها في الأحياء الشعبية المدروسة، والكيفية التي بالإمكان أن تؤثر بها على تنشئة الشباب والمراهقين الذين يقطنون بها وكيفية التعامل معها؟، وحول الأسباب التي تجعلهم ينساقون نحو الممارسات العنفية والسلوكات الإجرامية.

ب. **الملاحظة:** تعتبر الملاحظة واحدة من أهم أدوات البحث العلمي في ميدان العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة، لما لها من مصداقية ودقة أكثر من مثيلاتها في يخص تقنيات البحث التي يعتمد إليها الباحث في الاستعانة بها في بحثه، فالملاحظة أداة ترافق الباحث طيلة بحثه الميداني بغض النظر عن نوعها وطبيعتها واستعمالها، فهي تقدم المعلومات من خلال الفحص المستمر والمتابعة والملاحظة القائمة على أسس علمية ما يجعلها تتفوق على نظيراتها من أدوات البحث الأخرى والتي قد لا تعكس في بعض الأحيان ما يقوله المبحوثين سواء شفهيًا أو كتابيًا بشكل دقيق، وما نعينه هنا بالملاحظة لا يدخل ضمن الملاحظة العادية لسلوك معين في مجتمع ما، ولكن الملاحظة هنا هي ذلك «الانتباه المقصود والموجه نحو سلوك فردي أو جماعي بقصد متابعته ورصد تغيراته لتمكين الباحث بذلك من وصف السلوك فقط، أو وصفه وتحليله، أو وصفه وتقويمه»¹، وقبل التطرق إلى نوع الملاحظة التي اعتمدنا عليها بالتحديد لا نخفي أننا في بداية البحث قد عرجنا على الملاحظة البسيطة في دراستنا الاستطلاعية أول البحث، وقد تم

¹ -علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، الأساسيات والتقنيات والأساليب، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، 2008، ص227.

الاستعانة بهذه الملاحظة كقاعدة ارتكاز للبحث الميداني وهي ما يلجأ إليها الباحث عادة في البحوث السوسولوجية، فهي تمكنه من فهم طبيعة الظاهرة التي يود دراستها والتقيب عنها، كما تساعد على التزود ببعض المعلومات الأولية والتي تعتبر حجر الأساس في كثير من الأحيان للانطلاق في الدراسة الميدانية، خصوصاً عندما يتعلق الأمر ببحوث ميدانية على شاكلة البحث في أغوار الكتابات الحائطية والتي تتطلب النزول إلى الميدان والانطلاق منه بعد الملاحظة المستمرة والدقيقة والتي لا يمكن تطبيقها قبل البدء بملاحظة بسيطة توقظ في نفس الباحث عدة تساؤلات في بحثه يسعى للإجابة عندها بعد الخوض في الملاحظة العلمية الدقيقة.

استعنا بالملاحظة المباشرة، وتسمى كذلك بالملاحظة غير المشاركة ويقصد بها ذلك «النوع من أنواع طرق الملاحظة لا يشارك الباحث من خلالها في النشاطات التي هي قيد الدراسة أو البحث وإنما يكفي بدور المتفرج أو الملاحظ فقط»¹، حيث كنا نتنقل بين الأحياء ونقوم بتسجيل ملاحظتنا طيلة إنجاز البحث، حيث لاحظنا أن هناك أحياء لا يزال تربط بين سكانها علاقات الجوار منذ فترة زمنية قد تتجاوز 50 سنة، ما يجعل الكتابات الحائطية تتجاوز عبارات المنع والعبارات الدعائية نحو العبارات التشهير والقذف والسب والشتم لكن لم تتح لنا الفرصة في الكثير من الأحياء لتصويرها وإثباتها بسرعة قبل أن يتم طمسها وإخفاؤها، لذلك كنا نحاول التقصي حولها بإجراء مقابلات مع السكان، ونعتقد أنها كانت مجدية في بعض الحالات.

الملاحظة في الأحياء: تركزت ملاحظتنا في البحث والتقيب على مجموعة الكتابات والخرشيات والرسومات والرموز المنتشرة على مختلف جدران مجال الدراسة، والملاحظة المستمرة والدقيقة لهذه الكتابات بالاستعانة بدفتر ملاحظات، والذي يطلق عليه تسمية صحيفة الملاحظة في

¹ -رشدي القواسمة وآخرون، مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2012، فلسطين، ص214.

الأدبيات المنهجية، والغرض منه المساعدة في تدوين الملاحظات، والتفاصيل التي تم ملاحظتها على غرار مكان الكتابة الحائطية، وموقعها بالتحديد ووقت تصويرها، وموضع الكتابة من على حاملها بالضبط، إذ لم يتم الاكتفاء بهذه الملاحظات فقط بل حاولنا التعرف على نمط العيش داخل هذه الأحياء، وخصوصية كل حي منها، الأمر الذي قد يساعدنا في تصنيف هذه الكتابات وتحليلها لاحقاً، فالأحياء تختلف جغرافياً وسكانياً واجتماعياً، ما يجعلنا لا نغفل هذه العوامل المهمة في عملية الملاحظة والتفسير.

ج. تحليل المضمون: هناك الكثير من الباحثين في مجال منهجية البحث العلمي يقرّون أن تحليل المضمون يمكن أن يكون منهجاً أو تقنية وأداة وأسلوب بحث أكثر من كونه منهجاً ومنهم من يستبعد ذلك تماماً فيؤكد أنه يصلح أن يكون أداة بحث فقط، ولعل أبرزهم برنار برلسون *Bernard Berelson*، والذي يعرفه على أنه «تقنية بحث تفيد في الوصف الموضوعي، والمنظم والكمي للمحتوى الظاهر للرسائل الاتصالية»¹، وأهم الأسباب وراء استعمالنا لهذه التقنية هو محاولة الوصول إلى عملية قراءة وتحليل لمحتوى ومضمون الكتابات الحائطية (كتابة، رسماً، رمزاً...) مع أبعاد ذاتية الباحث خلال عملية التحليل محاولين ترك الانطباعات والتأويلات المباشرة والشخصية جانبا، والاعتماد على التحليلات التي تصب في موضوع الدراسة بطريقة منهجية تفضي إلى نتائج علمية.

تم إعداد نموذج تحليل المضمون أو استمارة للتحليل، من خلال ضبط مشكلة الدراسة وأهداف البحث وهي أولى خطوات تطبيق هذه التقنية مع تحديد وحدة التحليل المناسبة لبحثنا مع

¹ -يوسف تمار، المرجع السابق، ص12.

تعيين فئات التحليل وتقسيمها بما يتناسب وطبيعة الدراسة، ثم التوجه إلى تحليل نتائج كل فرضية ومناقشتها بالاستعانة بالتحليل الكمي والكيفي، ومنه إلى مناقشة نتائج الدراسة.

خطوات تحليل المحتوى: كغيره من طرق البحث المختلفة فإنه يجب على الباحث الالتزام بخطوات إجرائية مهمة يمكن ترتيبها كالآتي:

- الإحاطة بمشكلة البحث
 - تحديد أهداف البحث
 - الإشارة إلى البيانات الأولية للمضمون محل التحليل
 - ضبط وحدات التحليل وتعيين فئات التحليل مع الملاحظات
 - تفرغ البيانات تفرغاً كمياً وتحليلها تحليلًا كيفياً
 - سرد النتائج وتفسيرها ومناقشتها
- بعد صياغة مشكلة البحث وفروضه وهي أولى الخطوات، وكذا تحديد مجتمع البحث وعينة الدراسة تحديداً دقيقاً وجب التطرق إلى خطوة مهمة هي الأخرى في هذا الصدد ألا وهي عملية ضبط وحدة التحليل *Unit of Analysis* أي ما هي وحدة التحليل التي تناسب موضوعنا بحيث يمكن الاعتماد عليها في عملية تحليل البيانات المتحصل عليها، وبعدها تعيين فئات التحليل التي يختارها الباحث بما يتناسب وموضوعه وأهداف بحثه.

ضبط وحدات التحليل: هي خطوة مهمة جداً في عملية تحليل المحتوى، وتقيد بضرورة اختيار وحدة التحليل التي يعتمد عليها الباحث في تحليله، والمقصود بوحدة التحليل هي: «أصغر عنصر في تقنية تحليل المضمون، وفي معناها الدقيق هي الوسيلة القياسية التي يتبناها الباحث عند تحليله للمضمون قصد قياس مدى تواجد أو عدم تواجد مكونات الفئة، فهي تلك المقاطع

المحددة في المضمون والتي قرر الباحث إدراجها»¹، وهناك مجموعة من الوحدات في التحليل يمكن حصرها في أكثرها استعمالاً وانتشاراً في هكذا بحوث والتي تعتمد على تقنية تحليل المضمون، وأشهر الوحدات هي (وحدة الموضوع أو المادة، وحدة الفقرة، وحدة العبارة، وحدة الجملة، وحدة الفكرة، وحدة الشخصية، وحدة اللقطة أو الزمن، وحدة الكلمة وهي أصغر وحدة)، ولأن اختيار وحدة التحليل كثيراً ما تمليها طبيعة البحث والموضوع محل الدراسة وكذا ماهية وطبيعة المضمون الذي نحن بصدد تحليله فإنه تم اختيار **وحدة الفكرة** في دراستنا هذه والتي تتلخص في أنها «أكثر وحدات التحليل استعمالاً في البحوث التي تستعين بأداة تحليل المضمون، وهي لا تتوقف عند حدود معينة كالكلمة أو الفقرة، بل تمتد ما امتد معناها، فقد تكون في كلمات معدودات أو جمل طويلة أو فقرة»²، فنحن هنا أمام معرفة الأفكار التي تقوم عليها الكتابات الحائطية وما تحمله من دلالات خاصة ما تعلق بأفكار العنف (عنف اللغة، العنف الرمزي) والتي تتضمنها الكلمة أو العبارة أو الجملة مع الإشارة أن طبيعة الصور المختارة كعينة البحث قد لا تتوفر فيها الكلمات والعبارات والجمل وال فقرات فقط، وإنما قد تتمثل برسومات ورموز وعلامات مما يجعلنا مرغمين على ترجمتها إلى أفكار بغية الوصول إلى نتائج دقيقة في عملية التحليل.

تعيين فئات التحليل: يتفق الكثير من الباحثين أن تعيين فئات التحليل هو أهم خطوة في التوجه إلى تقنية تحليل المضمون، وتوظيفها في الدراسة فلا تحليل دون اللجوء والاستعانة بفئات التحليل والتي نعني بها: «عملية تجزئة المحتوى إلى وحدات قابلة للقياس والعد، انطلاقاً من جمع الخصائص أو الأوزان أو السمات المشتركة في المحتوى وإعادة تصنيفها في عناوين جامعة ذات

¹ - يوسف تمار، المرجع السابق، ص151.

² - يوسف تمار، المرجع السابق، ص155.

دلالة لها علاقة مباشرة بإشكالية الدراسة وتساؤلاتها¹، وهناك تصنيفات عديدة لفئات التحليل لا يمكننا ذكرها كلها، مع الإشارة إلى الباحث ليس مرغما على توظيف كل فئات التحليل المعروفة بل عليه أن يكتفي في كثير من الأحيان بتعيين الفئات التي تتلاءم وطبيعة المضمون محل الدراسة وخصوصية بحثه، وعادة ما يتم تعيين فئات التحليل على أساس النموذج الذي وضعه برنار برلسون، وقسمه لقسمين أساسيين:

1. الفئات الخاصة بالمضمون: أي ماذا قيل، وقد تم اختيار الفئات التي تندرج في القسم

وما رأيناه يناسب بحثنا، وهي كالآتي:

1-1. فئة الموضوع: هي من أكثر الفئات استخداما وعادة تشمل المواضيع التي عالجها

أو تضمنها المحتوى المراد تحليله، وهي مجمل المواضيع والأفكار المتعلقة بالعنف من خلال الكتابات الحائطية (عنف اللغة، عنف رمزي، عنف احتجاجي، عنف مادي).

1-2. فئة المصدر: نقصد بها أماكن عرض وإنتاج الكتابات الحائطية في مختلف الأحياء محل

الدراسة.

2. الفئات الخاصة بالشكل: أي كيف قيل، وبخصوص هذا القسم فقد وقع الاختيار على الفئات

التالية:

1-2. فئة اللغة: نقصد بها طبيعة اللغة التي كتبت بها الكتابات الحائطية محل الدراسة.

¹ -محمد البشير بن طبة، تحليل المحتوى في بحوث الاتصال، مقاربات في الإشكاليات والصعوبات، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 14/13، جامعة الوادي، 2015، الجزائر، ص321.

2-2. فئة شكل العبارات: يقصد بها بناء الجمل والعبارات من حيث التركيبات النحوية والأسلوبية، مع التركيز على الخطأ اللغوي في الكتابة على الحائط والعنف ضد اللغة نفسها من طرف الممارس لهذه الكتابات.

2-3. فئة جذب الاهتمام: يتم التركيز فيها على نقاط جذب الاهتمام مثل عرض مادة المضمون بالألوان أو بدونها وهل كانت مرفقة برسومات أم لا، وهو ما تحتويه بعض الكتابات الحائطية من رسومات ورموز وبألوان مختلفة، فهي لم تقتصر على الكتابة فقط.

إجراءات ضبط التحليل:

تعد طريقة إعادة الاختبار *Retest* من أكثر الطرق مناسبة لتقدير الثبات في دراسات تحليل المضمون، وهي تقوم على أساس «إجراء التحليل مرتين على مادة الاتصال نفسها، وذلك لتحديد العلاقة بينهما في شكل درجة معينة تعتبر مؤشرا لمعامل الثبات إذ تكشف عن مدى الاتفاق بين التحليلين، وكلما كانت هذه الدرجة مرتفعة كان معامل الثبات عاليا، وهي أن يقوم بتحليل المادة نفسها باحثان، وفي مثل هذه الحالة يلتقي الباحثان في بداية التحليل للاتفاق على أسسه وإجراءاته، ثم ينفرد كل منهما للقيام بتحليل عينة من المادة موضوع الدراسة، ثم يلتقيان في نهاية التحليل لبيان العلاقة بين النتائج التي توصل كل منهما إليها»¹، وتم إسناد عينة التحليل المنجزة إلى محكمين خارجيين (جامعة الجزائر3 وجامعة عنابة) واستعمال ذات الأداة التي استعملها الباحث.

¹ -محمد عبد الرؤوف عطية، تحليل المضمون بين النظرية والتطبيق، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، مصر، 2022، ص34.

3.8. مجتمع البحث:

أ- مجتمع البحث: يمثل «جميع مفردات أو وحدات الظاهرة تحت البحث، ويعرف كذلك على أنه كل الأفراد الذين يحملون بيانات الظاهرة التي هي تحت الدراسة فهو مجموع وحدات البحث التي يراد منها الحصول على البيانات»¹، وحسب دراستنا «يتمثل مجتمع الدراسة يتمثل في كل الكتابات الحائطية المتواجدة على مستوى الأحياء التي ركزنا عليها في انجاز هذا البحث».

تمثل العينة «ذلك الجزء من المجتمع الذي تجرى عليه الدراسة، يختارها الباحث لإجراء دراسته وفق قواعد خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً»²، وبخصوص اختيار عينة التحليل في بحثنا هذا فقد توجهنا إلى العينات العشوائية غير الاحتمالية وبالضبط إلى «العينة القصدية» وهي «تلك العينة التي يعتمد فيها الباحث اختيار أفراد عينته بحيث لا تتحقق في كل منهم شروط معينة، ويستخدم هذا النوع من العينات عندما يكون الفرد في وحدة كبيرة، ويعتمد على أساس خبرة الباحث وحسن تقديره»³.

تمثلت عينة البحث في مجموعة الكتابات الحائطية التي تم تصويرها (عن طريق الكاميرا) قبل أن يتم محوها من طرف السكان أو السلطات المحلية، وتم اختيارها وفق توجهات البحث، بغية الوصول لمعطيات كيفية تساعدنا على فهم الظاهرة المدروسة، ومنه ركزنا في اختيار عينة من الكتابات الحائطية التي تحمل دلالات العنف بأشكاله المتعددة، وقدرت بـ 173 من 484 أجمالية صورة لكتابات حائطية من مجمل الصور التي حصلنا عليها وتم استبعاد الكثير منها نظراً لتكرار

¹ -علي معمر عبد المؤمن، مرجع سابق، ص 77.

² -رحيم يونس كرو العزاوي، مقدمة في منهج البحث العلمي، ط1، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، 2008، ص 161.

³ -علي معمر عبد المؤمن، مرجع سابق، ص 191.

المواضيع المتناولة، فهناك ما اقتصر على كتابات إعلانية تجارية وأخرى على خريشات غير مفهومة وأخرى مكتوبة بطريقة مبهمّة أو صعبة القراءة، ومنها من هي مبتورة الكلمات، وأخرى عبارة عن خطوط وأشكال غير واضحة.

3.8. المجال المكاني والزمني:

أ-المجال المكاني: أجرينا هذه الدراسة في مدينة الشلف، وبالضبط في مجموعة من أحياء مدينة الشلف المعروفة: حي الحرية (الفيرم)، حي السلام (البقعة)، حي الشريف (لاسيبي سابقا)، حي المصالحة، الشلف مركز (وسط المدينة)، وسبب اختيارنا لهذه الأحياء نظرا للكثافة السكانية التي تقطن بها والتفاعلات الاجتماعية التي تشهدها، وانطلاقاً من نسب الجرائم والانحرافات التي تحدث بها بشكل متميز حسب طبيعة المكان، وللاعتبارات الثلاث النمط العمراني، والذهنيات الثقافية المرتبطة، وللعناصر المتعلقة بالمستوى الاقتصادي الي تعيش فيه المجموعات الاجتماعية، وحاولنا قد الإمكان الربط بين الجانب النظري (منهجية الدراسة) والجانب الميداني من خلال مواصلة قراءة الدراسات المنجزة، وتسجيل الكثير من الملاحظات وتصوير الصور والعودة إليها مرة أخرى لتسجيل ملاحظات جديدة.

ب- المجال الزمني: بدأنا هذه الدراسة منذ سنة 2018 إلى غاية نهاية 2023، أي مدة ثلاث (04) سنوات، (تتخللها فترة كورونا)، وكان الاشتغال في ذهاب وإياب بين الدراسات النظرية والجانب الميداني الذي كان متعبا نوعا ما، خاصة في أوقات الصيف، حيث تكثر -في نظرنا- مثل هذه الممارسات الثقافية بالموازاة مع قضايا الجرائم والانحرافات بسبب البيئة والتنشئة الاجتماعية التي يعيش فيها أفراد المجتمع ولأسباب أخرى (قد تكون حرارة الصيف، والوراثة...)،

وفي الأوقات الليلية، وللأسف لم يتسن لنا المشاركة بالملاحظة نظرا لصعوبات موضوعية اعترت الدراسة خاصة في فترة كورونا التي جعلتنا ننقطع عن الميدان حتى كدنا نياأس.

9. مفاهيم الدراسة:

9-1. الكتابات الحائطية (Graffiti): لغة إن لفظ الكتابة على الجدران أو الغرافيتي «لم يوجد ضمن المعاجم العربية بهذا المفهوم، وإنما وجد على سبيل المثال في لسان العرب بلفظ خريشة من الفعل خريش حيث يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب: وَقَعَ الْقَوْمُ فِي خَرِيشٍ وَخَرِيشٍ أَيْ اخْتِلَاطٍ وَصَخَبٍ وَالْخَرِيشَةُ: إِفْسَادُ الْعَمَلِ وَالْكِتَابِ وَنَحْوَهُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: كَتَبَ كِتَابًا مُخَرِيشًا، وَكِتَابٌ مُخَرِيشٌ: مُفْسَدٌ؛ وَالْخَرِيشَةُ وَالْخَرْمِشَةُ: الْإِفْسَادُ وَالتَّشْوِيشُ. وَخَرِيشٌ: اسْمٌ»¹.

اصطلاحاً: تعرف على أنها تلك «الكتابات والرسومات الموجودة على مختلف الدعائم الموجودة في الفضاءات العمومية، والحاملة لدلالات ثقافية وسوسولوجية تساعد على وعي الحالة الاجتماعية للمجتمع»²، كما تعرف أيضا على أنها " مختلف الكتابات والرسومات غير الرسمية التي عُرفت أو كتبت على دعائم ومساحات غير مخصصة لذلك، على نحو الجدران وما شاكلها، الأعمدة، الأبواب، النوافذ، باستخدام أدوات الكتابة التقليدية (كالقلم، الطباشير...) أو الأدوات المعاصرة كالأصباغ وقنينات الرذاذ، والأقلام العريضة الصعبة المحو Encre Indélébile»³.

¹ -أبا الفضل جمال محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج 6، دار صادر، لبنان، 1968، ص295.

² - طيبي غماري، مرجع سابق، ص104.

³ - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، مرجع سابق، ص13.

9-2. العنف (Violence): ورد في موسوعة لالاند الفلسفية أن كلمة عنف (أذى): هي

«سمة ظاهرة أو عمل عنيف Violent بالمعاني، وألحق الأذى بنفسه أي ألحق الأذى بطبيعته، كما يشير اللفظ إلى الاستعمال غير المشروع أو على الأقل غير القانوني للقوة»¹، وورد في المعجم الفلسفي بخصوص كلمة عنف أنها «اللفظة الأجنبية Violence وتعني عنف مكونة من مقطعين: *vi* وهو مقطع مأخوذ من نفس الجذر المأخوذ عنه لفظ *vitality* أي حيوية، كما أن كلمة *violence* مشتقة أيضا من الكلمة اللاتينية *violare* التي تعني ينتهك أو يؤذي أو يغتصب، كما توجد ثمة علاقة، في اللغة اليونانية، بين *bios* أي حياة، واللفظة *bia* أي عنف»²، ونقول «أخذه أخذا عنيفا أي شديدا وقاسيا، فالعنف لغة يرادف الشدة ويستبطن القسوة، لكنه محايد في دلالاته اللغوية بالنسبة إلى العدوان والاعتداء، وربما يكون العمل التأديبي شديدا وقاسيا لكنه ليس اعتداء وإنما عقوبة المعتدي جزاء عمله، فهو هنا أحد المفردات العملية للقوة»³. وورد في معجم لغة الفقهاء أن «لفظ عنف بضم السكون، هو معالجة الأمور بالشدة والغلظة»⁴، ونلاحظ من خلال ما سبق في تعريف العنف لغة يشير على العموم إلى معاني الشدة والقسوة والضرر للآخر، وهو وسيلة يعاقب عليها القانون عند استخدامها اتجاه الآخرين، فالعنف يمثل صفة غير قانونية تهدف لإيذاء الأفراد بطرق عديدة وأشكال مختلفة، والعنف فعل لا تعترف به ولا تقبله القواعد المنظمة لسلوك الجماعة في المجتمع، يخلف آثار نفسية وجسمية ومعنوية على ضحاياه.

¹ - اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، (تر: خليل أحمد خليل)، ط 2، مج 1، منشورات عويدات، لبنان، 2001، ص ص 1554-1555.

² - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط 5، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007، ص 441.

³ - ماجد الغرباوي، تحديات العنف، ط 1، العارف للمطبوعات، لبنان، 2009، ص 42.

⁴ - محمد رواس قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ط 1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص 292.

التعريف الاصطلاحي: العنف هو «السلوك الذي يزيل الخصم أو يجعله يغير تصرفاته أو موافقه لكيلا يعيق المعتدي»¹، وجاء في قاموس الشامل أن المقصود بلفظ عنف هو «استخدام القوة المادية لإلحاق الأذى أو الضرر بأشخاص أو ممتلكات»²، ويرتبط العنف «بالتعسف على الغير وباللجوء إلى القوة لإكراهه على ما لا يبتغيه، أو على نحو يجعله يتأذى معنويا أو ماديا، رمزيا أو جسديا، ويشكل العنف الوجه المقابل للحق، فالعنف سلوك عدائي وغير معقول، يجد منبعه في مشاعر الكبت والحرمان التي تطال الفئات المسحوقة»³، والعنف هو «لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الآخرين ومع الواقع إذا أحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، حين تترسخ لديه القاعدة بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه»⁴.

التعريف الإجرائي: هو كل ضرب من السلوك يقوم به فرد أو مجموعة أفراد تجاه فرد أو أفراد آخرين بغية الإيذاء جسديا أو معنويا أو نفسيا أو رمزيا أو لغويا، تتعدد فيه الأسباب بين أسباب نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وعادة ما يمارس بالإكراه والتعسف، ويتخذ العنف أشكال عديدة ويوظف وسائل متنوعة لتحقيق ذلك من إيذاء للأفراد والجماعات والممتلكات، ومن بين تلك الوسائل نجد الحائط الذي يوظفه البعض في إشهار عبارات وكلمات عنيفة تحمل معاني الإساءة

¹ -ابراهيم فريد الدر، الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1983، ص358.

² -مصلح الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999، ص586.

³ -محمد سبيلا، نوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، ط1، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2017، ص ص353-354.

⁴ -مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط 9، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص165.

والتشهير والتهديد والقذف والسب وإفشاء الأسرار الشخصية للآخرين، مما قد يفضي إلى أشكال أخرى أكثر خطورة للعنف.

9-3. اللغة (Language): إن اللغة من حيث معناها العام هي " عبارة عن مجموعة

رموز تعارف الناطقون بها على دلالة ومعنى كل رمز منها، إذ يستعملونها في التفاهم بينهم كما تستخدم من قبل الإنسان بصورة دائمة (سواء كانت منطوقة أو مكتوبة)، لأنها القناة الأساسية التي يتصل من خلالها الإنسان بالآخرين ويقيم بواسطتها تفاعله معهم وينقل عبرها مشاعره وأفكاره للآخرين»¹. واللغة في رأي بعض علماء الغرب ومنهم **دي سوسير** تشمل " كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي، من رمز صوتي، أو كتابي، أو إشارة، أي أن اللغة تعني الكيان العام الذي يضم النشاط اللغوي الإنساني في صورة ثقافية منطوقة أو مكتوبة معاصرة أو متوارثة²، ويدخل ضمن هذا التعريف تلك اللغة المرتبطة بالكتابة على الحائط لاشتغالها على نشاط لغوي كتابي ورمزي.

9-4. العنف اللغوي (Symbolic violence): هو «مجموعة من الأعمال اللغوية العنيفة

ضد الآخرين، وممارسة اللغة بقسوة، وانتهاك حرمتها التواصلية والخروج بها عن وظيفتها الاجتماعية، وقد أقرّ علم اللغة النفسي أن العنف اللغوي يمتزج بالعنف الجسدي بشكل متشابك، إذ أن للعنف اللغوي آثاراً أليمة في المشاعر والعواطف»³، والعنف اللغوي هو تعبير سلبي وسلوك يستعمل اللغة بشكل عنيف ومسيء للآخرين بغرض الإساءة والإيذاء.

¹ - السيد علي شتا، علم الاجتماع اللغوي، مؤسسة شباب الجامعة، 1996، الإسكندرية، 1996، ص44.

² - توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، ط1، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1980، ص16.

³ - تاج الدين يوسف & مجدي حاج إبراهيم، رؤية الإسلام تجاه العنف اللغوي، مجلة الرسالة، السنة التاسعة، العدد9، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2009، ص73.

9-5. عنف اللغة (Language violence): إذا ما عدنا إلى المستويين المعجمي والدلالي

فإنه يعبر «عن العنف باستعمال طائفة من الكلمات التي تنتمي إلى قاموس مفردات السب والشتم والتهديد والتعنيف والتجريح، وألفاظ تحيل إلى المواضيع المحظورة كالجنس والأخلاق والدين وخدش الحياء حيث تهين وتطال العرض والشرف»¹. يشير عنف اللغة كذلك إلى «العنف الذي يمارسه الإنسان على الآخر متخذاً في اللغة مطية، فوق الكلمة على الجسد أمض من وقع السنان، وبعض الكلمات تترك تغيرات على الجسد كالكلمات التي تخدش الحياء أو تجرح مشاعر الناس، فهذا الخدش والجرح ليس تعبيراً مجازياً إنما تعبيراً عن واقع اجتماعي، إذ نلاحظ ملامح الوجه عند سماع الكلمات التي تخجل، ويبين عدد كبير من الدراسات في اللسانيات أن ظاهرة عنف اللغة المتمثلة أساساً في الكلام البذيء والسب والشتم قاسم مشترك بين جميع اللغات الإنسانية»²، ولا يتعلق الأمر بعنف اللغة في جانبه اللفظي الذي يمارس من خلال اللغة، بل يشمل الجانب المكتوب منه والمعبر به على الحائط والذي يحمل كل الصفات غير المقبولة اجتماعياً وقانونياً.

التعريف الإجرائي: هو مجموعة الكلمات والرموز والإشارات والعبارات التي تحمل في دلالتها ومضمونها عنفاً، والتي من شأنها أن تلحق أذى وضرراً على الآخرين، فتترك آثار سلبية عليهم، وتتجلى في عبارات التهديد والسب والإساءة والتشهير والجهر بمشكلة معينة، وبإمكانها أن تكون داعية للتمرد والعنف الفردي والجماعي.

يمكن اعتبار اللغة تلك السلطة القادرة على إنتاج الأفعال داخل الواقع الاجتماعي. كما يمكن أن تكون أداة لممارسة العنف، ولترجمة رغبات الأفراد التي تقضي إلى سلوكيات عنيفة،

¹ -حيدر الجراح، عنف اللغة، منشورات مجلة النبأ، www.anabaa.org تاريخ الاطلاع 2021/12/11.

² -عباس الحاج الأمين، عنف اللغة ولغة العنف في المشهد السياسي في السودان ملامح من تجلياتها ورؤى بشأن مآلاتها المستقبلية، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، دولية محكمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 15، 2016، ص77.

كالرغبة في الانتقام والابتزاز والتهديد والصدام بين الأفراد، فتخلق اللغة هنا رابطاً بين هذه الرغبات وبين الأفعال التي تتخذ صوراً وأشكالاً متعددة للعنف، كالعنف المادي والنفسي والرمزي، ومن هنا تتولد لغة عنيفة، «متمردة»، وتدوينات غاضبة محتجة بآلية تحليلية استدلالية ذات مرجعية نظرية، وتوليف علمي بين المجالات اللسانية في مسعى إلى درس أهم مظاهر الواقع الاجتماعي المعيش ممثلاً في التدوين الجداري»¹

9-6. فن الشارع (Street Art): هو أساس «انبثاق فن الشارع في البداية كان بهدف تفريغ الشحنة السلبية اتجاه السياسة والقضايا العامة الاجتماعية الصعب تناولها بشكل واضح وصريح فكان يلجأ بعض الفنانين في ترجمة مشاعر الشعب ونبض الشارع من خلال الكتابة علي الجدران باستخدام الدهانات سواء بالرش أو الدهان علي الحوائط ما يسمى بفن الجرافيتي graffiti أو الكتابة والرسم بواسطة قوالب استنسل graffiti stencil، ويشمل أيضاً فن الملصقات art poster street، ومع تطوره أصبح هناك فن الفيديو video projection، وفن تأثيث الشارع . street installations art»²، ونقصد بها في الدراسة الجداريات الفنية، فن الشارع ثلاثي الأبعاد، تسويق حرب العصابات، الرسم على الرمال، فن تجهيز الفراغ، فنون الأداء...

¹ -توفيق العلوي، نحو الشارع غرافمار، في رحيل النحو نحو الشارع، دار محمد علي للنشر، تونس، 2021، ص58.

² -تامر عبد اللطيف & مي علي ندا & رنا محمد فوزي، استخدام فن الشارع كوسيلة إعلانية موجهة للطفل، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مجلد6، عدد29، مصر، 2021، ص95. الرابط <file:///C:/Users/DZ/Desktop/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D9%87%D9%89/%D9%81%D9%82%D9%83%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%B9.pdf> تاريخ الإطلاع 2022/03/11

الفصل الثاني: الكتابات الحائطية المفهوم، التاريخ والقضايا

1. مفهوم الكتابات الحائطية
2. الجذور التاريخية للكتابات الحائطية
3. الكتابات الحائطية في العالم
4. الكتابات الحائطية في الجزائر
5. الأدوات المستخدمة في الكتابات الحائطية
6. أنواع الكتابات الحائطية
7. مواضيع الكتابات الحائطية
8. التنشئة الاجتماعية والكتابات الحائطية
9. المدينة والكتابات الحائطية

تمهيد:

أصبحت ظاهرة الكتابة الحائطية إحدى الظواهر التي يتزايد حضورها يوميا، مع أن تاريخ ظهورها الأول يمتد لآلاف السنين، إلا أنها لا تزال من أقرب الوسائل عند الفرد للتعبير من خلالها ولفت الانتباه حول قضاياها مخاطبا الآخر من خلال الحائط، كما ارتبطت هذه الممارسة بعدد المجالات في حياة الأفراد لعل أهمها موضعها بالنسبة للقانون في المجتمعات وموقف الأفراد مؤسسات الدول منها، وكذا ارتباطها بالتنشئة الاجتماعية عبر مؤسساتها المختلفة والتي قد تساهم من قريب أو بعيد في إنتاج وإعادة إنتاج الظاهرة داخل المجتمع في الفضاءات العامة والخاصة، وما يترتب عنها من تأثيرات تمس جمالياتها.

1. مفهوم الكتابات الحائطية:

يحضر المفهوم في مختلف لغات العالم بين معاني مختلفة، ففي «اللغة الإغريقية نجد كلمة (Graphein) وتعني يكتب، يرسم، وبعض المرات يلون، أما في اللغة اللاتينية فأصل الكلمة يعود لكلمة (Graffiare) وتعني يخربش ويخدش ويكشط، في حين نجدها في اللغة الإيطالية مشتقة من كلمة (Sgraffito)، وتعني يخدش ويخربش، وبعدها تطور اشتقاقها، فكلمة (Graffito) مفرد كلمة Graffiti ومعناه كتب وخدش أو خمش أو حك سطحا، وبشكل عام تشير كلمة غرافيتي في اللغات الأوروبية إلى أي كتابة أو رسم أو نقش أو خدش أنجز باليد على الجدران»¹.

تم تعريفها بأنها «كلمة مشتقة من الكلمة الإيطالية جرافيتو Graffito، وفي الأصل تعني الرسومات أو الأحرف التي تم وضعها في مكان عام ظاهر، وهي تتكون من مقطعين: الأول

¹ -بوعلام باي، الوظيفة الأخرى للطاولة التعليمية، مقاربة سوسيولوجية لظاهرة الكتابات الغرافيتية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012، ص85.

Graff ويعني الأشكال أو النقوش أو الرسوم، والمقطع الثاني ITI وهو يعني التوقييع المشفرة التي تتشكل رسومات وكتابات ملونة، وتعرف أيضا على أنها رسومات تجمع بين الرسم والكتابة»¹.

يطلق على الكتابات الحائطية كذلك مصطلح فن الشارع، وهو مصطلح أدرجه «الن شوارتسمان عام 1985، واستخدمه للإشارة إلى كافة أشكال التعبير الفني في المناطق الحضرية، والتي وُلدت من ثورة الجرافيتي، وتحمل قيما جمالية فنية وأساليب مختلفة تماما عما كان سائدا في السبعينيات والثمانينيات في فنّ الجرافيتي في نيويورك»²، ولأن الشارع شاهد «على أغلب مظاهر التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما يشهد أيضاً على أغلب أحداث التاريخ المرتسمة على جدرانها، فالشارع ليس ذلك الممر الذي تطأه الأقدام يوميا، بل هو فضاء الحراك البشري في لحظة زمنية معينة، وهو المكتوب والمصور، وهو الجدار بما فيه من هندسة معمارية توالى عليه الحضارات وتقاطعت فيه، فخلقت آثارها فيه وتركت شواهدا عليه، وهو فضاء حي متبدل بتبدل الأنماط والناس»³.

إن هذا الفن التعبيري الممارس في الشوارع ولید ثقافة تبحث عن التموضع في خضم التطور التكنولوجي، فهي «كيفما كان شكلها رمزية أو مقروءة أو على شكل رسومات أو كاريكاتير،

¹-حمدي أحمد عبد الله وآخرون، الأبعاد التعبيرية في رسوم جرافيتي ثورة 25 يناير 2011 كمدخل لإثراء التصوير المعاصر، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، عدد 4، 2015، جامعة المنوفية، مصر، ص215.

²-محمد زيان وآخرون، الجداريات والكتابات الحائطية في المجتمعات العربية، التحليلات والتأويلات، ط1، ديسمبر 2019، منشورات دار فيتامين الفكر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص24.

³- محسن بوعزيزي، مرجع سابق، ص142

تعتبر دالة بذاتها وتفيد فكرة محددة، أو تعبر عن موقف أو رأي فردي أو جماعي موجه إلى الناس عامة أو إلى فئة أو جماعة مقصودة، تتضمن معنى يمكن استخلاصه»¹.

عرّفها سكوت ه ديكر (Scott H.Deker) وإلن د، كيري (Elen D.cury) بأنها «شكل من أشكال الاتصال المرئي، وعادة ما تكون غير قانونية، وتتطوي على فعل غير مصرح به للأماكن العامة من قبل فرد أو مجموعة، والصورة الشائعة للكتابة على الجدران هي رمز أو عبارة تم رسمها على الحائط من قبل أحد أفراد عصابة الشوارع، إلا أن بعض الكتابة على الجدران ليست مرتبطة بعصابات الشوارع، ويمكن فهم الكتابة على الجدران على أنها سلوك غير اجتماعي يتم إجراؤه من أجل جذب الانتباه أو كشكل من أشكال الفن التعبيري»²، ويقودنا هذا التعريف إلى نقطتين أساسيتين تتمثلان في كون الكتابة الحائطية سلوك غير قانوني وغير مصرح به ما يجعله في خانة المحظور قانونياً، وكونها عبارة عن سلوك غير اجتماعي حسب مبدأ الضبط الاجتماعي.

يتم تعريفها في بعض الدراسات في مجال الفن (Art) وأبعادها الفنية، فهي فن الغرافيتي وفن الشارع، و«مع مرور الوقت تطورت حياة الإنسان وتطور معها فن الرسم الجداري بتطور الخامات والأدوات المستعملة فيه، ك الرسم الجدارية التي زينت جدران المعابد والمقابر، والتي كانت تأخذ طابعاً دينياً، وبالتالي فإن الفن الجداري من الفنون التي لها عميق فني ثقافي يمتد عبر الحضارات والعصور التاريخية، وتختلف تنوع تبعاً لتنوع الهدف والوظيفية من عصر إلى عصر»³,

¹ -أحمد الراجي، ديناميكية المجالات الحضرية وإشكالية العنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، دراسة حالة مدينة الدار البيضاء، مجلة رهانات، العدد 42، 2017، مركز مدى للدراسات والأبحاث الإنسانية، المغرب، ص35.

² -Scott H, Daker & Elen D, Cury, Graffiti Art, Vu le 14/03/2021 <https://www.britannica.com/art/graffiti-art>

³ -عبد المنعم محمود الهجان وآخرون، فن الجداريات، أصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، العدد 28، يناير 2013، ص ص573-574.

ولم تقتصر وظيفة الجداريات عند الإنسان على البعد الديني فقط، بل شملت أبعاد أخرى كطقوس السحر ومسألة التخاطب والتواصل.

وردت الكثير من التعاريف حول الكتابات الحائطية على أكثر من سياق تركز على الوسائل التي تستخدم فيها الكتابة مثل:

الغرافيتي (Graffiti): «فن يتضمن استخدام الطلاء بالرش وأقلام التحديد وأحياناً المحاليل الحمضية أو الأدوات الحادة، مثل المفاتيح والسكاكين، تتواجد في كثير من الأحيان على المباني والجسور والشوارع والقطارات وميترو الأنفاق أو أي أسطح أخرى في الأماكن العامة، حيث أن هناك العديد من الأساليب والأنواع للكتابة على الجدران من الخريشات أو العلامات أو التوقيعات البسيطة نسبياً إلى الصور المعقدة إلى حد ما»¹.

كما أكد أولريخ بلانش (Ulrich Blanché) في مقال عنوانه فن الشارع والمصطلحات ذات الصلة به ومناقشتها، أنه كلمة «مشتقة من مصطلح "Sgraffito"، الذي ذكره فيرساري لأول مرة في عام 1564 وأشار إلى تقنية Sgraffito أو الأنماط المخدوشة على واجهات المنازل في عصر النهضة، وكلمة "جرافيتي" كلمة قريبة لكلمة إيطالية تعني الخدش أو الكتابة، لتفقد معناها التقني ابتداء من عام 1850، خاصة بالنسبة للباحثين في مجال التاريخ القديم وعلم الآثار»².

¹-نوال عبيد الله العلوي & مها محمد ناصر السديري، الأسلوب الجرافيتي في التصوير التشكيلي السعودي المعاصر، المجلة العربية للنشر العلمي، عدد31، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية الرماح، الأردن، 2021، ص352.

²- Ulrich Blanché, *Street Art and Related Terms, Discussion and Working Definition*, Journal of Methodologies for Research, VI-N1, Lisbon, November 2015, P32.https://www.academia.edu/20012147/Street_Art_and_related_terms_discussion_and_attempt_of_a_definition_2015

يعرف فن الجرافيتي أيضاً على أنه «فن عشوائي يتم طريق خدش سطح جدار برسومات عشوائية قد تكون كتابة أو صوراً ومن ثم تلوينه بالبخاخ، فهو عملية تفريغ لطاقة كامنة على الجدران الخارجية للمنازل والجسور ووسائل النقل، وبدون إذن مسبق، والذي يولد في بعض الأحيان فناً إبداعياً»¹.

1-1. التعريف الإجرائي للكتابات الحائطية: بناء على جملة التعريفات الآتية الذكر،

نفضل استعمال مصطلح الكتابات الحائطية بدل جرافيتيا المصطلح الأجنبي، الذي يبدو غريباً عن البيئة العربية، وهي تعني مجموع الكتابات أو الرسومات التي يخطها الأشخاص أو يحفرونها على الجدران لأغراض متعددة كالاحتجاج والتخريب والتعبير عن الاغتراب والإقصاء الاجتماعيين... وغيرها، ويطلق عليها كذلك الخريشات الحائطية، ذلك لأنها تتواجد بكثرة على الجدران، سواء جدران المنازل أو المؤسسات (المدارس والحمامات العامة، زنايات مؤسسات عقابية أو أي أملاك عامة كانت أو خاصة...)، وقد ترسم أو تكتب بأكثر من لغة وبرسومات ورموز وبأشكال وأدوات متنوعة.

يمكن أن تكون الكتابات فردية أو جماعية كتابة أو رسماً أو حفراً أو نقشاً على دعامة الجدار أو الحائط، مع إمكانية استعمال أدوات أخرى للكتابة عليه، وعادة ما يكون صاحبها مجهولاً ومتخفياً، وقد يعتبر هذا الفعل نوعاً من التشويه والتخريب للأملاك العامة أو الخاصة، كما يمكن تمييزه كممارسة فنية تهدف لإيصال رسائل معينة.

¹ -ميادة فهمي حسين، واصف رضوان المومني، جماليات الفن الجرافيتي في الفراغ الداخلي المعاصر، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 10، عدد 01، جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، الأردن، 2017، ص 36.

1-2. الجدار التعريف والرمزية: يعرف اختصاصي مجال الهندسة المدنية بأن الجدار عبارة عن «عنصر من عناصر البناء بشكل سطح مستوي plane surface يحدد بثلاثة أبعاد: الطول والارتفاع والسماكة، يمكن أن يكون الجدار عنصراً إنشائياً، أي يحمل قوى وأوزاناً غير وزنه الذاتي، أو أن يكون عنصراً غير إنشائي، أي لا يحمل إلا وزنه الذاتي. يكون الجدار بصورة عامة في المستوى الشاقولي (الرأسي vertical plane)»¹، والجدار كلمة سكنت التاريخ بل امتدت ظلها إلى ما قبله، ففي تاريخ ما قبل الجدار وُجِدَ إنسان الغابة وإنسان الكهف، ولتاريخ صناعة الجدران حكاية طويلة مع البيئة، فجدران الكهوف هي أكثر الجدران صلابةً ومحافظةً على الفن والتاريخ عبر ما تحفظه من نقوش، وللجدران معانٍ متناقضة قادرة على توليد المزيد من المفارقات من خلال علاقة التضاد التي تجمعها، فحين تسند ظهرك إلى الجدار، فإنه يمنحك الحماية، وحين تقابله هارباً من عدو فقد وصلت للنهاية، هو الجدار ذاته، ولكنه الحياة في الحالة الأولى والموت في الثانية»²، وكثيراً ما يحضر الجدار في ثقافتنا وخطابنا اليومي فيقال «اضرب راسك على الحيط» في حالة وصول النقاش بين طرفين إلى طريق مسدود، أو أن تسجل همومك وأفراحك أو غضبك تأكيداً على أن الجدار هو البداية والنهاية في رمزيته.

يؤدي الجدار وظيفة خاصة «في التواصل والإخبار والإبلاغ وهو يمارس تحدياً من نوع خاص، تجاه قنوات التواصل الأخرى، وإن الجدار يتلقى الاحتجاجات والإهانات والمطالب وكل الهويات السياسية والجنسية والاجتماعية، والجدار هنا يأخذ طابعا خاصا ومخصوصا يتجاوز الكتابة على الورق في الملصقات، فالملصقات لم تستطع أن تحل محل الكتابات الجدارية، فكلما

¹ - أنظر: موقع المعرفة، مادة الجدار، تاريخ الولوج 2021/12/24

<https://www.marefa.org/%D8%AC%D8%AF%D8%A7%D8%B1/simplified>.

² - أنظر: ملف الجدار، مجلة القافلة، مجلة ثقافية تصدر عن مؤسسة أرامكو السعودية،

<https://qafilah.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D8%A7%D8%B1>

تاريخ الولوج 2021/12/26

مكتوبة باليد وبحروف بارزة لها جاذبية لم ولن تكون للملصق، هذا وإن للجدار وظيفة خاصة على صعيد التواصل»¹، فالجدار هو الأداة الناقلة لرسائل وخطابات الآخرين في الإبلاغ عن شيء أو الإخبار به، ومحاولة إيصالها بطريقة قد لا تتيحها وسيلة تواصلية أخرى، إذا ما اعتبر هذا الأخير أحد قنوات الاتصال.

يمثل الجدار كذلك «شفرة ثقافية تفتتح أمام الكثير من الاحتمالات والانقسامات المتقاطعة التي تختلف باختلاف زوايا استقراءها، فالجدار ليس بناء ترابي أو خشبي أو معدني فقط بل هو رمز التاريخ الإنساني من وجود الأزل حيث عكس ويعكس ويسرد لنا تاريخ بانيه وساكنيه وملامسيه، ويكتسب الجدار دورا آخر زيادة على دور الاحتماء، إنه شريط يسجل عليه منحى سيرورة التغير الاجتماعي للفرد والمجتمع، وفضاء محبوب أو مرغوب للتعبير عن كل ما يختلج الصدور ويستكن العقول، يساعد على التنفيس عن الذات، ويتحول رمزا للملاذ والالتجاء»²، ويحيلنا هنا دور الحائط في مسألة الاحتماء والالتكاء عليه إلى مصطلح ظهر في الجزائر ويتعلق الأمر بمفهوم «الحيطيست أو ما يعرف بالحائطيون وهم مجموعة من الشباب الذين يتخذون «من جدران الحي مكان لمراقبة المارة فتستند ظهورها إليها وتتماهى معها، هم شباب يعانون الوحدة وتحلل الروابط الاجتماعية»³.

إن الحائط هو «تلك الهوة التي تفرق بين الشعوب، أما بالنسبة للبعض فيرمز الحائط للحماية، إنه حائط البيت، حائط الغرفة الذي يسمح لنا بأن نختلي بأنفسنا وقد يشكل الحائط في

¹ - أحمد شراك، الكتابة على الجدران المدرسية، مقدمات في سوسيولوجيا الشباب والهامش والمنع والكتابة، ط1، منشورات دار التوحيد للنشر والتوزيع ووسائل الاتصال، الرباط، المغرب، 2009، ص172.

² - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الجرافيتية، مرجع سابق، ص178.

³ - فؤاد غربالي، سوسيولوجيا المعاناة من خلال المعيش اليومي لشباب الأحياء الشعبية، شباب أحياء مدينة صفاقس مثالا، مجلة عمران، عدد 16، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2016، ص93.

هذه الحالة وسيلة تفصل بين الفرد والمجتمع، هو إذاً يحمي بشكل من الأشكال مساحة الفرد، وللجدار بعد جماعي وتاريخي مهم، إذ أنه يرتبط بقضايا سياسية وعقائدية وأيديولوجية»¹، هذا وقد كان الإنسان البدائي لا يطمئن إلا «في أعماق الكهوف التي ترك على جدرانها رسوما هي بمثابة وثائقه ومعلوماته الثقافية والسحرية التي وفرت له الحماية والأمان، حيث كان يسعى هذا الإنسان إلى تجسيد رؤاه في المحيط ورسم الحيوانات الشرسة على جدران الكهوف حتى يعطب وحشيتها عبر التعايش السحري معها»². كما ارتبط جدار الكهف «بذهن الإنسان بوصفه حاميا وحضنا أموميا، أو هو الأم القادرة على حضن الجميع وحمايتهم وارتبط الكهف بعد تطور وتعمق طاقته الروحية المقدسة ليتحول إلى مكان للتوثيق من خلال الرسم والألوان التي وجدت وسط الكهوف»³، فالفرد يعتبر أن الجدار الوسيلة الأسهل والأقرب والأنجع لإخراج مكنوناته ويسقط عليها آرائه واهتماماته وانشغالاته كاشفا بذلك عن ما بداخله، فالجدار «شريط يسجل عليه منحى صيرورة التغير الاجتماعي للفرد والمجتمع وفضاء محبوب، مرغوب للتعبير عن كل ما يختلج الصدور ويستكن العقول متحوّلا إلى رمز للملاذ والالتجاء»⁴، لذا نجد الإنسان في سعي مستمر للتعريف بنفسه من خلال الجدار «الذي يعبر عن المحمول الاجتماعي والسياسي والثقافي له، فيترجم أفكاره وآرائه وتفاصيل حياته على سطح الجدار»⁵، ومن زاوية أخرى يرى «محرري هذه الكتابات ورسامي الغرافيتي أن الجدران الفارغة هي المكان الذي تتادي الألوان والأفكار فيه، تغري الجدران والأماكن

¹ -أنظر: منير أبي زيد، من برلين إلى فلسطين رمزية الحائط عبر التاريخ، جريدة السفير، يومية لبنانية، <http://assafir.com/Article/255562>، تاريخ الولوج 2022/02/16.

² -نجاح المعموري، ذاكرة الكهوف تظهر للطبيعة، الموقع الرسمي لوكالة الأنباء العراقية، www.ina.iq/127529، تاريخ الولوج 2021/11/09.

³ - نجاح المعموري، مرجع نفسه

⁴ - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، مرجع سابق، ص178.

⁵ - المرجع نفسه، ص178.

أصحاب الموقف والموهبة في أن لكسر رتابتها وصمتها، وتكسو الرسوم والكلمات والجمل الجدران والأنفاق ومحطات القطارات في العالم، يرسمها الناس بكتابة أغلبها فوضوية وبعضها يهدف إلى تسجيل موقف أو نقل رسالة أو تزيين حائط أو تخريبه¹، ذلك أن «الجدار يبوح بإباحيات لا تقبل في مدونات أخرى، وإن قيلت تكون معزولة، فيمارس على الجدار فعل يكتب بشجاعة كون المؤلف مجهول على الأغلب، فتسيطر عليه كتابات نابغة من رغبة أو كبت داخلي، مما يشعره بلذة الكتابة ورغبته بنقلها للآخرين كاسرا قيود المتوقع والمألوف، فالكتابة هنا فضاء متصف بالتصريح والعفوية لأنها خارج سلطة الرقيب على الأقل في مضمونها، فالحائط يصبح معها رقعة مباحة»²، هذه الخريشات كما يحلو للبعض تسميتها «تعطي المدن هويتها، ولقد قننت بعض الدول هذه "الفوضى الفنية" من خلال ترك مساحات لها للكتابة من دون إذن مسبق على جدران معينة، وحيث تحتاج جدران أخرى لتصاريح»³، وبالتالي يمكن القول أنها كتابات واعية، وأهدافها صريحة، تحاول أن تكون رسائل حول قضايا اجتماعية وإنسانية.

2. الجذور التاريخية للكتابات الحائطية:

تُعدّ الكتابات أو الرسوم الجدارية واحدةً من أهم الوثائق والمراجعات التاريخية والأركيولوجية التي «بُني عليها كثير من التصورات والاعتقادات في تخيل شكل الحياة فيما قبل التاريخ، وكذلك الأوضاع الاجتماعية والثقافية وغيرها، لاسيما أن عصر الرسوم على الجدران قد سبق عصر الكتابة بآلاف السنين، ما جعل الرسم الجداري يساهم في التوثيق والتأريخ وحتى الكتابة التي جاءت

¹ -أنظر: هلا كريم، الجرافيتي مرآة أزمت المجتمع والفوضى الخلاقة، صحيفة اندبندنت العربية، <https://www.independentarabia.com> تاريخ الإطلاع 2022/02/16.

² -ابتسام الخواطر، تحليل خطاب الجداريات في مدينة عمان دراسة سيميائية، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 2022، ص 68.

³ - هلا كريم، مرجع سابق.

لاحقاً، وكذلك صورت الرسوم الجدارية شكل الحياة في طريقة التقاط الطعام، أو طرق الصيد والعلاقات الأسرية، أو علاقتها بالقبيلة أو الحاكم، ونوع الشجر والثمار التي كانت تستعمل»¹.

لم يكن الإنسان في أول حياته منذ فجر التاريخ قارئاً كاتباً، ولكن نتيجة الحاجة «أولاً وتطور الفكر الإنساني ثانياً، بدأ الإنسان يتعامل مع الحياة بالتواصل الفكري، فإذا أراد أن يعبر عن شجرة أو حيوان أو كهف رسم شكله على التراب أو الطين أو نقشه على الصخر، ولذلك فإن أول كتابة عرفت هي الصورة، ثم تطور الأمر برسم رموز لها مدلولات محددة، وقد تكون هذه المدلولات رسومات أو خطوط مائلة أو مستقيمة»²، فالكتابة لم تتطور بعيداً عن الرسم إذ كان هذا الأخير ملازماً للكتابة بمختلف أشكالها، «فالكتابة القديمة تحتوي على أشكال أو رسوم بحد ذاتها أو مشتقة منها، فقد عمدت بعض المجتمعات لاستعمال الرسوم بشكل محدود كوسيلة للاتصال بين مجموعة وأخرى، ولأنها استخدمت لهذه الغاية فلقد رسمت بسرعة متناهية، فلم تكن الموضوعات المرسومة ترسم بالتفصيل وإنما يرمز إليها بعلامات تختار اعتباطياً، فمثلاً قد يرمز للحصان بعلامة تشبه حذوة الحصان، والجاموس بعلامة مستديرة صغيرة، والمخيم أو مكان الاستراحة بدائرة مضللة، فهذه الرموز استعملت لتصف حادثاً ما أو لتصور حديثاً معيناً»³.

بخصوص الكتابة عند الإنسان فهي كمصطلح «له معان عديدة وكثيرة إذ يمكن أن ندرج فيه النقوش الصخرية التي تظهر كمشاهد في العصر الحجري القديم الأعلى، والمصطلح يتعلق

¹-أنظر: منذر جوابرة، الفن الجداري المجتمعي قوة التعبير: موقع مؤسسة عبد المحسن القطان <http://qattanfoundation.org/ar/RT-61-SDC6>، تاريخ الولوج 2021-12-12.

²- فخري خليل النجار، الأسس الفنية للكتابة والتعبير، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 69-70.

³- محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الثقافية، ط1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا، 2005، ص 46-47.

بتقنية إعادة تمثيل الكلام بواسطة أثر على حامل قابل للحفظ»¹، ويذهب ديفيد كريستال (Devid Keystel) في مسألة متى بدأ البشر الكتابة أول مرة إذ قال عنها أنها «عملية صعبة التحديد، لأن المشكلة حسبه تكمن في تحديد ما إذا كانت العلامات التي وجدت تمثل رسومات أم هي جزء من نظام الكتابة، فرسم الجاموس على جدار كهف هو بالتأكيد عمل فني وليس كتابة، فالعلامات تبدو مثل الكتابة فقط عند بدء استخدامها لاستبدال الرسومات ولها حجم وشكل محدد، وتظهر على السطح في خط مع اتجاه معين، فالיום الذي أقتل فيه ثلاث جاموسات وأرسم ثلاث من الوحوش الميتة على جدار كهفي، فأنا رسام، ولكن اليوم الذي أقتل فيه ثلاث جاموسات وأخترع علامة لهم وأنحتها على الجدار الكهفي إذن أنا أكتب»².

كانت البدايات الأولى للتصوير الجداري منذ آلاف السنين، حينما «رسم الإنسان الأول قبل أن يعرف الكتابة، فكان يصور على جدران الكهوف وسقوفها بدافعه الفطري أعمال بطريقة مبسطة، عندما طبع كف يده على الحائط ومن المعتقد أن لهذه الطريقة في الرسم مغزى سحري، وتبع ذلك ملاحظة إنسان العصر الحجري القديم لبعض التركيبات الحجرية في كهفه حيث بدت هياؤها وأشكالها تشابه أشكال الحيوانات التي يصطادها، فاستفاد هذا الفنان الصياد بشكل جوهري من طبيعة السطوح غير المنتظمة للجدار، هذا وإن رسم إنسان العصر الحجري القديم بتخطيطه على الصخور كان مدفوعاً برغبة منه في إعطاء وجوداً حقيقياً لهذه الرؤية وأظهرت تلك الرسوم

¹ - كلود حجاج، إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، (تر: رضوان ظاظا)، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، (د س)، ص 95.

² - ديفيد كريستال، مختصر تاريخ اللغة، (تر: أحمد الزبيدي)، ط 1، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2018، ص ص 162-162.

قدرة الإنسان الأول على تجسيد وتبسيط الأشكال»¹، والكثير من النقوش القديمة على الصخور «لا يزال لحسن الحظ موجودا بحالة جيدة تثير الدهشة، وأقدم النقوش من هذا النوع ما وجد على جدران أحد الكهوف بمنطقة ألتامير (Altamira) بشمال إسبانيا، ويقدر عمر هذه النقوش بثلاثين ألف سنة»²، وتماشياً مع ما تم ذكره، فإن الإنسان لم يكن غرضه الأول، والأهم من التصوير الجداري تبسيط الأشياء ورسمها على سطوح الكهوف وحسب بل تعداه ذلك لمغزى سحري كان يؤمن به، إضافة إلى تطور تعلمه لأساليب الصيد، وتوثيقها فيكون الجدار أداة مهمة في حفظ كل هذا طيلة كل هذه السنوات.

تعد الجداريات منذ عرفها الإنسان القديم «عملاً توثيقياً لما يمر به في حياته اليومية، فقد كان يجسد كل ما يتعرض له على جدران الكهوف من مواضيع متنوعة، إذ مارس إنسان الكهوف قديماً داخل كهفه بأبسط الأدوات المتاحة في ذلك الوقت، تعبيراً عما يجول في خاطره، ويشهد بذلك الكثير من الرسوم على حوائط كهوف التامبرا شمالي إسبانيا وكهوف أجانتا في ولاية حيدر أباد في الهند وكهوف لامادلين بفرنسا وغيرها من الأماكن»³، وتمكن إنسان العصر الحجري من استخدام أدوات وخامات بسيطة لتنفيذ رسومه الجدارية، فقد «كان يستخدم أصابع يديه بداية في تلوين رسومه بعد غمسها في معجون من الألوان المستخلصة من الطبيعة، ثم استخدم الفرشاة المصنوعة

¹ - ندى عايد يوسف، فن الجداريات، محاضرات قسم التربية الفنية، كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، العراق، 2020، ص3

² - روجيرز فرانسيس، قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصخرة المطبوعة، (تر: أحمد حسين الصاوي)، المكتبة الأنجلو مصرية للطباعة والنشر، مصر، 1969، ص12.

³ - خيرية محمد عبد العزيز، المضامين الفكرية لجداريات الأسوار العازلة كمدخل لمواجهة العنف، المجلة العلمية لجمعية أميسيا، مجلد 3، عدد 11، جمعية أميسيا، مصر، 2017، ص101.

من شعر الحيوانات أو من فروع الأشجار في أعمال التلوين بعد أن تطحن حتى تصبح مسحوقاً، وتمزج ببعض الشحم الحيواني»¹.

إن الإنسان القديم سواء في «بلاد الرافدين أو مصر، أو نهر الدانوب لاحظ من بعد فترة من الزمن أن الرسوم التي قام برسمها قد تحكي قصة أو تعطي فكرة لما يود قوله أو الإشارة له، فاستحسن الرسم لا لمجرد الرسم بحد ذاته، بل ليؤرخ لطقس ديني أو حدث اجتماعي من خلال الرسوم، والتي تعبر عن قصة ما بالنسبة للمشاهد تفيد أن المرسوم يقوم بعمل ما مثل رقص ديني أو ترفيهي، وهذه الرسوم الرمزية التي تحكي قصصاً لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا»²، في حين هناك من اعتبر أن الكتابات الحائطية فنا «منذ ظهورها الأول حيث كل فن هو وليد عصره ويمثل الإنسانية بقدر ما يتلائم مع الأفكار وتطلعات ذلك الإنسان، والفن عامة، والجداريات أوجدها الإنسان منذ القدم لها مضامين وتعابير خاصة يفهمها المجتمع، من ذلك نبعت أهمية فن الجداريات كفن مجتمعي ذي تواصلية تفاعلية، هذا وقد كان الإنسان القديم يسعى لإيجاد متنفس له عن طريق ما يرسمه على سقوف وحيطان الكهوف من رسوم لحيوان الماموث والأيل وطبعات اليد ومشاهد الصيد والقنص، فكانت تلك الجداريات تعبيراً خاصاً عن حياته فترك لنا رسوماً رائعة تعبر عن حياته اليومية وعن بعض جوانب الطقوس التي تشير إلى بداية التأمل الديني والروحي لديه»³.

يعتبر فن الجداريات من «أقدم الفنون التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ، وتعد من أقدم أشكال التعبير الإنساني التي عرفها الإنسان، إذ كانت جدران الكهوف الصخرية أول السطوح التي

¹ - ندى عايد يوسف، مرجع سابق، ص3.

² - سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2007، ص ص31-32.

³ - رنا قاسم مهدي، مقدمة تاريخية عن الجداريات عبر العصور، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، العراق، 2015، ص ص1-2.

رسم عليها الفنان القديم لوحاته، ولم تكن هذه الرسوم ذات هدف تزييني في ذلك الوقت، وإنما كان الرسم وسيلة تعبيرية لما يدور في ذهن الإنسان القديم من مخاوف وأفكار وحركات رآها من خلال مراقبته للطبيعة من حوله، ومع مرور الوقت تطورت حياة الإنسان وتطور معها فن الرسم الجداري بتطور الخامات والأدوات المستخدمة فيه، كالرسوم الجدارية التي زينت جدران المعابد والمقابر، والتي كانت ذا طابع ديني، وبالتالي فإن الفن الجداري من الفنون التي لها عمق فني ثقافي يمتد عبر الحضارات والعصور التاريخية¹، ربما لم يكن الإنسان آنذاك يريد أن يقدم لنا هذه الرسومات على شكل فن كما تعتبر الآن، بل أراد فقط أن يترك أثره ويستطيع خلق طريقة تواصلية مع الآخرين إضافة إلى البعد الديني والطقوسي التي كانت تهدف إليه هذه الرسومات والكتابات.

الكتابة الأحفورية على الجدران ظاهرة «موجودة منذ رسومات الكهوف الأولى، وهي رسومات حققت بالحفر بواسطة أداة كالحجر أو أعواد الأخشاب، وعرف الإنسان القديم كذلك تقنيات البخ، مثلاً كأن ينفخ البودرة الملونة عبر عظمة مجوفة لكي يرسم ظلالاً وخيالات، وفي اليونان القديمة عثر على عدد من القطع الطينية التي تمت الكتابة والحفر عليها»²، ويعتقد بعض الدارسين أن الكتابات الجدارية قد سبقت ممارسة الكتابة نفسها أين تزامن الفعل الجرافيتي «مع الإنسان الأول الذي لم يتمكن من مقاومة رغبة تخليد أثره، وبالتالي تخليد هويته الشخصية والاجتماعية، الفردية والجماعية، ومقاومة ألوان الخوف والإقصاء والتهميش الذي يعيشه، فالجرافيتيا

¹ عبد المنعم محمود الهجان وآخرون، فن الجداريات، أصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، العدد 28، جامعة المنصورة، مصر، 2013، ص 573-574.

² -علاء رشدي، خصائص فن الجرافيتي السوري منذ عام 2011، العمل الفني من الفضاء العام إلى وعي المتلقي، مجلة قلمون، العدد 15، 2021، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قطر، ص 264.

ليست وليدة القرن الحالي، فهي ممارسة إنسانية قديمة، قام بتسخيرها الفرد للتعبير عن أحواله وأمنيته، ومكبواته وأحلامه وآلامه¹.

يعود الاهتمام بظاهرة الكتابات الحائطية في المجتمعات التاريخية القديمة إلى «البعثات الأثرية، التي أخذت على عاتقها البحث والتنقيب عن أغوار المدن والمجتمعات، على الرغم من الاختلاف في قصد وأهداف البعثات، فبعض هذه البعثات كان يهدف إلى أغراض علمية بحثية، أهمها معرفة تاريخ الكتابة لدى هذه المجتمعات وطرق العيش، والثقافة السائدة والنظم الاجتماعية القائمة»². كما تبحث تخصصات أخرى في «مجال الكتابات الحائطية لكنها تكون أوسع مثل التربية الفنية والعمارة والفن بصفة عامة فيسميها المختصون هناك بالتصوير الجداري ويعتبرونه فناً من أقدم أشكال الإبداع الفردي والجماعي التي عرفها الإنسان فقد كانت مثل هذه الرسوم ترسم بالفحم والأصباغ الطبيعية التي تتكون من أكسيد الحديد والمنغنيز، كما استخدمت العظام المحروقة في تحضير اللون الأسود»³.

3. الكتابات الحائطية في العالم:

3-1. الكتابات الحائطية في أمريكا:

في الـ م الأمريكية: في منتصف السبعينات حيث بدأت مجموعات من الشباب في مدينة نيويورك وغيرها من المدن الأمريكية باستخدام «الجدران للتعبير عن ذواتهم وإحساسهم النفسي

¹ - بوعلام باي، فاعلية الغرافيتيا الثورية في استنهاض الوعي الاجتماعي، غرافيتيا الثورة الجزائرية أنموذجاً، مجلة كان التاريخية، عدد 42، السنة 11، 2018، ص206.

² - محمد كريم، مرجع سابق، ص77.

³ - خالد خوجيلي & إبراهيم خوجيلي، التصوير الجداري المعاصر وارتباطه بالعمارة، مجلة العلوم الإنسانية، عدد3، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلة 18، السودان، 2017، ص804.

وتفوقهم وإفرازها في صور وكتابات هزلية ومثيرة للضحك، وبدأت الكتابة أولاً في الأنفاق وعلى القطارات وكانت بمثابة مغامرة، ومن بدأ هذا هم شباب سود واسبانيون أمريكيون وجدوا في أوضاعهم المادية والاجتماعية منفذاً لهم لخلق وإبداع طرائق تفكير خارجة عن إطار الثقافة العامة، إذ توصلوا عبر تطوير أدواتهم ورسومهم إلى إبداع اتجاه جديد في الكتابة الحائطية فكانت العلامة الأساسية في تطور هذا الفن في نيويورك هي مدرسة (Hip-Hop) التي برزت في أوائل الثمانينات وكانت مسؤولة عن شعبية هذا الفن وتطوره حيث وصفت بالانفجار داخل حركة التشكيل الفني الجداري¹، وفي أواخر السبعينيات وبداية الثمانينات «اصطدمت موسيقى الهيب هوب مع مشاهد الكتابة على الجدران، وأضحت هذه الأخيرة أكثر جرأة وذات طابع ثوري مثلها مثل الموسيقى، الأمر الذي خلق توتراً بسبب التعبيرات الخاصة لهؤلاء الشباب على الفضاء العام للمدن، وخلال التسعينات انتقلت هذه الموسيقى إلى اتجاه آخر وتطورت ونقلت معناها الكتابة الحائطية، حيث ظهر ذلك جلياً من خلال ظهور خلفيات للجرافيتي على فيديو هات موسيقى العصرية أثناء عرضها، كما استعمل الفنانون الموسيقيون آنذاك رسومات الجرافيتي واستعانوا بها لتصميم منتجاتهم وعرضها»².

ساهمت وسائل الإعلام كذلك «بشكل كبير في شيوع هذه الكتابات، وكذا بروزها في العديد من الثقافات والظواهر الأخرى مثل النمط الأمريكي الموسيقي rap music وكذا الرقص break dancing وغيرها ممن تسمى بالثقافات الهامشية في المجتمع الأمريكي، ومن هناك انتشر هذا النوع

¹-أنظر: مقال الكتابة الجدارية في التجربة والممارسة الإنسانية المركز الفلسطيني للاعلام: تاريخ الولوج
2022/12/24 <http://www.vahdet.info.tr/arsiv02/493.html>

²-White Ashant, From Primitive to Integral: The Evolution of Graffiti Art, journal of conscious evolution, california institute of integral studies, volume 11, issue 11, 2018, p p 2-6. Vu <https://core.ac.uk/download/pdf/217368401.pdf>

من الكتابات في معظم الدول الأوروبية عبر السياحة والإعلام»¹، وظهرت كتابات حائطية في مدينة نيويورك قام بها «عدد أو شريحة من الأفراد الذين وضعوا لأنفسهم أسماء مستعارة معظمها من طبيعة ثقافتهم الأصلية التي يتوقون إلى العيش فيها لكنهم يتواجدون في مجتمع رافض لهم، وأسست هذه الشرائح فرقا تعاونت فيما بينها لتكتسي مدينة نيويورك بكتابتها الجدارية رغم اختلافها في العادات والمبادئ لكنها تجتمع في تطلعاتها وكذا في رفضها لسلطة ذلك المجتمع، وقد أصبحت مدينة نيويورك قبلة للزوار من كل أنحاء العالم لمشاهدة الجداريات الضخمة في كل نواحيها حتى في الأنفاق والقطارات، فحتى وإن كانت الكتابات في نيويورك تعبر عن التمييز العنصري، والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للأقليات والأجانب والطلبة، فإنها تجسد أحلام الأمريكيين وتطلعاتهم المتفوقة التي عبرت عنها الكتابات الحائطية بأحسن صورة، حيث ظهرت مضامينه عبر استخدام تمثال الحرية وناطحات السحاب والجسور العملاقة والأنفاق والقطارات (ميتر) في الرسوم التصويرية ثم انتقلت فيما بعد إلى مدن أخرى مثل لندن، سيدني وشيكاغو. أمّا بالنسبة لانتشار وكثرة الكتابات في قطارات الو.م.أ فيرجعها بعض الباحثين إلى الاستخدام المكثف لها أكثر من أي دولة أخرى»².

ساهم تبلور الثقافات الجزئية-الفرعية، خاصة الهيب هوب بتلويناتها المختلفة ما شجع استفحال الممارسة الغرافيتية في المجتمع الأمريكي مما أدى إلى بروز أشخاص متميزين نعتوا بـ: فناني الغرافيتي *graffiti artists*، والذين تمردوا على مبادئ الفن الكلاسيكي المتداول في المتاحف وصالات العرض الراقية، حيث لاذوا للشارع لإبراز فنهم الخاص في الهواء الطلق وعلى الجدران،

¹ -أحمد الراجي، ديناميكية المجالات الحضرية وإشكالية العنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، مرجع سابق، ص 38.

² -لطرش حفصة، ربحي عيسى، مفهوم الكتابات الحائطية تاريخ ومعاني، عن محمد زيان وآخرون، مرجع سابق، ص ص 13-14.

وقد استلهم ممارسي الغرافيتي في أمريكا مضامين كتاباتهم من طيف الحياة الثقافية العامة، مكنتهم من استعطاف العديد من الفاعلين في المجتمع، تجسد ذلك من خلال الإقبال الكبير على منجزاتهم الغرافيتية سواء محليا أو خارجيا، حيث أضحت نيويورك قبلة مقدسة لمحبي الغرافيتي حتى وصفها البعض بـ: مكة الغرافيتي يحج إليها سنويا آلاف الأشخاص، حيث وصفها آنذاك رئيس بلدية نيويورك "Ed.Kock" بـ: الطاعون السريع الانتشار دلالة على التأثير الذي تركته هذه الكتابات في نفوس الأفراد من داخل وخارج أمريكا ما جعلها تنتشر سريعا¹، خاصة في الأحياء التي تتكاثر فيها قضايا الجرائم والانحرافات.

في البرازيل: انطلقت الكتابات الحائطية أو ما يعرف بالغرافيتي في ثمانينات القرن العشرين حيث "استلهمها الفنانون هناك من مشاهد الهيب هوب الأمريكية في مدينة نيويورك، حيث كان هذا الأخير يهيم على الشباب ويغذيه إلى حد كبير خصوصا في المناطق المهمشة في البرازيل، ووفي 2006 قام المشرعون في مدينة ساو باولو البرازيلية بإصدار قانون يحضر الإعلانات الخارجية الكبيرة في المدينة، ومن هنا بدأ رسامو الغرافيتي بإنتاج رسوماتهم وكتاباتهم مع الوفرة المفاجئة من جراء القرار بمنع تواجد الإعلانات الكبيرة من حيث المساحة ، ما جعل هذه الحيطان فارغة وعارية وبمثابة دعوة للرسم والكتابة عليها، حيث صرح أحد فناني الغرافيتي أنهم نزلوا للشوارع لإضفاء الطابع الديمقراطي على فن الشارع بعد هذا القرار"².

وجدت الكتابات الحائطية مرتعا خصبا لها وتطورت بسرعة ملفتة منذ ظهورها بصيغتها الحالية، وهي لا تخلو من رسائل سياسية موجهة، وأخرى تحمل في طياتها تعبيراً عن الغضب ضد

¹ - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، مرجع سابق، ص 42.

² -Ernesto Londoño, *Good for the Soul: Giant Murals Turn São Paulo Into Open Air Gallery*, Article on the American New York Times, May 30, 2021, Voire le site <https://www.nytimes.com>

عدم المساواة الاجتماعية واللاعداية والتمييز بين المهيمنين والمهيمن عليهم، «ففي الماضي كان فنانون الكتابة على الجدران بالبرازيل متأثرين بمشاهد الغرافيتي الأمريكية وبدرجة أقل الأوروبية، ومع صعوبة الحصول على معلومات حول ما كان يحدث في الخارج قبل ظهور الانترنت، عاش المهتمون بهذا النوع من التعبير عزلة جعلتهم في نهاية المطاف يطورون أساليب وتقنيات جديدة أفرزت شكلاً "غرافيتياً" برازيلياً صرفاً»¹.

في الأرجنتين: في هذه البلاد وبين عام 1975 و 1983 فقد عشرات الآلاف من الأشخاص في ما يسمى "الحرب القذرة"، إذ كانت حرية التعبير منعدمة، حيث أصبح الصحفيون الذي يتحدثون عن هذه الحرب في عداد المفقودين، وفي بيئة الخوف هذه أصبح فن الشارع أو الغرافيتي صوتاً عاماً في البلاد خاصة في العاصمة الأرجنتينية بوينوس أيرس²، كما أن فن الشارع في هذه المدينة تطور بجزء منه، «كرد على الحكم العسكري الديكتاتوري الذي شهدته البلاد في تلك الفترة وأضاف إن بوينوس أيرس مدينة تحمل ندوباً من تلك الفترة، حيث كانت النصب العامة تنظف بنشاط فيما يقمع الغرافيتي بصرامة، أما اليوم فقد أعطى فن الشارع حياة جديدة لجدران بوينوس أيرس، موفراً شكلاً جديداً من أشكال حرية التعبير»³.

¹-أنظر: هشام الأكل، الغرافيتي في البرازيل وسيلة للتعبير وكابوس يؤرق أصحاب المباني، موقع هسبورت، تاريخ الولوج 2023/04/14. <https://www.hesport.com>

²-Allison Meier, *The Activism of Buenos Aires Street Art*, February 14, 2013 Voir le Site: <https://hyperallergic.com/65223/the-activism-of-buenos-aires-street-art/>

³-أنظر: إبراهيم شريف، الفن سلاح ضد تخريب الشارع في الأرجنتين، صحيفة اليوم السابع المصرية، عدد الأربعاء، 05 أغسطس 2015، <https://www.youm7.com> تاريخ الولوج 2023-04-15.

3-2. الكتابات الحائطية في أوروبا:

في إيطاليا: احتلت مدينة ميلانو في إيطاليا منذ "منتصف الثمانينات الصدارة في انتشار الكتابات الحائطية التي حولت جدرانها إلى خريشات ورسومات، حيث اتخذ من الشباب العاطلين عن العمل من هواة الشغب واعتبروها وسيلة للإفصاح والتعبير عن رفضهم ومحاولة خروجهم من شرعية المجتمع وقوانينه السائدة، كما أطلق هؤلاء الشباب على أنفسهم اسم عصابات الغرافيتي *Graffiti Gang*، والتي اتخذت من الليل ستاراً لتمارس فوضاها، فحولت واجهات الأبنية والطرق إلى وثيقة سوداء، وأمام تفاقم هذه الظاهرة اتخذت السلطات الإيطالية إجراءات عديدة للحد منها وإيقاف زحفها رغم أنها حققت نجاحات ضخمة وقامت بتشكيل معرضاً خاصاً برسومات جدارية للعمارات والواجهات، شغلت الكثير ممن أطلقوا على أنفسهم رسامو السبراي وأخذت الحائطيات الإيطالية المنتشرة في الأحياء الشعبية تقود إلى أشكال فنية متشابهة تبدو وكأنها لشخص واحد، وهذا لتشابه الأسلوب في استخدام الألوان التي شغل مساحات كبيرة، «كما انتشرت الكتابات الحائطية في إيطاليا منذ بداية الحرب العالمية الثانية، فقد حملت الجدران الإيطالية كل المشاكل السياسية والاجتماعية والمطلبية للييسار الإيطالي كما كانت بعيدة عن الرقابة، لكن مع بداية الثمانينات إلى غاية الآن، وهي تواجه حملات ضخمة معارضة لهذا النمط من الفن لما تحتويه من معاني معارضة للسياسة. كما رأى مسؤولين أن هذه الكتابات تشكل إهانة وتشويه للمدينة»¹.

في فرنسا: ازدهرت الكتابات الحائطية من خلال الأقليات وأحياء الفقراء السود في المدن الفرنسية، وبشكل كبير في مدينة باريس وبلدية (Charleville Mezieres) وانتشرت في الحي الجامعي والأحياء السكنية التي يتواجد فيها العمال الأجانب والمهاجرون، الذين يعانون من الشعور

¹- لطرش حفصة، ربحي عيسى، مفهوم الكتابات الحائطية تاريخ ومعاني، عن: محمد زيان وآخرون، مرجع سابق،

بالعنصرية للتعبير عن سخطهم لذلك التمييز، وإلى جانب هذا هناك تيار مضاد يرد عليهم بكتابات جدارية أخرى تمقتهم وتحقرهم أكثر، ورغم مساهمة المهاجرين في ظهور الكتابات الحائطية إلا أنها تأسست بفضل شباب الأوساط الشعبية وهم الأفراد الذين أطلق عليهم تسمية الشعبة المقموعة، وفي التسعينات عمدت السلطات الفرنسية في باريس إلى التصدي لهذه الظاهرة التي استعملت في شوارع المدينة»¹، وقبلها تحديدا عام 1988 «وصف برنارد غاتوا (B, Gantois) رئيس قسم التطوير والصيانة بالإدارة المستقلة للنقل بباريس، ظاهرة الكتابات الحائطية بالمرض الذي وصل على طراز نيويورك إلى ميترو أنفاق مدينة باريس الفرنسية، بعد أن تم جلبها سرا وغزوها لشوارع العاصمة الفرنسية مسببة حسب قوله ما أسماه بالحساسية الشديدة لمنظر المدينة وبالأخص محطات النقل العام إذ تواعد بمحاربتها لأنها مكلفة ماديا واجتماعيا، وفي سنة 1989 أعلن رئيس الإدارة المستقلة للنقل بباريس RATP كريستيان بلاك (C, Blanc) عن اعتماد خطة أطلق عليها (خطة استعادة الإقليم) حيث تهدف هذه الأخيرة إلى القضاء على ظاهرة الكتابة على الجدران في المدينة، إذ خصصت الإدارة آنذاك 110 عون ومراقب، وما قيمته 70 مليون فرنك فرنسي للعملية»².

تركزت الكتابات الحائطية «في فرنسا في الفترة المعاصرة بداية مع انتشار هذه الممارسات بالتجمعات السكنية خاصة من طرف الأقليات التي كانت تقيم بالأحياء الشعبية، وتضم فئات الفقراء السود والمهاجرين متعددا الإثنيات خاصة الشباب منهم، حتى أضحت باريس من البؤر الجغرافية المهمة في العالم بعدما تحولت الجرافيتيا لوسيلة مباشرة لرفض قيود وسلاسل نظام الضبط

¹-المرجع السابق، ص ص14-15

²-Nicolas Mensch, *L'art Transgressif Du Graffiti, Pratiques et Contrôle sociale, Thèse en vue de l'obtention du titre de docteur en Sociologie, Université de Franche -Conté, 2013, pp135-136.*

والانضباط المجتمعي، والبحث عن الحرية»¹، وفي مواجهة الأساليب الانتقائية للسلطات السياسية والمحلية مع قضايا المواطنين ذوي الأصول الأفريقية والأسبوية، مما صعب عمليات اندماجهم في المجتمع الفرنسي، أنتجت الكثير من الجرائم والانحرافات التي عادة ما يصعب احتواؤها.

في إنجلترا: كانت أغلب الكتابات الحائطية منتشرة في المدن والشوارع والمحلات التجارية ولوحات الإعلانات، كما عبرت عن مواضيع اجتماعية واقتصادية وسياسية وتناولت التيارات الجديدة في المجتمع كما ركزت على مواضيع «الجنس والحركات الأنثوية، كما طرحت إشكالية الدين والعلمانية بصور متعددة ومختلفة، حيث طرحت أفكار وحكم حرص الشارع العام على كتابتها بلهجات المدن التي نشأت فيها. تميزت الكتابات الجدارية في بريطانيا بنفس الخصائص تقريبا كما في إيطاليا وفرنسا، حتى وإن اهتمت بالكتابات والرموز عكس التصوير كما في إيطاليا والوم.أ»².

ركزت الكتابات الحائطية والغرافيتي في بريطانيا على «الجانب الكتابي (الكتابات الحضرية والتي غزت تضاريس المدن البريطانية في الشوارع، وواجهات المحلات واللوحات الإشهارية وإشارات المرور...)». كما حاولت هذه الكتابات إسقاط الواقع المعيشي للشباب بتعدد مستوياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والثقافية، فعرضت مشكل الجنس وإشكالية الدين والعلمانية، وقد تداخلت في هذه الكتابات آنذاك لهجات الأحياء والمدن البريطانية عاكسة قيم ومعايير ثقافية شبابية صاعدة وواحدة بتحولات جذرية للقيم الثقافية البريطانية المحافظة»³.

في ألمانيا: اعتبرت ألمانيا حقلا خصبا للكتابات الحائطية والغرافيتي المعاصرة، سواء على مستوى الممارسة أو البحث العلمي، فقد جعلت العديد من الشبان الألمان (الشرقيين والغربيين)

¹ - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، مرجع سابق، ص 55.

² - لطرش حفصة، ربحي عيسى. مرجع سابق، ص 14-15.

³ - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، مرجع سابق، ص 51.

يبدعون فيها ويؤكد مؤرخوها أنها تعود إلى بداية الستينيات بعد تشييد جدار برلين (جدار العار) سنة 1961 للفصل بين أبناء الشعب الواحد فصلا ماديا ورمزيا وثقافيا بينما منع سكان ألمانيا الشرقية من الاقتراب من الجدار، مما سمح لمواطني ألمانيا الغربية بالدنو منه والتعبير غرافيتيا عن كل آرائهم وآمالهم، حيث حدثت هكذا أفعال بتواطؤ السلطات المحلية¹.

تطورت حركة الغرافيتي بعد سقوط جدار برلين عام 1989 بشكل كبير في الجانب الشرقي، فحينها غزا الكتاب الغرافيتيون والفنانون الأحياء الشرقية أين تم تحويل أكثر المناطق إلى أماكن فنية نابضة بالحياة من خلال اللوحات المرسومة على الجدران، ففي عام 1990 تم إطلاق أحد أهم المشاريع الفنية على أنقاض الجدار، حيث تمت دعوة فنانين من جميع أنحاء العالم للرسم على الجانب الفارغ من بقايا الجدار كاحتفال بإعادة الإتحاد بين أبناء الشعب الألماني وكتعبير عن آمال مستقبلية أكثر إشراقا، وشمل الاحتفال عرض أكثر من مائة لوحة جدارية تحت تسمية معرض الجانب الشرقي، وهو أحد أكبر معارض الهواء الطلق في العالم، والكتابة على الجدران في برلين-ألمانيا لعبت دوراً هاماً في تشكيل هوية المدينة، وقد أعلنت منظمة اليونسكو عام 2006 أن برلين هي مدينة التصاميم الفنية، فمشاهد ولوحات وغرافيتي الجدران كان له أثر في هذا القرار بخصوص منح هذا اللقب للمدينة².

في روسيا: كانت البداية الحقيقية لانتشار الجداريات بالضبط في موسكو بواسطة العصابات التي اخترعت رموز وكتابات دونتها على السيارات بعبارات باللغتين الروسية والانجليزية، وبالعودة إلى تاريخ الكتابة الروسية نجد الباحث جون بوشنل (J, Bushnell) أحد المهتمين بكتابة

¹ - بوعلام باي ، المرجع السابق، ص63.

² - انظر: *L'histoire du Street Art a Berlin, Lieu de Refuge du Graffiti* الموقع: <https://berlinstreetart.com/fr/l-histoire-du-street-art-berlin>، تاريخ الولوج 2022/02/16.

التطورات الاجتماعية السوفياتية، حيث قدم دراسة نوعية في موضوع الكتابات الجدارية، وركز على تحليل وربط الكتابة في موسكو بتمثيلاتها في التجربة العالمية، ومن أهم الدوافع التي ساهمت في ازدهار الكتابات الجدارية الروسية ما تعلق بظروف القمع الشيوعي للفكر، فالكتابة الجدارية في موسكو، وروسيا عموماً ما هي إلا نتاج الشباب المعدومين الذين يبحثون عن قنوات للتعبير، حيث شكل هؤلاء الشباب عصابات سمت نفسها *fanaty* يلبس أفرادها الحديد ويحملون الخناجر، وفرق (الروك أند رول) وكانت هذه الجماعات تتنقل عن بعضها البعض التعبيرات والرموز والتشفيرات، وغيرها من أدوات التعبير اللغوي، هذا ولعبت الظروف السياسية والاجتماعية في المجتمع الروسي دوراً هاماً في بروز هذه الكتابات لاسيما التي أخذت طريقها في أواخر الثمانينات لتؤدي إلى انهيار الاتحاد السوفياتي، بالإضافة إلى التطورات الاجتماعية، ونشوء المجتمعات الجديدة حول المدن بسبب الهجرة، ساهم كل ذلك في نشوء الظاهرة وتفاقمها¹.

نجد أن دوافع وأسباب الكتابة الحائطية في قارة أوروبا هو بسبب الأوضاع المعيشية في هذه المناطق الأوروبية وتنامي اللامساواة والعنصرية، أين تجلت هذه الممارسات كرد فعل للمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأفراد، خصوصاً مظاهر القمع والتسلط والاضطهاد التي كانت يتعرض لها شباب هذه البلدان، إضافة إلى طرح هذه الكتابات أيضاً لإشكاليات أخرى مثل الدين والجنس وغيرها.

3-3. الكتابات الحائطية في العالم العربي:

في مصر: اخترع قدامى المصريين في مصر الحروف الهيروغليفية في حوالي عام 3000 ق.م حيث كانت هذه الكتابة في بداياتها عبارة عن رموز شكلية أو صور للأشياء المراد التعبير

¹ - لطرش حفصة، ربحي عيسى. مرجع سابق، ص15.

عنها ثم طراً عليها نوع من الاختزال لتصبح مجرد رموز تعبر عن ألفاظ، فالكتابات الهيروغليفية كانت تنتقش على حوامل حجرية، وترسم على أوان فخرية وكذا على أوراق البردي¹، وعبر 3500 سنة استمر «تقليد الكتابة على جدران المعابد والمقابر حيث كتب المصريون على جدرانهم عن الحب والعشق، مثلما نرى على جدران معبد نفرتاري، غير الكتابة في الأدب القصصي والمديح والفن والبراعة والتميز في كتابة تاريخهم، وأخبار انتصاراتهم على الجدران، فالإنسان المصري كتب على جدران بيته عبارات الفرح والتهنئة برجوع الحجاج، ورسم أيضاً ما يدل على ذلك، وعبر عن غضبه وكرهه للاحتلال الإنجليزي بكتابة العبارات المعادية والرافضة للاحتلال على جدران الشوارع وفي الأماكن العامة وعلى عربات النقل»².

وثق قدماء المصريين أجزاء متنوعة من «معيشتهم وأحوالهم اليومية على جدران بيوتهم فرسموا ولونوا رسومهم، وكتبوا عن جوانب كثيرة في حياتهم ووصاياهم وحكمهم، وجدران المعابد المصرية تنقلها أخبار انتصارات فرعون، كما تحكى المسلات للعالم حتى اليوم تاريخ أناس عاشوا في عهود سحيقة، واللافت للنظر أن قدماء المصريين كانوا يكتبون وينقشون على جدران المعابد والأهرامات والمقابر لتوثيق علومهم وثقافتهم وطريقة حياتهم، على الرغم من توافر ورق البردي في ذلك الوقت»³، وكانت الكتابات الحائطية قبل عام 2005 في مصر متمثلة في «رسومات جدارية على بيوت القرى، تهنىء الشخص بعودته من الحج، وغالباً كانت تتمثل في رسم طائفة وكتابة عبارات التهنئة، وفي الرسوم الوطنية على جدران المدارس، وفي الكف المرسوم على الحائط

¹ -عبد الجبار عباسي، الكتابات الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي ناجر، رسالة ماجستير في علم الآثار، (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2005، ص 37.

² -أنظر: عبير العشري، الكتابة على الجدران. من معابد مصر القديمة إلى التكانك، صحيفة الأهرام المصرية، الموقع الرسمي <https://gate.ahram.org.eg> تاريخ الولوج 2021/11/18.

³ - المرجع نفسه.

باستخدام دم الأضحية في عيد الأضحى المبارك، واستخدمته الجماعات الإسلامية في كتابة جمل بمثابة موعظة على الحوائط، وأشهرها جملة "الحجاب قبل الحساب"، وفي الدعاية الانتخابية، ولكن بعد عام 2005، وبعد ظهور روابط الألتراس الرياضية، وفناني الهيب هوب، اتخذ فن الجرافيتي شكلاً جديداً أكثر احترافية¹.

كانت ظاهرة الكتابة على الجدران أحد مظاهر ثورة 25 يناير «هذه الكتابات التي باتت جزءاً من التعبير الحر خلال أحداث الثورة، وكان السلاح المعبر عن حرية الرأي خلال أحداثها، فعبر عن صوت المعارضة غير المسموع، فكل كتابة على الحائط كان لها معنى ورسالة محددة، انتشر بشكل سريع، إلى أن أصبح فنا يتداول حتى الآن، وبعد الثورة أصبح الكتابات الحائطية والجرافيتي أهم فن عبر عن الثورة في الشوارع المصرية، من خلال توثيق شعارات كل مرحلة، خاصة الاشتباكات المتعددة مع الشرطة والجيش، والتي أوقعت مئات القتلى والجرحى»².

في تونس: تترجم الكتابات الحائطية الكثير مما «يعتمل في داخل التونسيين وبخاصة الفئات الشبابية، فقد التجأت في فترة الثورة إلى ما بات يعرف بـ"الخريشات الحائطية" للتعبير عن آرائهم السياسية والاجتماعية، ولم تعد تلك الكتابات العفوية ذات طابع عفوي في الفترة الأخيرة؛ فقد أصبحت مضمنة بكثير من المواقف مما يحدث على الساحة السياسية التونسية وكانت تلك الخريشات في عهد الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي ممنوعة تماماً على الشباب إلا أن الكثير منهم، وبخاصة من المنتسبين إلى الحركات السياسية المحظورة، كانوا يلجؤون إلى الجدران للتعبير

¹ -مصطفى عبد الرؤوف، الجرافيتي في مصر، شباب محتج وجدران ناطقة، موقع سودراس الإخباري <https://www.sudaress.com>، تاريخ الولوج 2021/11/19.

² -محمد منصور، هتاف الصامتين بمصر، من جرافيتي الثورة إلى جدران المراحيض، مدونة الجزيرة. نت، <https://www.aljazeera.net>، تاريخ الولوج 2021/11/19.

عن معارضتهم لنظام إدارة البلاد، بالرغم من تعرضها للإزالة فيما بعد، وإذا عدنا إلى وضع الشارع التونسي بعد الثورة، فإن الكتابة على الحوائط كانت في معظمها تستهدف محطات الحافلات والمترو الخفيف والشوارع والميادين الهامة وسط العاصمة التونسية¹.

بدأت مجموعة من الشباب المولع بهذا الفن إلى «تغيير الجدران برسومهم، التي كانت ممنوعة في الماضي وغير معتادة في المشهد التونسي، وتحولت الكتابات الحائطية إلى وسيلة تواصل بين المواطن وأجزاء مدينته الفاضلة، ففي الأنفاق والمحطات وعلى خلفيات الحافلات، يترك الشباب بصمتهم بواسطة الكتابات الحائطية كأنهم يصيحون: "مررنا من هنا"، وقد نجحوا في لفت الانتباه إلى الثورة وتفاصيلها، هذا وكان الغرافيتي منبؤاً وغير محبب من أغلب التونسيين، وذلك عائد أساساً إلى الصورة النمطية التي رسختها السلطة في الأذهان، كما وجدت مجموعة من الشباب الممارسين لهذه الكتابات أنفسهم، لا شعورياً، في خضم حراك ثوري وصراع سياسي، فوجّه رسومهم وأعمالهم لتصبح مرآة عاكسة لمطالب أبناء جيلهم، والتي جاءت كرد فعل على تجاوزات أصحاب السلطة، فتحول الغرافيتي بهذه الطريقة بألوانه وأشكاله إلى وسيلة للتعبير عن المواقف السياسية في تونس»².

في خضم هذا كله لجأ الشباب هناك في تونس إلى «آليات للتعبير غير المعترف والهامشي وتم ابتداء منابر جديدة للكتابة والظهور للجمهور والتأثير في الرأي العام، والوسيلة الأفضل لهذا الغرض هي الجدران المفتوحة أمام العموم، والتي صارت منبر للشباب لخطف أنظار

¹-للمزيد أنظر: تونس خريشات الشارع: مواقف سياسية واجتماعية، <https://akhbarak.net/news> تاريخ الولوج 2022/02/22.

²-ضياء بوسالمي، غرافيتي الشارع التونسي: المقاومة على طريقة مررنا من هنا، موقع منشور، <https://manshoor.com/arts-and-culture/graffiti-art-in-tunis> تاريخ الولوج 2022/02/22.

المارة والمتجولين والرأي العام وإشراكهم في همومهم وإيصال رسائلهم»¹، وتترجم الكتابات الحائطية في تونس الكثير من هموم الشعب التونسي وخاصة الفئات الشبابية، فقد «لجأت إليها قبل وأثناء الثورة للتعبير عن الآراء السياسية والاجتماعية، ولم تعد الكتابات الحائطية ذات تعبير عفوي بل أصبحت منتظمة تعبر عن الكثير من المواقف خاصة على الصعيد السياسي، فقد كانت تلك الكتابات في عهد الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي ممنوعة على الشباب تماماً، إلا أنها أصبحت الملجأ الوحيد لمعارضة النظام فيما بعد، وبعد ثورة 14 جانفي واصل الشباب التعبير عن آرائهم في مختلف المسائل السياسية وتدخلوا في تعيينات الحكومة، واعتبر الكثير من الشباب التونسي الكتابة على الجدران بمثابة الفعل المقاوم أو النشاط السياسي المؤثر على الرأي العام»²، وممارسة الكتابة الحائطية خلال الثورة التونسية ساهمت في «تقليل نسبة التحام ممارسي هذه الكتابات مع السلطة وتحديداً مع رجال الأمن وممثليها في الحيز العام، حيث أن الكتابة الحائطية عادة ما تكون ممارسة ليلية، فالنسبة الأكبر من أعمال الكتابة الحائطية تنسب إلى مجهول، وبذلك يصعب على السلطة أن تقبض على الفاعل»³.

لم يقتصر دور محرر الكتابات الحائطية في تونس على التعبير عن مواقف من السلطة السياسية، «وإنما يُعْتَبَر أيضاً تخليداً واختزالاً للأحداث والشخصيات الوطنية المؤثرة، ونحت الحيز الثقافي من خلال إعادة تشكيل صورة تعبر عن الثقافة والهوية بشخصياتها الفنية الراحلة من فنّانيين

¹ -فاتن مبارك، ياسين أغالو، التعبيرات الشبابية والديمقراطية الثقافية، دراسة مقارنة لموسيقى الشارع بعد 2011 بين المغرب وتونس، منشورات كلمات عابرة، جمعية ناشز، المركز العربي للعلوم الاجتماعية، لبنان، 2019، ص35.

² -ملبكة غواظي، قراءة نظرية توثيقية في أشكال التعبيرات الثقافية، الكتابة على الجدران أنموذجاً، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 3، العدد 4، جامعة مستغانم، 2016، ص43.

³ - محمد رازقي، ميكرو الفعل الاحتجاجي وفاعله الاجتماعيون خلال الثورة التونسية 17 ديسمبر، 14 جانفي 2011، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 7، عدد 1، جامعة الجزائر 3، 2019، ص19.

وشعراء وكُتَّاب، سواء برسم صَوْرهم أو بكتابة أبياتٍ من أشعارهم، ليكون بذلك هذا الجدار المُردان بالألوان جسراً واصلاً بين الأجيال، فمن يزور تونس اليوم يُلاحظ أنه لا يمرّ يوم من دون تظاهرات ومسيرات والرسم على الجدران إلى جانب الفرق الموسيقية المُنتصبة في كل مكان»¹.

في المغرب: هناك عوامل كثيرة أدت إلى تفاقم ظاهرة الكتابة والرسوم على الجدران في المغرب «فإلى جانب العبارات التقليدية التي يكتبها التلاميذ والتي تخدم الذوق والآداب العامة، كما ساهمت أيضاً ظهور جماعات موسيقى الراب والهيپ هوب في أوساط الشباب المغربي في وضع لمسات جديدة في كتابات ورسومات الجدران، وانتقلت عناوين معظم الشعارات التي كانت تكتب على الجدران المعبرة عن التنافس التقليدي بين مشجعي أكبر ناديين رياضيين لكرة القدم في المغرب، وهما الرجاء والوداد إلى التعبير عن ظاهرة انقسام الشباب المغربي لتشجيع فريقين ريال مدريد وبرشلونة الإسبانيين، والكتابة الحائطية في المغرب تستهوي أحيانا الكبار ولكن بصيغة أخرى، حيث يلجأ البعض إلى استعمالها كوسيلة إرشادية وتحذيرية عندما يتضايقون من تصرف ما، فتنتشر عبارات مثل: «ممنوع رمي الأوساخ، ممنوع الوقوف، ممنوع الجلوس في درج العمارة»، وأحيانا تبدو هذه العبارات غاضبة ومستكبرة مثل عبارة «لا ترموا الأزيال هنا يا...»، ولا تكون هذه الشعارات جارحة وغير مهذبة فحسب بل خادشة للذوق وتفتقد إلى أي نوع من الجمالية، فتستعمل أدوات غير مناسبة للكتابة، وتكتب في أغلب الأحيان بخطوط رديئة ومنفرة وفيها الكثير من الأخطاء النحوية»².

¹ -ريم بن خليفة، الجرافيتي في تونس: صوت الثورة لم يزل حياً؟، الموقع الرسمي لقناة الميادين العربية، <https://www.almayadeen.net/investigation> تاريخ الولوج 2022/02/22

² -عمر عبد السلام، قرب اندثار الكتابة على الجدران في المغرب، جريدة الشرق الأوسط، <https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=11700&article=554680#.YgqvWprjLI> تاريخ الولوج : 2022/02/14

في فلسطين: يمكن اعتبار فلسطين البؤرة التي تبلور فيها هذه الكتابات الحائطية بشكل لافت للنظر، «فحين عمد المحتل إلى إقامة سور العار الذي يجاوز سور برلين في مقاصده ومراميه وبنيته صار هذا الفضاء الممتد مجالاً مرآوياً للتعبير عن الحق والغضب والتتديد، وعن الوجود المحجوز للفلسطينيين في عقر وطنهم. هكذا يستدعي الفضاء الشباب الفلسطيني يومياً إلى تفجير مكنونات إحساسه البصري كي يوسع أفق عالمه فهذه الرسوم التي تستوطن الجدار تشكل ثقباً محتملة في الجدار، لا لترى فيما وراءه فقط ولكن لتؤول وجود الذات والآخر وتربط ما يفصل بين الجدار والرسوم تبدو هنا كأنها امتداد للأرض التي تربط بين الطرفين»¹.

تعود ممارسة الكتابات الحائطية بلونها المعاصر إلى منتصف ستينات القرن الفائت، «حيث اتخذتها المنظمات الفلسطينية وسيلة للتعبير بشعاراتها الإيديولوجية مستثمرة بذلك مختلف الوسائط (الحديدية، الإسمنتية، الخشبية...)» لنشر أخبار نضالها السياسي والعسكري ضد المحتل الصهيوني. كما استخدمت لإعلان أخبار مواعيد المظاهرات والتجمعات وأماكنها، ومن أسباب استفحال ظاهرة الكتابات الحائطية في المجتمع الفلسطيني هو غياب وتغييب وسائل الإعلام، التي لم تستطع النفاذ إلى الرأي العام نظراً للملاحقات الشرسة لسلطات الاحتلال لها، هنا لجأ الفلسطينيون إلى الكتابات الحائطية جراء فقدانهم لوسائل التعبير الحر، فكانت الجدران وسيلة انتفاضتهم ضد المحتل الإسرائيلي، حيث أصبحت قراءة ما كتب على الجدران ضرورة ملحة لا غنى للفلسطينيين عنها»²، فالكتابة الحائطية هنا هي صوت من لا حق له في التعبير وأصوات

¹ - أنظر: فريد الزاهي، الجرافيتي من الاحتجاج إلى مفارقات الاعتراف الفني تعبير عن المهمش والغامض، مجلة الفيصل، الرياض، <https://www.alfaisalmag.com/?p=7030> تاريخ الولوج 2022/02/14.

² - بوعلام باي، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الجرافيتية، مرجع سابق، ص 73.

صادحة لصراخ من القاع ضد كل أشكال التعسف والظلم ضد المغتصب الصهيوني أذنا به من العملاء.

3-4. الكتابات الحائطية في إفريقيا:

في جنوب أفريقيا: أثارت الكتابات الحائطية في جنوب إفريقيا تاريخاً من الجدل «إذ حضرت فيه السياسة وأخذت عدة أشكال من التعبير هناك فكان للسياسة حضور لافت، وفي زمن الفصل العنصري حضر فن الرسم على الجدران كوسيلة رفض داعية إلى التغيير الاجتماعي لكنه أيضاً أخذ مساحة تخريبية تتطوي على التدهور الحضري والجريمة، فعندما استضافت جنوب أفريقيا كأس العالم في 2010، أصدر مجلس مدينة كيب تاون (إحدى أكبر مدن جنوب إفريقيا) قانوناً يجرم الكتابة على الجدران مع عواقب وخيمة مثل الحبس وغرامة، إضافة إلى إزالة الكتابة كيميائياً عن جدران المدينة وأصبح أي شخص يرغب بالرسم على جدران المدينة يحصل على إذن يسمح له بذلك»¹.

في السنغال: ظهرت الكتابة على الجدران «أواخر ثمانينات القرن العشرين تزامناً مع ظهور حركة عفوية للشباب هي "سيت-سيتال" "تنظيف وأنظف"، وكان أعضاء هذه الحركة يكافحون الظروف غير الصحية في العاصمة وضواحيها، وكانوا بعد تنظيفهم الأحياء، يرسمون صوراً لمربطين على الجدران ليثثوا السكان عن إعادة رمي نفاياتهم في الشوارع»².

¹-أنظر: جمال حسن، الجرافيتي توثق البطولة على جدران المدن، مجلة العربي الجديد، الموقع الرسمي <https://www.alaraby.co.uk> تاريخ الولوج 2022/11/03.

²-أنظر: تقرير حول الجرافيتي، نافذة أمل لشباب السنغال، جريدة الرياض، الموقع الرسمي <https://www.alriyadh.com/2012246> تاريخ الولوج 2022/11/04.

في أوغندا: اعتبرت الكتابة على الجدران في أوغندا أقوى حركة فنية في التاريخ الحديث على الرغم من وجود صراعات في البلاد، كما يلاحظ أن الكتابات قد احتلت مكانها في قضايا الحكم والدستورية والديمقراطية، ومع ظهور كتابات حائطية تحتوي على رسائل سياسية في الأماكن العامة نقلت كذلك الكتابة على الجدران رسائل اجتماعية مثل: العنف المنزلي وإساءة معاملة الأطفال في شوارع أوغندا.

في كينيا: بدأ انتشار ظاهرة الكتابة على الجدران في كينيا تحديدا في الأحياء الفقيرة وتحديدا في العاصمة نيروبي كان لدى غالبية الفنانين الكينيين الأوائل في الكتابة على الجدران شغف بالفن وكانوا مدفوعين ذاتيا فقد جاءوا من خلفيات فقيرة ورأوا الكتابة الحائطية بدائل للفق والجريمة، وتابع الفنانون الكتابات على الجدران بدافع الرغبة في التعبير عما رأوه في محيطهم وتسليط الضوء على القضايا الثقافية الاجتماعية.

في تنزانيا: بدأ الشباب بدار السلام في تنزانيا «على طول المدن الساحلية في السفر خلسة في السفن التي دخلت البلاد وخرجت منها محاولين مغادرة البلاد عبر هذه السفن إلى الدول الغربية، كان هذا بعد الحرب التنزانية الأوغندية التي أرسلت الديكتاتور عيدي أمين دادا إلى المنفى و بدأ هؤلاء الشباب في وضع علامات على أسمائهم الحقيقية وألقابهم على جدران المدينة باستخدام الفحم الذي كان متاحا في أي منزل وكان سهل الاستخدام في "ترك علامة"، أطلق على هذا الشكل الفني الجديد اسم "chata"، وهو مصطلح عام سواحيلي للكتابة على الجدران»¹.

¹-Ignatius Wambugu Rukwaro & Samuel M. Maina, *Graffiti Artists in East Africa*, *Africa Habitat Review Journal* Volume 14, Issue 2 ,July 2020, University of Nairobi, Kenya, pp1874-1875.

يبدو حضور الكتابة الحائطية في إفريقيا رغم تأثرها بالثقافتين الأمريكية والأوروبية لأسباب تاريخية، إلا أنها لها طابع خاص، لأنها تترجم مواضيع تشترك فيها معظم بلدان القارة السمراء، ويتعلق الأمر الكفاح من الاستعمار وآثاره ومحاربة القمع والتمييز العنصري والفقر وتدني مستوى المعيشي والمطالبة بالأمن والصحة وإحلال مبادئ الديمقراطية، والتشارك ومسألة المعاناة والقهر التي تتخللها الأنظمة ديكتاتورية في هذه البلدان، وسوء الاستغلال الرشيد لموارد بلدانهم، من هنا استغل ممارسي الكتابات الحائطية في إفريقيا ليكون الحائط منبرا لإيصال أصواتهم ومعاناتهم في مناطق باتت لا تعرف إلا بمسميات كمناطق الصراع أو التوتر وغيرها.

4. الكتابات الحائطية في الجزائر:

سمح ظهور الكتابة والتدوين بشكل كبير «بالتعريف بالواقع الحضاري لكل شعب، غير أن الجزائريين القدماء ومن خلال الرسوم الصخرية استطاعوا إبراز وإظهار ذلك»¹، ولعل أكثر ما يؤكد ذلك تلك «الرسومات الجدارية التي اكتشفت في منطقة التاسيلي وفي منطقة الأهقار والتي يعود تاريخها إلى زمن بعيد، ولعل هذه الرسوم التي وجدت بالطاسيلي تضاهي في عظمتها كهوف التاميرا بإسبانيا وكهوف جنوب فرنسا»².

تجلت أعمال رجل العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا عموما «في مجال الرسم والنقش على الجدران الصخرية في مناطق الأطلس الصحراوي في حدود المغرب الأقصى حتى الأوراس، فهذه المنطقة غنية بالنقوش الصخرية، وفي الطاسيلي ناجر تكثر الجدران الصخرية

¹ - فاطمة الزهراء عزوز، دور الرسوم الصخرية في التعريف بالحياة الدينية في الجزائر في التاريخ القديم، مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد 1، عدد 2، جامعة الجزائر 2، 2015، ص 72.

² - نادية دنوني & حبيبة بوزار، رمزية التصوير الجداري في الفن التشكيلي الجزائري، مجلة النص، المجلد 8، العدد 03، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2021، ص 118.

المرسومة وكذا مرتفعات الهقار الجبلية توجد كل من النقوش والرسوم الجدارية»¹، وفي الجزائر تظهر الكتابات الحائطية في الطاسيلي «ليس في الكهوف فقط ولكن من خلال النقوش والرسوم، وكتابات على جدران المخابئ وعلى الواجهات الصخرية والنصب الجنائزية منذ ما يزيد عن حوالي 10 آلاف سنة، فبالنسبة للمخابئ ظهرت كتابات كثيرة مكتوبة على الجدران والأرضيات والأسقف، وتعد الرسوم الصخرية في الطاسيلي نموذجا أوليا لعادات السكان في ذلك الوقت حيث كانوا يدونون حياتهم اليومية، ولم يكتفي سكان الطاسيلي بالكتابة والرسم فقط للتعبير عن يومياتهم، بل تعدّ ذلك لتخليد حضارتهم من خلال الرسوم الفنية المنقوشة في كل مكان»².

إن الرسوم والنقوش الصخرية والجدارية «الكثيرة والمجسدة على جدران الكهوف هي التي صنعت الشهرة العالمية للطاسيلي ابتداء من عام 1933م تاريخ اكتشاف هذه الرسومات من طرف الملازم الأول الفرنسي (برينانس) وهناك أكثر من 15000 رسم وصورة تم إحصاؤها إلى يومنا هذا، كما تمتد هذه الرسوم عبر الزمن على فترات أو عهود تعكس كل واحدة منها حياة حيوانية معينة تتميز بنمط مختلف»³، وحسب اعتقاد علماء الآثار فإن «التصوير الجداري في الجزائر يرجع إلى فترة ما قبل التاريخ وهذا ما يثبت أن الإنسان في الجزائر عرف الرسم واهتم بفنونه التشكيلية منذ القدم، ولقد كان سكان الطاسيلي حينما يصادفهم موضع مناسب للرسم يرسمون فيه، حيث كانت كهوف وملاجئ المنطقة توفر لهم أسطحا مناسبة، أما الملاجئ العميقة حيث تكون

¹ - كمال، إبراهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، (تر: محمد البشير شنيبي، رشيد بوروبة)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص124.

² - كنزة جبار، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية، دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين بجامعة الحاج لخضر بباتنة، رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، (غير منشورة)، جامعة باتنة، 2014، ص51.

³ - عبد الحميد بعبيطيش، علاقة انسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في العصر النيوليتي، دراسة من خلال مشاهد الرسومات الصخرية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد4، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013، ص126

الجدران محدودة المساحة فثمة الكثير من اللوحات المتراكمة التي رسمت فوق بعضها البعض وتفسر هذه اللوحات احتمال وجود طقوس خاصة لإنجازها»¹.

ملأ الجزائريون أبان الفاتح نوفمبر ذكرى اندلاع الثورة التحريرية ضد الإستعمار الفرنسي «الجدران بعبارات الترحيب بالثورة وأصبح اسم جبهة التحرير الوطني التنظيم السياسي الذي قاد الثورة مدونا على الجدران مئات المرات، وردا على عبارة (الجزائر فرنسية) التي أطلقها الفرنسيون جاءت عبارة (الجزائر جزائرية)، فسايرت الكتابة الحائطية المنهج الذي اتبعه الساسة الجزائريون، حيث اعتبرت وسيلة من وسائل الكفاح»²، وتاريخيا حضرت الكتابات الحائطية «أثناء ثورة التحرير الجزائرية عبر مراحل جسدت وسوقت لمطالب وطنية مهندسة وممجة لرموز الكيان الجزائري ومدنسة لرموز الآخر المستعمر»³، ومن هنا تم اعتبار «الجدار وسيلة لبث روح الوطنية ومساندة الثوار وتجديد أمل الاستقلال، وحتى مع حجب الصحف التي كانت تصدر بأقلام جزائرية تحولت الجدران إلى جرائد يومية»⁴، وتنامت ممارسة الكتابة الحائطية «بعد انطلاق الثورة التحريرية إذ اكتسح المناضلون الجدران، وما شاكلها بشعارات وطنية وأخبار الانتصارات المحققة ضد العدو وكذا عبارات الترحيب بالثورة والتكبير (الله أكبر) والترحم على الشهداء (رحم الله شهدائنا) والتشهير بخصالهم أو التجريح السلبي بأسماء الحركي والعملاء والخونة»⁵.

إن ممارسة الكتابة الحائطية في الجزائر المستقلة حيث «لم تكن مسموحة إلى حد بعيد عكس الحقبة الاستعمارية أين كانت تنادي تلك الكتابات بالاستقلال، حيث في عهد أحمد بن بلة

¹ - نادية دنوني & حبيبة بوزار، مرجع سابق، ص 118.

² -لبنى فتيحة، الغرافيتيا والهوية في الجزائر، مرجع سابق، ص 122-123.

³ - بوعلام باي، فاعلية الغرافيتيا الثورية في استنهاض الوعي الاجتماعي، مرجع سابق، ص 207.

⁴ -لبنى فتيحة، مرجع سابق، ص 123.

⁵ - بوعلام باي، فاعلية الغرافيتيا الثورية في استنهاض الوعي الاجتماعي، مرجع سابق، ص 209.

(1962-1965) وهواري بومدين (1965-1978) صمتت الجدران، وفي بداية الثمانينات أصبحت الجدران المساحة المميزة للاحتجاج الذي تم قمعه فترة من الزمن، خصوصا خلال فترة أحداث 5 أكتوبر 1988¹، ومع تولي الرئيس الشاذلي بن جديد المعروف بتسامحه مع حرية التعبير، «انتعشت بشكل مكثف، غير أن الحرية المطلقة التي عرفها الشارع الجزائري بعد إقرار التعددية الحزبية عام 1989 إلى غاية توقيف المسار الانتخابي عام 1992، جعل هذه الكتابات تنتقل من الجدران إلى اللافتات المحمولة في المظاهرات والتظاهرات التي أصبحت يومها النشاط الوحيد للجزائريين، خاصة أنصار "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" التي تم حلها فيما بعد، وهو ما كان مقدمة للعنف الجماعي طيلة عشرية من الزمن»².

إن التحولات الاجتماعية التي عرفتها الجزائر مع الثمانينات والتسعينات «حددت أشكال أخرى من النقد والتمرد الاجتماعي عبر الكتابات الحائطية حيث أصبحت المواضيع السياسية أكثر انتشارا في مختلف الفضاءات، كنقد نظام الحكم والتذمر منه والترويج للأحزاب السياسية، ومواضيع الفساد السياسي إلى جانب مواضيع أخرى كالأزمة الاقتصادية آنذاك، والفقر والتهميش وقضايا المساواة بين الجنسين والبطالة ضد إلى ذلك المطلب الثقافي الأمازيغي والمواضيع الدينية خاصة ما تعلق منها بالإسلام السياسي»³

خضعت الكتابات الحائطية في الجزائر تاريخا وحاضرا لجملة من التحولات البنيوية التي شهدتها المجتمع الجزائري على اختلاف محطاته التاريخية، فعالجت وطرحت العديد من المواضيع

¹-Karim Ouaras, *les Graffiti de la Ville d'Alger entre Langues, Signes et Discours*, op Cit, p41.

²-أنظر: عبد الرزاق بوكبة، الكتابات الحائطية في الجزائر، مرايا مهملة، مقالات التراسل صوت، <https://www.ultrasawt.com/> تاريخ الولوج 2022/02/22.

³-غواظني مليكة، مرجع سابق، ص44.

التي تخص الجزائريين كمحاربة المستعمر الفرنسي والمطالبة بالاستقلال باستعمال سطوح الجدران لتوصيل رسائلهم ومعاناتهم ونضالهم، وبعد الاستقلال لازمت الكتابة الحائطية يوميات الشعب الجزائري في طرح قضايا جديدة في الحقبة الاشتراكية والتحول إلى الرأسمالية والتعددية الحزبية والأحداث التي تزامت معها.

كان للجدار نصيب في حمل هموم ومشاكل المجتمع في نحت ورسم وكتابة عبارات التهديد والتخويف والتّوعد ضد أفراد وجماعات (منذ احتجاجات التي عرفتھا العديد من المناطق في مطلع الثمانينات، لتنفجر الأوضاع منذ أكتوبر 1988 ودخول البلاد في دوامة العنف المسلح)، وإلى اليوم لا يزال الحائط يرافق أفراد المجتمع الجزائري في ظل الحركات الاجتماعية المطالبة «برفع الأجور والإدماج والتحقيق في تسيير ومحاسبة المسؤولين الفاسدين والمطالبة بالتعويضات ورفع القيود عن العمل النقابي ومراجعة ظروف العمل» ودور الكتابة الحائطية في تخليد وترسيخ شعارات ومطالب الاحتجاج ضد النظام السابق، لتبقى الجدران تتماشى وتتماهى مع ما يريده الفرد الجزائري وما يرفضه على حد سواء.

4-1. الكتابات الحائطية والقانون:

تقع ظاهرة الكتابات الحائطية في خانة الممنوع من السلوكيات والممارسات التي يعاقب عليها القانون، فقد تعددت النصوص القانونية في قانون العقوبات عند الكثير من الدول الغربية منها والعربية، إذ تصب هذه القواعد القانونية في منحى واحد، وهو تجريم التعدي على الممتلكات العامة والخاصة وإلحاق الضرر بها وإتلافها، حيث نحاول عرض بعض النصوص القانونية في بعض الدول وتعاملها مع ممارسة الكتابات الحائطية فيها:

في بريطانيا: تدرج العقوبات الخاصة بالغرافيتي ضمن «القانون الجنائي تحت البند الأول من مادة الضرر الجنائي رقم 1971، والتي تقضي بالسجن لمدة أقصاها 10 سنوات في حال تخريب أو تشويه أي من الممتلكات العامة أو ممتلكات الغير»¹، وفي فرنسا «أوائل التسعينات واستجابة لتوسع الهيب هوب في ميتر باريس، اقترح المشرعون تدابير قسرية في عام 1994، حيث حددت المادة 322 من قانون العقوبات عقوبة خمس سنوات وغرامة قدرها 500000 فرنك (75000 يورو)، وهو الحكم صدر في حق الشاب ماثيو الذي تم القبض عليه أثناء قيامه بوضع علامات ورموز على الجدران، ذلك يكشف بشكل ملموس أثر الأحكام الجنائية التي يمكن تنفيذها وبعد أن قضى ماثيو 48 ساعة في الحجز، بسبب قيامه بتخطيط 4 علامات (tags) حوكم على الفور، إذ طلب المدعي العام سجنه 8 أشهر، فيما حكم القاضي عليه بالسجن 6 أشهر مع وقف التنفيذ، مصحوبة بـ 3 سنوات و 20 ساعة في خدمة المجتمع، كما كان عليه تعويض ضحاياه بما مجموعه 900 يورو»².

عربيا وتحديدا في مصر فإن المادة 361 مكرر (أ) من قانون العقوبات المصري نصت على أنه: «يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن خمس سنوات كل من خرب المنشآت أو الوحدات الصحية المتنقلة للقسم الطبي في الجيش أو التابعة له أو أدوات مذكورة أو جعلها غير صالحة للاستعمال، وكل من عطل عمدا بأي طريقة كانت وسيلة من وسائل خدمات المرافق العامة أو وسيلة من وسائل الإنتاج يعاقب بالسجن»³.

¹ -أنظر: مهيب الرفاعي، تلفيق الغرافيتي تخريب للمكان، تاريخ الولوج 2023/05/29. <http://www.iss-foundation.com/home/eventsdet/MzA4MA>

² -Nicolas Mensh, *L'art Transgressif du Graffiti: Pratiques et Contrôle Social*, Vu le <https://preo.u-bourgogne.fr/shc/index.php?id=371>

³ -قانون العقوبات المصري، طبقا لأحدث التعديلات بالقانون 95 لسنة 2003، القانون رقم 58 لسنة 1937.

في العراق قد جاءت المادة 477 من قانون العقوبات رقم (111) لسنة 1969 المعدل على ما يلي: (المادة 477) مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد ينص عليها القانون حيث « يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين وبغرامة لا تزيد على مائتي دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين من هدم أو خرب أو أتلف عقاراً أو منقولاً غير مملوك له أو جعله غير صالح للاستعمال أو اضر به بأية كيفية كانت»¹، وفي سنة 2018 قررت وزارة الداخلية العراقية «تجريم كل من يتورط بالكتابة على الجدران بعبارات تحمل تهديداً لشخص أو عائلة أو جهة واعتبار تلك الكتابة نوعاً من أنواع الإرهاب ويخضع المتورط فيها للقضاء المتخصص بشؤون الإرهاب، جاء هذا القرار بعد تقديم تقرير برلماني للحكومة يتحدث عن استفحال الظاهرة في بغداد، إذ تستيقظ العائلات لتجد عبارة تهديد على باب منزلها تتوعد أهل الدار بالقتل بسبب مشاكل عشائرية أو خلافات شخصية»².

في الإمارات العربية المتحدة: أصدرت بلدية أبو ظبي قراراً بشأن الحفاظ على المظهر العام والصحة والسكينة العامة في إمارة أبو ظبي (الحفاظ على الحوائط والجدران)، نص على حظر الكتابة على الجدران دون ترخيص، كما نص على أنه مع عدم الإخلال بأحقية البلدية المعنية في إزالة المخالفة فوراً بموجب قرار إداري وفقاً لطبيعة المخالفة، يلتزم المنتفع بالجدار في حال عدم ضبط المخالف بإزالة الكتابة غير المرخصة على الجدران»³. وهذه الطريقة من شأنها أن تساعد على الإبلاغ عن مرتكبي هذه الممارسات من أجل عدم تحمل تكلفة إزالة ومحو الكتابات الحائطية من على أسوار وجدران البنايات الخاصة، أما بمملكة البحرين فتعتبر الكتابة على

¹-أنظر: صفحة مجلس القضاء الأعلى، العراق، تفسير مادة قانونية (قانون المرور النافذ) تاريخ الولوج 2023/06/20. <https://www.sjc.iq/view.68806>

²-أنظر: براء الشمري، العراق: تجريم المتورطين بالكتابة على الجدران ومعاملتهم مثل "الإرهابيين"، صحيفة العربي الجديد، <https://www.alaraby.co.uk> تاريخ الولوج 2023/06/22.

³-أنظر: مقال حول: حظر الكتابة على الجدران دون ترخيص في أبوظبي، صحيفة الإمارات اليوم، عدد 09 سبتمبر 2018، <https://www.emaratallyoum.com>، تاريخ الولوج 2023/06/22.

الجدران من «جرائم الإلتلاف وفقا للمادة 409 من قانون العقوبات البحريني التي نصت على أنه (يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة وبالغرامة التي لا تجاوز مائة دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين من هدم أو أتلف أموالا ثابتة أو منقولة أو جعلها غير صالحة للاستعمال أو عطلها بأية طريقة، وللمحكمة أن تلزم الجاني بدفع قيمة الشيء الذي أتلفه)، وذلك فضلا عما يشكله مضمون العبارات أو الرسوم على الجدران من جرائم معاقب عليها فمثلا تعتبر جريمة إذا شكلت العبارات الإساءة إلى الأشخاص أو تحريض على ارتكاب الجرائم أو إذا كانت الرسوم مخلة بالآداب العام، كل يترتب على ذلك من خسائر مادية لمالك العقار لما يتطلبه من إعادة طلاء الجدران، فضلا عن ما تمثله من إساءة إلى الذوق العام»¹.

5. الأدوات المستخدمة في الكتابات الحائطية:

5-1. الأصباغ: هي أنواع وأهمها الأصباغ البلاستيكية (نفسها الأصباغ المائية)، حيث تستخدم في الكتابات الحائطية، إلا أنها قليلة المقاومة أمام عوامل الطبيعة خاصة أشعة الشمس، أما مارسوا هذه الكتابات فيفضلون استخدام الأصباغ الاكروليكية لأنها تصنع من مواد مقاومة للعوامل الطبيعية القاسية مثل أصباغ السيارات... وغيرها»².

5-2. الأسنسل: هي من أقدم أدوات الرسم على الحائط، وهو «عبارة عن تقنية لنسخ التصميمات عن طريق تمرير الحبر أو الطلاء على الثقوب المقطوعة في الكرتون أو المعدن

¹-أنظر: مقال حول الكتابة على الجدران، جريمة يعاقب عليها القانون، صحيفة الأيام البحرينية، العدد 8574، <https://www.alayam.com/alayam/Variety/187845/News.html> تاريخ الولوج 21-06-2023.

²- المرجع نفسه، ص70.

لنتنقل إلى السطح المراد تزيينه، بحيث يكون الحبر فقط شكل الثقوب الموجودة في القالب»¹. وعلى الرغم من أن الاستنسل أداة قديمة جدا تعود لآلاف السنين، إلا أنه لا يزال العمل بها إلى الآن فمعظم «رسامي الجرافيتي اليوم يصنعون قوالب الاستنسل من الورق المقوى حيث يثبت أو يلصق على الحائط ثم يطلى عن طريق الرش، وغالبا ما يعمل رسامو الجرافيتي بالاستنسل تحت جنح الظلام بغرض عمل بعض الرسوم الأنيفة في وقت قصير وتكرارها مرارا بأقل جهد»².

3-5. أدوات الرش: يستخدم الكتاب الحائطيون «علب الرش Spray Can أثناء الكتابة

والرسم، ومن مميزات هذه التقنية أنها تزال وتمسح بسهولة»³.

4-5. ملصقات الغرافيتي Sticker Graffiti: هو «نوع من الغرافيتي أو الكتابة على

الجدران يتم إنتاجه في المنزل أو الاستوديو، وملصقات الكتابة على الجدران تسمح للفنان بحرية إنهاء عمله المتقن قبل لصقه على المبنى أو الجدار، وفي بعض الأحيان يرسم الفنانون على سطح مع دعمه بكولاج، وأحيانا أخرى يصممون رسوماتهم على الكمبيوتر ثم يطبعونها»⁴.

تكتب الملصقات بـ «بأقلام رصاص أو أقلام لباد (أحمر واسود وأزرق) أو أقلام المحو ذات اللون الأبيض، وكتابتها بأحجام متوسطة وصغيرة مما يساعد على بقائها، وهي في أماكن معزولة بكتابة كبيرة الحجم عن طريق استعمال ريشة الطلاء وبالطباشير والزفت والنقوش بآلات

¹ -أنظر: تعريف الطباعة بالاستنسل وأنواعها، <https://www.almrsal.com/post/1188531> تاريخ الولوج: 2022/11/29.

² -نوال عبيد الله شليان العلوي & مها محمد ناصر السديري، مرجع سابق، ص361.

³ -كنزة جبار، سليمة سايجي، تحليل مضمون الكتابات الجدارية (غرافيتي) عند تلاميذ المرحلة الثانوية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، المجلد 8، العدد 1، 2023، ص70.

⁴ -أدهم رياض قسام، تصميم فن الغرافيتي وتوظيفه في فنون الاتصالات البصرية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الفنون الجميلة، جامعة دمشق، سوريا، 2016، ص112.

حادّة على الجدران، والأشجار، والأحجار الكبيرة، وبفحم الأخشاب والأغصان المحروقة في سهرات السمر»¹، وقد نجد أيضا هذه الكتابات مكتوبة بأدوات أخرى مثل البراز خصوصا الكتابات المتعلقة بالمراحيض سواء مراحيض النساء أو الذكور، أو محفورة بواسطة آلات حادة على الجدار ويكون الاستعمال حسب نوعية الجدار، فإذا كان الجدار صلبا جدا وتضاريسه قوية ومتينة فإن المحرر يلجأ إلى الكتابة بواسطة مادة سائلة أو رش أو قلم، أما إذا كان الجدار سميكًا وتضاريسه ليست بالقوية مثل جدران الإسمنت الأبيض التي تساعد كثيرا على الحفر عليها.

6.أنواع الكتابات الحائطية: هناك نوعان رئيسيان للكتابات الحائطية تم تقسيمهما من طرف الباحث حيث أن كل نوع منهما يتفرع هو الآخر إلى مجموعة أنواع فرعية أخرى وقد تم تحديدهما في كتابات حائطية مكتوبة وكتابات حائطية مرسومة.

6-1. الكتابات الحائطية المكتوبة: هي تلك الكتابات المكتوبة بخط اليد من طرف صاحبها إما فردا أو جماعة كانت، تقوم على كتابة كلمة أو مجموعة كلمات أو رموز أو إمضاءات، لا تحتاج إلى محترفين لكتابتها إذ تركز بالأساس على إيصال رسالة معينة إلى جهة ما من خلال الكتابة إذ لا يهتم الجانب الجمالي في هذا النوع من الكتابة، ويتركز وجودها عادة في الأماكن الهامشية والمغلقة والبعيدة عن المارة، كما تنقسم إلى مجموعة أنواع فرعية هي:

6-1-1. كتابة الطاك Tag: يقصد به تلك الكلمة أو العبارة القصيرة أو الإمضاء أو العلامة التي تدل على وجود كاتب معين، وهذا النوع من الكتابة على الحائط يعرف على أنه «رسم إمضاء جداري يكون عادة بلون واحد ينجز بشكل بسيط وعلى خط واحد ويعبر عن تسمية لفرد

¹ - محمد زيان وآخرون، مرجع سابق، ص ص 61-62.

واحد أو مجموعة أفراد»¹، ويعرّف كذلك بأنه «التدوين البسيط للإمضاءات يتميز بالتكرار وكتابتها هذه الإمضاءات يحددون الحيز المكاني، كما ينتقون بدقة نوع الخط في الكتابة تبعاً لنوع السطح الذي يستندون عليه»²، وعادة ما تكون كتابة الطاق مشفرة وغير واضحة فقد تتمثل في اسم مستعار أو رمز معين يدل على شخص أو عدة أشخاص، فهي تقوم على الغموض وعدم معرفة من قام بهذه الكتابات حتى تبقى مجهولة بغرض استمرارها وعدم ملاحقتها أصحابها.

2-1-6. الكتابة بالترذيث (Bombage): سميت «نسبة إلى كلمة رذاذ أو مضخة، وهي

قارورات دهن خاصة أو طلاء، ويقصد بالترذيث التدوين على الحائط بالرذاذ، إذ يمارس هذا الفعل بنوع من العنف وعادة ما يستخدم لمهاجمة شخصية اجتماعية أو سياسية كتابياً»³. كما يستعمل لتخريب جدار أو دعامة معينة أو الكتابة فوق كتابة قديمة من أجل إلغائها أو دحضها وتبيان أنها خطأ كوضع علامة X فوق كلمة مكتوبة سلفاً، وهناك من يسمي هذا النوع من الكتابات بكتابات البخاخ *Spray paint*، إذ أن البخاخ هو الأداة الرئيسية في هذا النوع من الكتابة الحائطية، وللتذكير، ويمكن استعماله في الكتابات الحائطية المكتوبة أو المرسومة على حد سواء.

3-1-6. الكتابات الحائطية متعددة الأدوات: يمكن تعريف هذا النوع من الكتابة الحائطية

على أنه "كل كتابة أو تدوين لكلمة أو مجموعة من الكلمات أو الرموز بأدوات مختلفة من طرف شخص أو مجموعة أشخاص، وقد تشمل هذه الأدوات (الأقلام بمختلف أنواعها، الحجارة، قطع

¹ -محرز الدريسي، كسر الطوق وتملك هوامش المدينة، الجغرافيتي دراسة شعارات الشباب في مسلك السكة الحديدية بتونس الجنوبية، ورقة مقدمة لأعمال المؤتمر الدولي الجيل والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي، يومي 22-24 سبتمبر 2017، تونس، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، للمزيد أنظر: رابط الفيديو على موقع اليوتيوب <https://www.youtube.com/watch?v=9ZZ53qi39rY&t=1428s>

² -نورة عامر، الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، المجلد 08، العدد 01، 2020، ص 85.

³ - المرجع نفسه، ص 85.

الحديد أو الخشب، الرماد، المفاتيح، السكاكين، طلاء الجدران، البراز، زيوت السيارات...) أو أي أداة يمكن أن تترك أثراً على الحائط من خلال فعل الكتابة. ويدخل هذا النوع كذلك في ما يسمى بغرافيتيا التتميش (*Etching*) وهو «نوع من الكتابات على الجدران يترك ندبات دائمة على السطح، حيث يتطلب استخدام كاتبها هنا أدوات حادة مثل الحجر للخدش أو النقش»¹.

2-6. **الكتابات الحائطية المرسومة:** هي تلك الكتابات المرسومة على الجدران ومختلف الدعائم الأخرى فهي في العادة ترسم من طرف محترفين في أماكن مفتوحة وظاهرة للمارة بشكل مباشر حيث تسعى لجلب الانتباه من خلال ما تحمله من ألوان ورموز وأشكال وصور وكثيراً ما تكون ذات دلالة جمالية يستعرض فيها صاحبها قدرته الإبداعية على الرسم والتصوير على الحائط، وتقسم بدورها إلى أنواع فرعية أخرى منها:

1-2-6. **الكتابات الحائطية ثنائية الأبعاد (2D):** وتسمى كذلك بغرافيتي *Throw-up* وهو «رسم يترك أثراً مزدوج الأبعاد ومفخماً وأكبر ويتطلب عادة لوناً واحداً»²، ويطلق على هذا النوع كذلك اسم غرافيتي الفقاعات، لأنه يشبه في رسمه الفقاعة إذ يخلق فيه الرسام صوراً ورسومات تبدو عند النظر إليها كأنها تتسع وتتفجر بطريقة معينة، وعادة ما تتميز بصعوبة قراءة كلماتها نظراً لتلاصق الحروف وتداخلها مع بعضها البعض.

2-2-6. **الكتابات الحائطية ثلاثية الأبعاد (3D):** يطلق عليها أيضاً «نموذج الباستيل» حيث يسعى هذا النوع إلى خلق تأثير ثلاثي الأبعاد في الحروف والكلمات ويجمع بين الألوان

¹ - نوال عبيد الله شليان العلوي & مها محمد ناصر السديري، الأسلوب الجرافيتي في التصوير التشكيلي السعودي المعاصر، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 31، 2021، الأردن، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، ص 360.

² - محرز الدريسي، مرجع سابق.

ويترك ظلًا، إذ تقوم فكرة هذا النوع على اللعب بمنظر الصورة أو الرسم على الحائط، طابعها أقل عفوية وأكثر فنية لأنها تتطلب تقانياً أكبر في رسمها من طرف الرسام»¹.

6-2-3. الكتابات الحائطية أو الغرافيتي الحر (Wild Style Freestyle): يقوم هذا النوع

من الكتابة الحائطية على تداخل ودمج الحروف مع بعضها البعض في رسمها مما يصعب قراءتها ووضوحها، ويوصف هذا النوع كذلك على أنه «نموذج أو نوع متوحش *Style Sauvage* وهو نوع ترسم فيه الحروف، وتظهر بصورة ديناميكية متحركة، حيث يمكن أن تتحول هذه الحروف إلى نقاط أو أسهم يصعب فك شفرتها ورموزها، وبالتالي يصعب تحليلها والكتابة فيه هنا تكون شبه مقروءة، وكثيراً ما يحمل هذا النوع عبارات بذيئة»².

6-3. أشكال الكتابات الحائطية: تتعدد أشكال الكتابات المتواجدة في مختلف الفضاءات

بتنوع المواضيع والحمولات الثقافية، وهي كما يلي:

6-3-1. الكتابات الشخصية: تمثل أكثر الكتابات انتشاراً واتساعاً وتنوعاً واختلافاً، ذلك

لأن الأصل في الكتابة هو الدافع الشخصي والعامل النفسي قبل أي شيء آخر، وهذه الكتابات موجودة منذ فترة طويلة ولكنها تزايدت وتفاقت مع ازدياد معاناة الأفراد ومشاكلهم واحتياجاتهم المختلفة، بالإضافة إلى عدم تلبية تلك الاحتياجات، الأمر الذي جعل البعض يلجأ إلى الجدار ليعبر عن شكواه ويعرض عليه مشاكله ويسجل عليه مطالبه»³، فالدوافع الشخصية كفيلة بالدفع

¹-Voire: *Tipos de Graffiti.conoce Tados Los Estilos.* www.degraffits.com /Tipos de Graffiti/ Tipos-de- Graffiti Vu 27/11/2022.

²- محمد كريم، مرجع سابق، ص 111.

³-عبد الحسيب جمال & رجب محمد، ظاهرة الكتابة على الجدران لدى طلاب جامعة الأزهر، دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، العدد 165، ج1، مج 34، جامعة الأزهر، مصر، 2015، ص ص 27-29.

بالفرد إلى استعمال الحائط لنحت جملة من المشاكل الشخصية لديه بغرض الانتباه لها من طرف الآخرين.

6-3-2. التقسيم على أساس طبيعة الكتابات

أ- كتابات عامة: تكون على «الجدران الخارجية المواجهة للمارة في الأماكن العامة وعلى الأشجار وعلى لوحات الإعلان وما إلى ذلك مما هو بارز وظاهر للعيان»¹، وتشمل كل من كتابة الأسماء والرموز التي تكتب أو تحفر أو ترش بالدهان على الحيطان الخارجية والأنفاق وغيرها²، فهذا الشكل من الكتابات يتعلق عموماً بالمكان وعموميته أكثر من الكتابة نفسها.

ب- كتابات خاصة: وتكون نقيض الكتابات العامة أي على الجدران الداخلية للأماكن العامة لكن غير الموجهة للجميع كالجدران الداخلية للمراحيض، ومخادع الهواتف وغرف الفنادق وغيرها³، وتسمى كتابات خاصة لأنها تتعلق بحوائط لأماكن فيها نوع من الخصوصية في الاستعمال على اعتبار أنها تكتب على سطوح جدرانها الداخلية.

7. مواضيع الكتابات الحائطية:

7-1. الكتابات الاجتماعية: هي الكتابات التي تعبر الأوضاع الاجتماعية للأفراد على اختلاف مستوياتهم، فيلجأ بعضهم إلى خطها واختيار الجدار كوسيلة لعرضها وهي من أكثر أشكال الكتابات انتشاراً لما تحوزه من اهتمام لدى الكثيرين، «والأسباب الاجتماعية هي أكبر

¹-عادل محلو، مدارات اللغة، اللغة العربية في مدارات العولمة والمعارف والمجتمع، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، لبنان، 2016، ص73.

²-أنظر: مقال "الكتابة الجدارية في التجربة والممارسة الإنسانية" المركز الفلسطيني للإعلام: تاريخ الولوج 2022/12/25. <http://www.vahdet.info.tr/arsiv02/493.html>

³-عادل محلو، مرجع سابق، ص73.

الأسباب المشجعة للنشاط الكتابي الجداري، خاصة ما تعلق بإرهاصات الشقين السياسي والاقتصادي ومخلفاتهما على الفرد والمجتمع»¹، وعموما تجسد الكتابات الجدارية جملة من «المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها أفراد المجتمع، وارتفاع وتيرتها أو انخفاضها هو مؤشر كفيلا لارتفاع أو انخفاض المشاكل الاجتماعية»²، لتبقى هذه الكتابات شاهدة على مطالب الأفراد الاجتماعية وتهميشهم ومعاناتهم فتصبح الجدران هنا صوته المضطهد ووسيلتهم الأقرب للتعريف بمشاكلهم الاجتماعية.

2-7. الكتابات السياسية: تأتي الكتابات السياسية على رأس الكتابة على الجدران، فهناك من يعتبر أن الكتابات الحائطية «أنها قادرة على نقل الفكر السياسي لأن أفرادها يختارون التعبير عنها في الأماكن العامة بقصد التأثير على عدد كبير من الناس من خلال الاتصال البصري، ويعتبر الكثير من الباحثين الغربيين أن هذه الكتابات هي عمل سياسي تمثل دعاية سياسية لأحزاب أو حركات معادية للحكومة»³، مثل ما تحمله الكتابات الحائطية في فترة الانتخابات وانتشارها على جدران المدن والدوائر والبلديات فتصبح وسيلة دعائية بامتياز، ويصبح معها الجدار حاملاً لبرامج المترشحين السياسيين، كما تضمنت الكتابة الحائطية الكثير من العبارات المنادية بالحقوق السياسية للأفراد.

3-7. الكتابات العاطفية: يمثل هذا النوع نسبة لا بأس بها من الكتابة الحائطية، حيث تتمثل هذه الكتابات في الغالب في رسائل الحب والغزل التي يكتبها الشباب، أو كتابة الأشعار

¹ - محمد كريم، مرجع سابق، ص 159.

² - عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، مرجع سابق، ص 112.

³ - ريم فرحان علي الفرمان وآخرون، مدلولات كتابات طلبة جامعة الطفيلية التقنية على جدران ومرافق الجامعة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة، فلسطين، المجلد 30، العدد 03، 2022، ص 202.

القديمة والحديثة المعبرة أو الرموز التي تعبر عن ذلك مثل كتابة الحروف الأولى للمتحابين أو رسم القلوب ك دلالة على الحب والتودد، وتكثر هذه الكتابات في المؤسسات التعليمية والجامعات وعلى جدران الأماكن المخصصة للنبات.

4-7. الكتابات الدينية: تأتي هذه الكتابات بدافع الوازع الديني لدى كاتبها وتكون بحسن نية أحيانا كثيرة (التكير بأذكار الصباح والمساء ودعاء التوكل على الله...)، حيث يلاحظ من يمارسون هذه الكتابات كثيرا ممن ينهون عن السلوكيات الخاطئة أو التصرفات المرفوضة شرعا، أو الأخلاق غير المقبولة عرفا أو العادات السيئة، فينطلقون بدافع ديني في كتابة العبارات التي تأمر بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات وحسن العادات.

5-7. كتابات الألتراس الرياضية: تتلخص هذه الكتابات التعبير عن «التعصب الرياضي، وخاصة من قبل الشباب لفريق رياضي معين أو لاعب معين، والعمل على تشويه الطرف الآخر من الفرق الرياضية أو اللاعبين، وتكثر هذه الكتابات والعبارات في الساحات الرياضية أو الأماكن القريبة منها، وقد ينحدر بعضها فيكون سباباً وألفاظاً نابية، مما يخرج به الأدب والذوق العام»¹، وتتمظهر الكتابات الحائطية في هذا الشكل «من خلال الشغب والعنف في المجال الرياضي عموما، إذ يظهر أن المناصرين مستعدين لفعل أي شيء بعيدا عن قوانين الرياضة وأخلاقياتها من خلال تعبيراتهم على الجدران»²، وقد سجلنا الكثير من الشعارات في مجال الدراسة مثل ألتراس بولينا التي يدعو أعضاؤها في الأصل لنبذ العنف والكراهية لكن يبدو أن مناصري الفرق محبيها ينغمسون في كل أشكال العنف دون شعور منهم مثل كتابات «من الأحياء

¹ - عبد الحسيب جمال رجب محمد، مرجع سابق، ص ص 27-29.

² - كنزة جبار، مرجع سابق، ص 751.

الشعبية بزغ نور الجمعية، لصنام زينة ولات حزينة، 2010 «Ultras Polina». أنظر الملاحق 07 و 08 ، و 09 .

8. التنشئة الاجتماعية والكتابات الحائطية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية نشاطاً إنسانياً بامتياز، حيث يمر من خلالها الإنسان بمراحل متعددة في حياته وعبر مؤسسات معينة توجه سلوكه منذ أيامه الأولى وعلى طول مراحل حياته وصولاً إلى شيخوخته، ومن هنا يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية على أنها «عملية اجتماعية تشمل حياة الإنسان كلها منذ بداية تخلفه ويتم من خلالها تنمية استعدادات الفرد الفطرية وتدريبه على تلبية حاجاته وتأهيله للحياة الاجتماعية في ظل ثقافة مجتمع ما»¹، فتبدأ هذه العملية انطلاقاً من الأسرة التي تمهد الطريق لها في إكساب الفرد مجموعة من القيم والمعايير والسلوكيات التي تؤهله ليكون كائناً اجتماعياً وسط مجتمع معين، وإذا ما كان هذا التأهيل مصاباً بالأخطاء خلال عملية التنشئة، والتي تعد «من أبرز المتغيرات التي ترتبط بالسلوك العدواني والعنف فهناك علاقة وثيقة بين أسلوب التنشئة الذي يعايشه الفرد عموماً والفرد خصوصاً في محيط أسرته، واحتمالات أن يقدم على ارتكاب السلوك العنيف»²، وتأكيداً على هذا فإنه «عندما تكون عمليات التنشئة الاجتماعية قاصرة ومتناقضة وسائبة كأن لا تعتمد على مبادئ العقاب والثواب ولا توازن بين أساليب اللين والشدّة في المعاملة، فإن الشباب الذين يمرون بمثل هذه العمليات في التنشئة فإنهم يذهبون إلى

¹ -مراد زعيمي، مؤسسة التنشئة الاجتماعية، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص11.

² - فاطمة الزهراء نسيبة، العنف ضد الأصول في الأسرة الجزائرية المعاصرة، دراسة ميدانية وطنية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الجنائي، (غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، 2014، ص233.

الانحرافات السلوكية والتفاعلية التي تقودهم إلى الأفعال السلوكية والتفاعلية المتقاطعة مع قوانين وقيم ومقاييس المجتمع»¹،

إن الكتابة الحائطية إذا ما اعتبرناها فعلاً تخريبياً وسلوكاً انحرافياً فيتعلق الأمر بتشويه الأملاك العامة والخاصة والعبث بها، وطرح مسائل الإجرام التي تدل على أن أصحابها يعانون من عدم إشباع حاجياتهم من المحبة والحنان في الأسرة، وعدم الشعور بالأمن والاستقرار، مما يدفعهم نحو الجنوح والممارسات الانحرافية التي حتماً ستتقاطع مع قيم المجتمع واستقراره، «خصوصاً عندما يغيب تطبيق القانون ضد هذه الممارسات والتي قد تصل لحد التشهير بالأشخاص وهي جريمة يعاقب عليها القانون الجزائري، وهو ما تحدده المادة 371 معدلة من قانون العقوبات الجزائري والتي تنص على أنه: كل من تحصل بطريق التهديد كتابة أو شفاهة أو بإفشاء أو نسبة أمور شائنة على أموال أو أوراق مالية أو على توقيع أو على المحررات المبنية في المادة 370 أو شرع في ذلك يكون قد ارتكب جريمة التشهير، ويعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة من 2.000 إلى 30.000 دج»².

تعد الأسرة أحد أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية كيف لا وقد اقترن اسمها مباشرة في كتابات الكثيرين الذين أطلقوا عليها تسمية التنشئة الأسرية، وهي التي وجدت في كل المجتمعات بلا استثناء فلا وجود لمجتمع بدون أسرة، وعلى صعيد هذه المؤسسة الهامة في عملية التنشئة الاجتماعية إذ «يلعب نمط التنشئة بالأسرة دوراً رئيسياً في تشكيل حياة الأبناء، فالشخصية الإنسانية هي نتاج للجينات الموروثة وللطريقة التي تترى عليها ونشأ بها، ذلك أن الفرد يتعلم

¹ -إحسان محمد الحسن، علم اجتماع الجريمة، ط1، دار وائل للنشر، 2008، الأردن، ص70.

² - قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 371 (معدلة)، الصيغة المعدلة لعام 2015، ص147.

معظم أنماط سلوكه ومعتقداته وعاداته من الأسرة التي ينشأ فيها، فالأسرة هي مصدر القيم التي يتشربها، وهذه الأخيرة هي من تحدد الخطأ والصواب والمرغوب وغير المرغوب»¹، ومن جهة أخرى «هناك انحرافات تظهر في تنشئة الجماعة الاجتماعية عند أعضائها مثل الإفراط في دور الجماعة والمغالاة في إخضاع الفرد لضغوطها يدفعان إلى التقييد بحدود هذه التنشئة أكثر من اللازم»²، وقد تلعب هذه الجماعات أحيانا (جماعة الرفاق) دورا في نقل القيم والتقاليد الإجرامية إذا توفرت الشروط لأعضائها الذين يتميزون بقصات الشعر والهندام المتميز وبعدم الانضباط وانحراف السلوكي، وكذا تدني مستوياتهم التعليمية ويعيشون حالات اغتراب واضطراب، ويقيمون فيما بينهم علاقات اجتماعية متينة، فيقضون معظم أوقاتهم في الحقائق العمومية أو المقاهي أو قاعات الألعاب أو في الأماكن المنزوية (بعيدا عن المدينة، تحت الجسور، المساكن المهجورة، في الجبال...)، حيث يجدون في ضمن جماعتهم الأشياء المفقودة لديهم من اهتمام واحترام وحب لتعويض الإهمال واللامبالاة التي ينالونها من المجتمع الذي ينعتهم بالفاشلين، فينغمسون في تناول المخدرات والمشروبات الكحولية، وليالي السهر، وقد يحدث التنسيق فيما بينهم لرسم خطط إجرامية (السرقه، تشكيل جماعات الأشرار، السطو المسلح، الابتزاز، القتل...).

يمكن اعتبار التنشئة الاجتماعية من «أبرز المتغيرات الاجتماعية التي لها صلة بالسلوك العنيف بمعناها الواسع، إذ هناك علاقة وثيقة بين أسلوب التنشئة الذي يتلقاه الطفل في محيط الأسرة واحتمالات قيامه بأفعال العنف حتى في المستقبل»³، وفي ذات السياق فإن التنشئة

¹ - ليلي ناجي، دور التنشئة الأسرية في الحد من ظاهرة العنف لدى التلاميذ، دراسة ميدانية بثنائيات بلدية تبسة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوية، (غير منشورة)، جامعة بسكرة، الجزائر، 2018، ص137.

² - معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص86.

³ - عمر حمداوي & بلال بوجراف، العنف اللفظي في المجتمع الجزائري، دراسة سيوسيو أنثروبولوجية بمدينة خنشلة، مجلة المعيار، مجلد 26، عدد 04، 2022، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص1090.

الاجتماعية يمكن أن يكون لها علاقة بالسلوك الاجرامي في محيط الشباب والمراهقين لما يوفره إفرازات المحيط المضطرب على حد تعبير-علي عناقة- «من تدني مستوى أداء نظام التعليم يسبب تسربا في أوساط أبناء الفقراء بصورة خاصة وذلك لعدم توافر الظروف الموضوعية للعملية التربوية. النقص في الوسائل الضرورية، وسوء الظروف البيئية، وبعد المؤسسات عن السكن والعمل...»¹

أي أن «الأسرة ونمط التربية يلعبان دورا حاسما في ظهور العنف، فعند مراجعة الطرق التي تسهم بها التنشئة الاجتماعية الأسرية وعمليات التربية في ظهور العنف وجد أن هناك طرق فعلا تسهم بها التنشئة والتربية في ظهور عملية العنف داخل المجتمع من بينها العنف داخل الأسرة أو ما يعرف بالعنف الأسري ونظام التربية داخل مؤسسة الأسرة»².

9. المدينة والكتابات الحائطية:

9-1. المدينة لغة واصطلاحا: شهدت المدن منذ القدم العديد من التغيرات على مستويات عدة جغرافيا واجتماعيا، الأمر الذي جعلها تتجه إلى التعقيد شيئا فشيئا فاكتملت نوع من التعقيد على مستوى تركيباتها البشرية والحضرية وغيرها مما جعل ضبط ملامحها التعريفية يبدو صعبا على الباحثين في شتى المجالات، وعليه سنتطرق في هذه النقطة إلى عرض بعض التعريفات التبسيطية للمدينة ما بين تعريفات لغوية واصطلاحية:

¹-علي عناقة، الشباب مشكلاته الاجتماعية في المدن الجزائرية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008، ص225.

²-عبد الله عبد الغني غانم، جرائم العنف وسبل المواجهة، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص106-107.

تعريف المدينة لغة: مدن بالمكان أي أقام به، فعل مامات، ومنه المدينة وهي فعلية وتجمع على مدائن، بالهمز ومدن ومدن بالتخفيف والتثنية¹، ويقال كذلك، مَدِينَة: اسم، ومَدِينَة: مصدر مدين، مَدِينَة) اسم، الجمع: مَدَائِنُ، و مَدُنٌ، والمَدِينَةُ: المَصْرُ الجامعُ، تَجْمَعُ سَكَّانِي يَزِيدُ عَلَى تَجْمَعُ الْقَرْيَةِ².

كلمة مدينة ترجع أصلاً إلى «كلمة (دين) ولهذه الكلمة بهذا المعنى أصلاً في الآرامية والعربية أي أنها ذات أصل سامي، وعرفت المدينة عند الأكاديين والآشوريين بالدين أي (القانون) كما أن (الديان) يقصد بها في اللغة الآرامية والعبرية (القاضي) وإضافة إلى ذلك فإن مصدرها في الآرامية (مدينتا) وتعني القضاء، وتوافق هذه التفسيرات ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف³، ومن الناحية الاشتقاقية تستمد كلمة المدينة City أصلها من «كلمة Civis اللاتينية، وحتى هنا كانت الإحياءات الاجتماعية للمصطلح تسبق الإحياءات الجغرافية، ويبدو أن مصطلح المدينة في العربية من أصل آرامي، وكان يطلق في العصر الساساني على طيسفون عاصمة الساسانيين اسم (مدينتا) أو (المدينة) التي أصبحت في ما بعد (المدائن)، كما أطلق على يثرب اسم (المدينة) والظاهر أن المقصود به كان ينحصر بالمدينة ذات الأسوار⁴.

تعريف المدينة اصطلاحاً: تطور مفهوم المدينة على مدى العصور المختلفة، وذلك نتيجة للتطور في الأنشطة الإنسانية المتنوعة بما يتماشى مع التطور الذي تشهده مختلف المجالات،

¹ - أبي الفضل ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (مادة المدن)، دار المعارف، القاهرة، مصر، (دون طبعة)، (دون تاريخ)، ص4160.

² - قاموس المعاني الجامع، www.almaany.com

³ - عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، دون طبعة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص ص15-16.

⁴ - طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، ط1، منشورات المنظمة العربية للترجمة، مركز الوحدة العربية، لبنان، 2010، ص ص604-605.

فالمدينة حسب ماكس فيبر (M, Weber) هي «مستقر مجتمعي ومكان سكني متسع، وليس تجمعاً متناثراً أو مجموعة منازل متقاربة بل إن الدور (جمع دار) اليوم تتكاثف وتتلاصق حائطاً بحائط، فالمدرسة هي مستقر كبير يتوقف على مجال ثقافي معين»¹، وقد عرفت كذلك على أنها «وحدة اجتماعية حضرية، محددة المساحة والنطاق ومقسمة إلى إدارات، ويقوم النشاط فيها على الصناعة والتجارة، وتقل فيها نسبة المشتغلين بالزراعة وتتوزع فيها الخدمات والوظائف والمؤسسات وتمتاز بكثافتها وسهولة مواصلاتها، وتخطيط مرافقها ومبانيها وهندسة أراضيها، وتتميز فيها الأوضاع والمراكز الاجتماعية والطبقية»².

هناك خلط كبير في الحديث حول لفظ المدينة، إذ يخلط كثيرون أثناء تعريفها بلفظ الحضارة «فعلماء الأنثروبولوجيا يستخدمون كلمة الحضارة في معنى عظيم الاتساع بحيث تنظم كل ميادين الحياة البشرية، ويشيع استخدام كلمة المدينة بدورها في معنى عظيم الاتساع كذلك فهي تشير في معناها الحرفي إلى مجموع الأمور المكتسبة التي تتميز بها الحياة»³.

ينظر للمدينة لها من عدة زوايا مختلفة ومتعددة، فهناك من اعتبر المدينة «وحدات نضجت خلال التاريخ الإنساني نتيجة الصراع مع الطبيعة، أو لأنها مظهر أساسي للعلاقات المتبادلة بين الإنسان والمكان، واعتبرها الآخر بأنها مجموعة من العلاقات الاقتصادية المتبادلة،

¹ -رجاء مكي طيارة، مقارنة نفس اجتماعية للمجال السكني، دراسة ميدانية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1995، ص60.

² -ياسمينه بغريش، تخطيط المدن التوابع، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الحضري، (غير منشورة)، جامعة قسنطينة 2، 2013، ص37.

³ -موريس جنزبرج، علم الاجتماع، تر: فؤاد زكريا، منشورات مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص32.

أو أنها نوع من الوجود الإنساني»¹. كما يُنظر للمدينة كذلك على أنها ذلك «الحيز المجالي الذي يمثل مستقر لمجموعة من الأفراد بما يمثلون من تفاعلات وتباين في الثقافات والمستويات والتي يكون الهدف الأساسي لتواجدها هو تلبية الحاجيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لخدمة الأفراد، وهي في تطور وحراك مستمر بما يستوجب الاهتمام الدائم بتوفير البيئة الضرورية لقاطنيها من أجل توفير أفضل أساليب الإقامة فيها»²، ويمكن اعتبار المدينة في علم الاجتماع ظاهرة اجتماعية، وهي «ليست مجرد تجمعات من الناس بل هي اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد، وهي في النهاية مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، ولهذا السبب تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي المتميز»³.

يعرف المشرع الجزائري المدينة من خلال القانون التوجيهي للمدينة رقم 06/06 المؤرخ في 21 محرم 1427هـ الموافق لـ: 20 فيفري 2006، حيث ورد في نص المادة الثالثة من القانون 06/06 بأنها «كل تجمع حضري ذو حجم سكاني، يتوفر على وظائف إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية...»⁴.

9-2. الكتابات الحائطية وسوسيولوجيا التحضر:

¹ - نورية سولمية، المدينة والحضرية في الجزائر، مقاربة نظرية، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، عدد 15، 2018، الجزائر، جامعة البليدة 2، ص 99.

² - ياسمينه بغريش، مرجع سابق، ص 39.

³ - جلول زناتي، النمو الحضاري وانعكاساته على المحيط العمراني، دراسة حالة مدينة الجلفة، مذكرة ماجستير في التهيئة العمرانية والإقليمية، (غير منشورة)، الجزائر، جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا، 2012، ص 64.

⁴ - الجريدة الرسمية، القانون رقم 06/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006، المتضمن للقانون التوجيهي للمدينة، الفصل الثاني، التعاريف والتصنيف، العدد 15، الصادر في 12 مارس 2006، الجزائر، ص 18.

تعتبر سوسيولوجيا التحضر والمدينة من أهم الحقول في علم الاجتماع والتي تهتم بالدرجة الأولى بدراسة الظاهرة الحضرية وكذا نمط العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية داخل المدينة، فهذا الفرع من السوسيولوجيا يستمد أدواته المنهجية وأسسها المعرفية والعلمية ومفاهيمه الأساسية وطرائقه الميدانية من التراث السوسيولوجي العام، وبرجعنا إلى تاريخ علم الاجتماع فإننا نجد أن «المدينة والتحضر شغل بال الكثير من رواد هذا العلم منذ بدايته إلى يومنا هذا، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على أهمية المدينة باعتبارها مجالا فيزيقيا وثقافيا للإنسان الذي يعيش فيها، فالمجتمعات بمثابة مرآة تنعكس عليها المدن التي يعمرونها والعكس صحيح»¹.

يعد التحضر عند علماء علم الاجتماع «عملية معقدة تتعلق باكتساب ثقافة المدينة فهو عبارة عن عملية خاصة بسكان المدينة أو سكان الريف الذين هاجروا إلى المدينة، والذين يتغير سلوكهم وقيمهم وحتى مظهرهم وطرق معيشتهم، لكي يتكيفوا مع الحياة فيها»²، فحياة الريف ليست هي نفسها حياة المدينة، هذه الأخيرة التي تتميز بالتعقيد في مظاهرها وتفاصيلها اليومية، فعملية التحضر في المدينة تعمل على «التأثير في التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والمهني للسكان، مما يجعل الحضرية أسلوبا مميزا للحياة»³.

من هذا المنطلق دعا عدد من الباحثين في مدرسة شيكاغو* إلى اعتبار النمو الحضري أسلوب حياة متميز بحد ذاته، إذ يرى أصحاب هذه المدرسة أن التحضر يمثل شكلاً من أشكال

¹ - مبارك آيت خليفة، سوسيولوجيا التحضر، مقاربة نظرية تحليلية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 9، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2019، ص 48.

² - نورية سولامية، مرجع سابق، ص 105.

³ - المرجع السابق، ص 105.

* - مدرسة شيكاغو: مدرسة أمريكية في علم الاجتماع نسبت في اسمها لمدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، هذه المدرسة التي انطلقت من جامعة شيكاغو، وما جعلها تظهر هي تلك التحولات الكبرى التي عرفتتها مدينة

الوجود الاجتماعي، فالمدينة في رأيهم تمثل مركزا للسيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية ومحور تدور حوله جماعات وأنشطة متنوعة دون أن ترتبط فيما بينها علاقات شخصية أو اجتماعية والتي ان وجدت فإنها سرعان ما تبدأ بالتفكك والاندثار مع تزايد الكثافة والتعقيد في حياة المدينة»¹، وإضافة إلى اعتبار مدرسة شيكاغو أن التحضر أسلوب حياة بالنسبة للأفراد، فإن «حياة المدينة تفرض الطابع اللاشخصي على العلاقات بين الناس وتخلق مسافات اجتماعية بين الجماعات والأفراد»².

يؤدي التحضر إلى «حالة من الوجود الاجتماعي بشقيه المادي واللامادي فافرض نفسه على الأفراد والجماعات للتكيف معه، وعليه، فإنه يشير إلى انتقال أفراد من حالة إلى حالة أخرى بتغيرات ديمغرافية مجالية وأخرى اجتماعية ثقافية، فيتم إدماج هؤلاء الأفراد المعنيون في دائرة التحضر لتصبح الحضرية أو التحضر أسلوبا لحياتهم»³، واعتبار الباحثين المدينة كظاهرة اجتماعية «يرجع إلى طبيعة ارتباط المدينة بالتنظيم الاجتماعي الوظيفي المتعدد الذي يأخذ أشكالا

شيكاغو في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، والتي كان من نتائجها ظهور العديد من الظواهر الاجتماعية أهم روادها: (روبرت بارك، لويس ويرث، توماس ويزناسكي، وليام توماس)، تميزت هذه المدرسة بمقارنتها المنهجية الميدانية العميقة، واهتمامها بمواضع علم الاجتماع الحضري كالتحضر والمدينة ...

¹ - أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص 600.

² - المرجع نفسه، ص 623.

³ - شعبان أميمة، التحولات الحضرية والاستراتيجية التربوية للأسرة النووية في الوسط الحضري، دراسة ميدانية على عينة من الأمهات في مدينة الجزائر وضواحيها، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الحضري، (غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، 2018، ص 69.

مختلفة من الأنماط المعيشية، تتراوح بين الأنماط التقليدية والمعاصرة، وتتجلى في طبيعة مصارعة وتوزيع الأفراد ونشاطاتهم الحياتية على امتداد المكان الذي يشغلونه»¹.

9-3. العنف الحضري، قراءة في المفهوم:

يعرف العنف الحضري بأنه «مجموعة من ضروب السلوك والممارسات الاجتماعية التي تتخذ من العنف شكلا للتعبير عن عدم رضا عن وضعيات اجتماعية يحتلها الأفراد الذين يلجؤون إلى هذا النوع من الممارسة، ويتم ذلك في إطار حيز جغرافي معين أو فضاء اجتماعي وعمومي وهو المدينة»²، ويشير كذلك العنف الحضري أيضا إلى «تلك العمليات التي تقوم بها جماعة أو جماعات بإحداث تغيير في الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى السياسية القائمة عن طريق المطالبة بحقوق اجتماعية اقتصادية أو سياسية أو كل ذلك مجتمعا، ذلك باستخدام أساليب عنيفة داخل المحيط الحضري»³، واستنادا إلى ما تم ذكره نرى أن العنف الحضري هو اتخاذ العنف كشكل للتعبير في فضاء حضري وقد تتعد أشكال التعبير عند الأفراد على مستويات عديدة منها المستوى الكتابي، أي أن التعبيرات الكتابية على الحائط مثلا قد تكون من أهم أشكال العنف الحضري في المدينة لأنها تحمل وببساطة الكثير من الدلالات والسياقات والأفكار والكلمات والعبارات والرسومات والرموز العنيفة في بواطنها، إضافة إلى العنف المادي في ما يختص بتشويه

¹-شعلا بابهية، مشكلات المدن الجزائرية من المنظور السوسولوجي، مقارنة واقع مشكلات المدينة الجزائرية ودراسات مدرسة شيكاغو، ورقة مقدمة لأشغال الملتقى الوطني: المدينة الجزائرية الواقع والتحديات، يومي 28 و 29 أكتوبر 2019، جامعة تيزي وزو، الجزائر.

²-سبعون سعيد & دريوش و داد، العنف الحضري في الجزائر، دراسة تحليلية سوسولوجية، حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 32، الجزء 07، 2018، جامعة الجزائر 1، ص 710.

³-السعيد رشيد & كريمة فلاح، سوسولوجيا العنف الحضري في خطاب المدارس الفكرية الحضرية، مقارنة نظرية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 1، جامعة الأغواط، 2021، ص 85.

الفضاء العام الحضري عبر طمس الحائط والحوامل الأخرى في المدينة، ليتجلى العنف الحضري هنا على المجتمع البشري في المدينة بشكل واسع عبر الكتابات الحائطية وممارساتها المختلفة.

9-4. سوسيولوجيا المكان ودلالته في الكتابات الحائطية:

يكتسي المكان أحيانا قدرة تواصلية هائلة بين الأفراد وأهمية بالغة في حياتهم، فلكل مكان دلالاته ورمزيته في الحياة اليومية، فالمكان في الثقافة اللغوية العربية «ذو بعد وجودي يقف في الموقع الضدي من العدم، فالمكان رحم الوجود وغيابه الخواء والعدم»¹، لذا لا يمكن فصل المكان عن حياة الإنسان، هذا الأخير الذي لا طالما اقترن وصفه واسمه باسم مكان معين أو نعت به فيقال ابن الجزائر، أو الشلف... وغيرها، فالمكان يعيش داخل الإنسان، وعلاوة على ذلك «يملك الإطار الفيزيائي للمكان تأثيرا نفسيا وسلوكيا على الإنسان وطبيعة مكوناته تشكل شخصية المكان وروحه، فالمكان له ذاكرة حية مستمدة من قوة الحضور العمراني ضمن النسيج القائم به بكل نشاطاته التي تجرى وتكرر داخله»²، ومن بين النشاطات اليومية التي يحتضنها المكان خصوصا داخل المدينة نجد الكتابات الحائطية، هذه الممارسة التي تتخذ من الأمكنة على اختلافها حيزا لها، فتمارس في الشوارع والأحياء وعلى الطرقات والأرصعة وبين البنايات الخاصة والمؤسسات الحكومية وغيرها، إلا أنه ولكل مكان حضوره الخاص في مسألة التوجه لهذه الممارسة، فالكتابة على جدران المنازل والبيوت والبنايات الخاصة لا تكون بنفس درجة الكتابة على البنى والمؤسسات والأملاك العامة والحكومية لما تحوزه الأخيرة من اعتقاد داخلي للأشخاص بامتلاكها كونها عمومية

¹ -علي مهدي زيتون، في مدار النقد الأدبي، الثقافة، المكان، القص، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2011، ص52.

² -منى زاهد سويلمي، المكان كأداة للوصل والفصل، تحليل ثقافي في جدلية التشكيل المعاصر للحياة الاجتماعية، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد8، عدد1، 2022، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ص69.

وتخصصهم، ولهم الحق في التصرف فيها على عكس البناءات الخاصة، والتي يعتبر التقرب إليها والكتابة على جدرانها بمثابة اعتداء شخصي إلى حد ما على صاحبها.

تظهر مسألة امتلاك الفضاء العمومي والتصرف فيه جلياً في ظاهرة الكتابة الحائطية بغض النظر عن نوعية الكتابة، فكل ما هو عام يجوز الخريشة والرسم والكتابة عليه في اعتقاد هؤلاء، إذ لا يمكن لأي فرد من العوام لا يمثل السلطة التدخل في نظرهم ومنع هذا الفعل كون الحامل والمكتوب عليه عام ولا يخص أحداً حسب اعتقادهم، خصوصاً مع غياب آليات لقمع هذه الممارسات من طرف السلطة نفسها رغم وجود سند قانوني يعاقب على ارتكابها بغرامة مالية أو حبس في قانون العقوبات الجزائري، إلا أن عدم تطبيقها أو التبليغ عن مرتكبي هذه الممارسات في الأماكن العامة عزز من انتشارها في هكذا أماكن، خصوصاً تلك الأماكن التي تحتوي على شوارع واسعة وجدران طويلة على مر الطريق أو الرصيف، والتي تكون عادة تابعة لمؤسسات تربية أو صحية أو ملعب أو أي مؤسسة عمومية لا تملك نقاط مراقبة على أركان بناياتها، فطول الجدار هنا يجعل مساحته محل إثارة للكتابة والخريشة والرسم عليها عند بعض الأفراد فتنتشر فيهم هذا الفعل معبرين عن ما بداخلهم في لحظته وعلى تلك الأماكن، وبالحديث عن التفاوت في درجة الممارسة الكتابية الحائطية من خلال المكان لمسنا أن أماكن وسط المدينة بالضبط تقل فيها هذه الكتابات نظراً للاكتظاظ والحركة الدائمة واليومية التي تعرفها هذه الأماكن ما يجعل الممارس هنا لا يفكر كثيراً في الأمر، فيفضل أن يكون غير معروف وغير ظاهر للأفراد فالكتابة الحائطية طالما اتسم ممارسوها بعدم الظهور منذ بداية ظهورها التاريخي في المدن.

يختار ممارس الكتابة الحائطية أماكنه حسب البيئة التي يقطن بها وعادة ما تكون حيطان

عمومية أو سكنات مهجورة (على سبيل المثال لاحظنا كثرة الكتابات في السكنات المتنازع عنها

من طرف الورثة الشرعيين بعد وفاة الملاك الأصليين والسكنات المهملة...)، يستعمل فيها الخط والرسم والنقش أو الحفر لإيصال رسائل ومعاني متنوعة، تتم عن طبيعة العلاقات الموجودة في الحي (حب السيطرة والظهور والرغبة في إثبات الذات والهيمنة على الآخرين بفرض منطق القوة والغلبة، وقد يتوسع عمل هذه الكتابات في التأثير على الشباب والمراهقين بما يشبه العدوى التي تدفع بعضهم نحو التقليد والنقل، وبالتالي تصبح هذه «الجماعات مهداً للانحراف، وهذا ما يصعب مهمة الأولياء في ضبط أبنائهم، وبالتالي يتعاملون مع التحاقم بهذه الجماعات بنوع من الحساسية المفرطة (ممارسة العنف ضدهم والخط من قيمتهم)، وهي لن تنتهي الذكور عن ذلك، بل تزيد من مسألة الارتباط والتمثل بأدوارهم (بالقول ذاك صاحبي)، ولعل العديد من التورطات التي يقع فيها القاصرين في مشاكل قانونية سببها جهلهم بالواقع، وبحثهم المستمر عن الذات أو الهوية الشخصية ولدعم من طرف الافراد الأكبر سناً¹، وعادة ما يتم حل تلك المشكلات بطريقة ودية داخل الحي من طرف الأباء، لكن يمكن أن يتجاوز صلاحياتهم حينما يتعلق الأمر بجريمة والإعتياد عليها (ك السرقة والسطو على الممتلكات والمتاجرة بالمخدرات والدعارة، والاعتداء على الآخرين وتشكيل جماعات الأشرار...).

يراعي الفاعلون أحياناً وضوح المكان، بأن يكون مرئياً ويسهل ملاحظته ومشاهدته من قبل الأفراد المعنيين بما هو مكتوب، لأنهم يمثلهم ويحمل نبذة من مشاكلهم ومعاناتهم وطموحاتهم ومشاكساتهم وعراكاتهم مع مجموعات أخرى قد تأخذ منعطفات خطيرة ك التشهير بهم أو قذفهم بصفات وأعمال لم يقوموا بها أو شتمهم للوطن والشخصيات المعروفة في الحي أو النماذج الوطنية لمجرد الاختلاف في الرأي (سياسيا أو دينيا، أو فكريا...)، وعادة ما يشعر الشباب أنهم مراقبون

¹ -محمد زيان، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر، مقارنة سوسيو ثقافية، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع (غير منشورة)، جامعة وهران، الجزائر، 2013، ص161.

في الحي لذلك تجدهم يكتبون عبارات «قابر توني أخطونا» أي (تراقبوننا فأتركونا)، و « الصطاد صطادنا مكش لي يسالنا» أي (الملعب ملعبنا..لا يتدخل فينا أحد) أنظر الملحق رقم (10)

5-9. تأثير الكتابة الحائطية على المدينة كفضاء حضري:

شكلت المدينة الفضاء الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للإنسان، بحكم أنه يشغل هذا الفضاء بكل ما يحمله من دلالات رمزية، فالمدينة هي انعكاس لصورة المجتمع بكل تجلياته، ويمكن أن تظهر في شكل تعبيرات متنوعة للأفراد، أبرزها العناصر الثقافية بمختلف نشاطاتها كالعادات والتقاليد والأعراف والقانون وتكنولوجيا الاتصال والفنون من موسيقى ورسم ورقص وأغاني الشعبية، وكل أشكال الفنون بما فيها الكتابات الحائطية، التي تمكنت بعض الدول الغربية من دمجها في الإطار العام للمدينة وما تخلفه من تأثيرات إيجابية تخدم المصلحة العامة والذوق الفني. في حين لا تزال تعرف استهجاناً ورفضاً في دول العالم الثالث بما فيها الجزائر، حيث «يتم إلقاء القبض عن فاعلها مباشرة، حسب ما أدلى به رجال القانون (محامين وقضاة) والأمن (شرطة ودرك) عندما تحاورنا مع بعض ممثليهم، في حين يتم السماح بإنجاز كتابات جدارية ولوحات جدارية فنية، عندما يتم التنسيق بين الفنانين والمسؤولين المحليين وأحياناً بإشراف مديرية الثقافة والمجتمع المدني والجمعيات (كما هو حال الجداريات الفنية في وسط وأمام مقر الدائرة بالشلف)».

تشكل ظاهرة الكتابة في المدن من حيث الدلالة «تخريباً للممتلكات العامة والخاصة، وتشويهاً للمناظر الجمالية داخل المدن، فالنقوش المكتوبة أو الرسوم المصورة دائماً ما تحدث في ظروف غير قانونية، كما أنها ظاهرة غير مرغوبة من قبل الكثيرين، وأن أصحابها مجهولون سواء

كانوا أفراداً أو جماعات»¹، خاصة إذا كانت رسائلها ضد المجتمع وحرّيات الأفراد، وهي أحد مخلفات المدينة وتجلي واضح لحوار فكري غير مباشر، يتسع نطاقه ولا يعرف في مواضع طرحه حدود الجغرافيا السياسية الخاصة بالمجتمعات الحضرية، فمفهوم الكتابات الحائطية ارتبط بمفهوم المدينة والفضاء الحضري منذ فترة ليست بالقريبة، بل «كانت العلامة الأساسية البارزة لتاريخ المجتمعات المدينة القديمة منها والحديثة، وشهادة توثيقية لمستويات معيشتها وإنتاجاتها الثقافية والمادية، فالممارسة الحائطية «تمثل نبض الشارع والمدينة والمجتمع، وانشغالاته وهمومه، وهي معروضة أمام مرأى الجمهور وحكمه فيراها عنفا رمزياً مضاداً أو وسيلة إعلام وتعبير حرة، غير رسمية مضادة لبروباغندا وأجندة معينة»².

اتسمت البدايات الأولى لظهور الكتابات الحائطية «بالرفض الاجتماعي خاصة من طرف السلطة الرسمية بحجة أنها تشوّه منظر المدينة، فكثير من الصحف قد كتبت حول الظاهرة ووصفتها بأنها تشكل خلل داخل النظام العمراني الحضري، باعتبار أن الكتابات الحائطية نوع من تملك فضاء المدينة، كما أنها شكل من أشكال العنف الرمزي من الناحية الفنية، وأرجعت الصحف كذلك أن معظم هذه الكتابات لا يمكن اعتبارها فناً لأنها لا تحتكم إلى القواعد الفنية الجمالية المتعارف عليها»³، وقد اتسع مفهوم الكتابات الحائطية فلم يبق محصوراً في عملية الكتابة وإنما اتخذ كل الأشكال الممكن بها إيصال رسالة هؤلاء الكتاب الحائطين، هذه الرسالة تجسد عبر أرقام وأشكال ورموز مبهمّة أو مقروءة، فيما اعتبرت الكتابة الحائطية كنوع من الثقافات المضادة

¹ - ماجد خليل الجبريني & سمير أحمد أبو زنيد، الكتابة على جدران مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية، الدوافع والسلوك، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الرابع، العدد التاسع، 2020، ص 100.

² - محمد كريم، مرجع سابق، ص 114.

³ - حسينة بوعدة، أشكال التعبيرات الثقافية، مقارنة نظرية استطلاعية لأغاني الرب والغرافيتا، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد السابع، العدد 2، جامعة مستغانم، 2018، ص 215.

للمجتمعات، وهي بذلك تأخذ بعدا سلبيا وتعتبر كنمط تخريبي للمنشآت الحضرية، في حين يرى فيها البعض نوعا من الثقافات الهامشية التي تمارسها بعض الجماعات خارج الإطار الثقافي الرسمي الذي يطبع ذلك المجتمع»¹.

صنفت الكتابات الحائطية في السوسيولوجيا بوصفها ثقافة فرعية للشباب، وتاريخيا بوصفها تاريخا ثقافيا حضاريا، كما «صنف أنه مشكلة حضرية تهدد المدن، لكن هذه الممارسات قد لفتت النظر إلى بعض الأماكن المهمة في المدينة وساهمت في تكوين المجموعات والأفراد الذين يلجؤون إليها لإثبات هويتهم»²، وفيما يتعلق بمسألة الكتابات الحائطية فإن «السجلات والمخالفات حولها لا طالما قد تباينت إذ يرقىها البعض لدرجة العمل الفني المتميز، بينما يحتقرها ويدنسها البعض الآخر، وينزلها لدركة الفعل التخريبي للممتلكات العامة والخاصة، وتلويثها للفضاء العام ذلك نظرا لحضورها اليومي المكثف بمختلف التضاريس المجتمعية وانتشارها المهيول»³.

شكلت لغة رسوم الكتابات الحائطية معاني متعددة في المدينة، كما أن «فهمها يخضع لمنطق الثنائيات الضدية، فن الشارع مقابل تخريب، وسيلة تعبيرية مقابل ممارسة غير قانونية، مؤثرة مقابل سخيفة، مزعجة مقابل جميلة، عمل فني مقابل إهمال، فمن يعمل بالرسم على جدران المدينة يشارك في فاعلية صنع المكان. كما أن المنخرطين في ممارسة رسم الكتابات الحائطية يرون أنها تحقق رغبات وتطلعات متنوعة، فالكتابة على جدران أملاك عامة أو خاصة هي من ناحية معينة تجاوز للقانون الرسمي بحد ذاته، فهناك أوضاع عدة تؤدي دورا في استخدام شكل

¹ - نورة عامر، الكتابات الجدارية في الجزائر، مرجع سابق، ص 83-84.

² - أنظر: هبة عبد الله، الغرافيتي (Graffiti) والحق في المدينة، عمل تخريبي أم حق في تشكيل شوارع المدينة، موقع الباحثون السوريون، www.sye-res.com/article/24118.html

³ - بوعلام باي، قصور الاجتهادات للحد من ظاهرة الغرافيتي بالفضاءات الحضرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 06، 2018، المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية والاقتصادية، برلين، ص 119.

الكتابات الحائطية وقدرتها على اختراق منظومة اجتماعية أو سياسية قائمة، فهي بتلقائيتها لغة غير رسمية بامتياز وفريدة لأنها خارج أي نظام تربوي، وهو ما يسهل تمييزها، ذلك أن النظم المسيطرة والمتداولة في المدينة تعود إما إلى خطاب رسمي وإما إلى عملية البيع والشراء من خلال الإعلانات¹، وما عدا ذلك يعتبر إلا تخريبا وتشويها لجدران المدينة.

يظهر أن «حجم الرسائل والكتابات في الفضاء المكاني الواحد هو أيضاً ذو دلالات اجتماعية هامة، فالشارع الذي تكثر وتتراكم فيه الكتابات على الجدران يحس الآخرون فيه بعدم الأمان لأنه يدل على وجود فئة منفصلة اجتماعياً، الأمر الذي يدفع بالناس إلى تجنب المرور فيه مع عائلاتهم أو مع من يحترمونهم حتى لا يخرجون من تلك الكتابات الجريئة»²، وبالحديث عن الشارع فهو كذلك «مكان يمكن أن يحدث فيه كل شيء من دون توقف، لاسيما عندما تتم فيه بعض التصرفات التشريعية واللاقانونية كالرسوم الجدارية المرفوضة أو الكتابة العشوائية على الجدران، إنه مجال اللامحامية الفردية، في إطار خارج الإطار الأسري أو العائلي الخاص، وهو مجال للمحظورات وللكتير من الأمور التي يقبلها الفرد ويرفضها أحياناً. كما يبدو البحث في المعاني التي يثيرها الشارع أساسياً لفهم ميول ودوافع الممارس، الفاعل وفهم فعله في المجال المدني»³، ومن هنا فكثيراً ما تحمل الشوارع مشاهد لجدران يجري تشويهها بألفاظ مخطوطة وعبارات ورسومات غير مقبولة شكلاً ومضموناً، وللشارع وخصوصيته دور في حضور هذه الكتابات فيه، فالشوارع والأزقة الضيقة هي أكثر الأماكن التي تتواجد فيها مثل هذه الممارسات ذلك

¹ -نادين بكداش & عبير سقسوق، (بمساهمة رنا جربوع)، الجرافيتي في الثورات العربية، المصالحة مع الجدران، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 23، العدد 89، 2012، ص ص 144-145.

² -عادل محلو، مرجع سابق، ص 79.

³ - هالة محمود منقاري، جداريات مدينة طرابلس: قراءة أنثروبولوجية لدلالاتها، مجلة أوراق ثقافية، السنة الثانية، العدد 10، 2020، الموقع الرسمي <http://www.awraqthaqafya.com>

من خلال ملاحظتنا الميدانية في المدينة، ولعل هذا راجع إلى أن هذه الشوارع الضيقة هي الأكثر استعمالاً للمارة ما يجعل اختيارها يتناسب وسبب الكتابة في الأصل والحديث هنا عن إثبات الحضور والتواجد دائماً لهؤلاء وتنديدهم تجاه كل أشكال الإقصاء والاستبعاد.

يعتبر البعض الكتابات الحائطية «فنا من الفنون يطلق عليه تسميات عديدة كفن الجرافيتي أو فن الشارع والذي يعتبر ممارسة حضارية حاضرة بقوة داخل المدينة، فالجرافيتي دائماً ما كان يسعى إلى امتلاك الفضاء العمومي عنوة للتعبير عن المهمش والغامض الملتبس، وعن أصوات من لا أصوات لهم»¹، هذه الأصوات التي يريد أصحابها إيصالها عن طريق الحائط حتى ولو على حساب تشويه المنظر العام وتخريبه، فممارسة الكتابة الحائطية قد يعتبرها البعض تعبيراً سواء كانت عبارة عن خريشات أو رسم فني يعبر عن مرور الشخص وحضوره في المدينة، لكنها تبقى في نظر الكثيرين أشكال تخريبية لأنها مكتوبة أو مرسومة في أماكن غير مسموح بها للكتابة.

إن السمة التي تطبع الكتابات الحائطية هي كونها «ممارسة مرتجلة على مساحة محددة من الحائط يمتلك أصحابه أساليبهم الخاصة وألوانهم المميزة، حتى أن صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية خصصت جائزة لأفضل جرافيتي في مدينة نيويورك، هذا فمن جهة فإنه من يرتاد محطات ميترو الأنفاق في العديد من المدن الغربية على غرار نيويورك يكتشف أن الجرافيتي تشغل وتتواجد على ملصقات بتشويه صورها وأخرى بالتعليقات»²، وانطلاقاً من مسألة تشويه صور وملصقات هذه الكتابات برسم كتابة حائطية أخرى يحلينا إلى أن ما قد يعتبر فناً في بعض

¹ -أنظر: فريد الزاهي، الجرافيتي، من الاحتجاج إلى مفارقات الاعتراف الفني تعبير عن المهمش والغامض، مجلة الفيصل، العدد 495-496، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 2018، ص ص19-20.

² - فريد الزاهي، مرجع سابق، ص20.

الأحيان ما هو إلا ممارسات أخرى تترك شكلا عبثيا بالمكان وتساهم في طمس جمالية الفضاء الذي تركت أو رسمت فيه.

لم تبق الكتابات الحائطية على شكلها الفوضوي والهامشي في المجتمعات الغربية، بل صارت «ممارسة فنية تنتظم في جمعيات مدنية وتحت إشراف الدولة في كثير من الدول إذ تساهم بشكل فعال في تشكيل الهوية البصرية للمدينة، فهذه الممارسة تاريخيا كانت تحت المنع، لأنها نشأت أولا على شكل علامات (tag) غامضة لشباب من أجل بعث رسائلهم المختلفة والمتعلقة بمواضيع محرمة أو ممنوعة قبل أن تتطور الممارسة وتعرف باسم الجرافيتي وتنتشر عبر العالم»¹، ولا يمكن اعتبار الكتابة الحائطية فن الرغبة في امتلاك الفضاء العمومي فقط، بل «هي فن الرغبة في أسر نظر المشاهد العابر أو اقتناصه، إنه عنف يمارس من خلال ما تسميه مارس جوزي موندزان باسم فرجة العيانات التي تحول الشارع إلى مسرح دائم»²

خلاصة: تبقى الكتابة الحائطية سلوك غير مقبول اجتماعية من خلال ممارستها داخل المدينة كفضاء حضري عام، أين تتمظهر سلوكيات أخرى كأحقية امتلاك هذه الفضاء من طرف مستخدميه والتصرف فيه عن طريق استعمال الحائط وتشويه المنظر الجمالي للمكان، فالجدران هي وجه المدينة، والعبث بشوارعها وحيطانها وترك كتابة حائطية ذات دلالة عنيفة ومسيئة للآخرين يفتح المجال إلى ارتكاب سلوكيات أكبر ضررا قد تفضي إلى انحرافات وجرائم أخرى، فالأحياء والأماكن التي تكثر فيها الكتابات الحائطية داخل المدينة توحى بنقص الرقابة والإهمال من طرف أعضاء هذه الأحياء والسلطة على حد سواء، فإصلاح نافذة مكسورة أو محو وإزالة كتابة حائطية دليل على يقظة الحي وسكانه والعكس صحيح، والكتابة الحائطية داخل الفضاء العام تؤكد

¹ - فانتن مبارك، ياسين أغالو، مرجع سابق، ص33.

² - فريد الزاهي، مرجع سابق، ص21.

على إفلات الفاعلين من الرقابة والضبط الاجتماعي داخل هذا المجتمع. كما أنها سلوك لا يتفق وقيم الأفراد المشتركة والتي لا تبيح التعدي على الأملاك العامة والخاصة للآخرين أو تشويهها، فتزايد هذه الممارسات يعمل على التشجيع عليها وتكرارها ما يجعلها في مرحلة معينة تبدو مألوفة ومقبولة إلى حد بعيد بالرغم من ما تحمله من مضامين عنيفة ومسيئة وما تتركه من ضرر مادي على المدينة فتتحول إلى عنف رمزي يمارس بتواطؤ الآخرين وعلى مرأى منهم.

الفصل الثالث: مدخل عام حول العنف وعلاقته بالكتابات الحائطية

1. مفهوم العنف
2. الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف
3. أبرز أشكال العنف
4. العنف اللغوي قراءات متعددة
5. العنف وبعض المفاهيم المرتبطة
6. العنف الرمزي من خلال الكتابات الحائطية

تمهيد:

تعتبر ظاهرة العنف غير مقبولة في كل المجتمعات على اختلاف ثقافتهم، فهي ظاهرة قديمة قدم المجتمع البشري لها آثار متعددة على الأفراد والجماعات، كما أنها معقدة ومتشابكة الجوانب (اجتماعية، سياسية، اقتصادية، ثقافية، نفسية) والعنف قد يمارسه الفرد تجاه فرد آخر ومجموعة أفراد أو قد تمارسه جماعة ضد جماعات أخرى في المجتمع، إنه سلوك نسبي مختلف من مجتمع لآخر، بل يختلف داخل المجتمع الواحد من مكان لآخر ومن طبقة اجتماعية لأخرى، ولكل مجتمع قيمه وعاداته وتقاليده التي أسسها والتي تحدد سلوك الأفراد، وما قد يجعل سلوك الفرد سلوكا عنيفا هو نظرة المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد.

1. مفهوم العنف:

1-1. مفهوم العنف لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور عنف: " الْعُنْفُ: الْخُرْقُ بِالْأَمْرِ وَقِلَّةُ الرَّفْقِ بِهِ، وَهُوَ ضِدُّ الرَّفْقِ. عُنْفَ بِهِ وَعَلَيْهِ يَعْنِفُ عُنْفًا وَعَنَاةً وَأَعْنَفَهُ وَعَنْفَهُ تَعْنِيفًا، وَهُوَ عَنِيفٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ رَفِيقًا فِي أَمْرِهِ. وَاعْتَنَفَ الْأَمْرَ: أَخَذَهُ بِعُنْفٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ؛ هُوَ بِالضَّمِّ الشَّدَّةُ وَالْمَشَقَّةُ، وَكُلُّ مَا فِي الرَّفْقِ مِنَ الْخَيْرِ فَفِي الْعُنْفِ مِنَ الشَّرِّ مِثْلُهُ. وَالْعُنْفُ وَالْعَنِيفُ: الْمُعْتَنِفُ"¹.

ورد في معجم مقاييس اللغة عنف: العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق. «قال الخليل: العنف ضد الرفق، نقول عَنَفَ يَعْنِفُ عُنْفًا فهو عنيف، إذا لم يرفق في أمره

¹ - أبو الفضل ابن منظور، مرجع سابق، ص ص 257-258.

أعنفته أنا، ويقال اعتنفت الشيء إذا كرهته ووجدت لع عنفا عليك ومشقة، ومن باب التّعنيف وهو التشديد في اللوم»¹، وتعتبر «كلمة *Violencia* الأصل اللاتيني للكلمة الانجليزية *violence* هو ومعناها: الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات، ويتضمن ذلك معاني العقاب والاعتصاب والتدخل في حريات الآخرين»².

1-2. مفهوم العنف اصطلاحاً: العنف: يعد مفهوم العنف من المفاهيم المعقدة والتي

يمكن أن نلمسه في تاريخ الحضارات وتطور المجتمعات الإنسانية، وفي شتى مجالات الحياة كأداة للصراع وحل المشكلات والتناقضات بين الأفراد، فهو يمكن أن يتضمن جانبيين هامين مادي ومعنوي، وعالجته الكثير من لنظريات والعلماء بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم الفكرية، إذ تعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه: «الاستعمال المتعمد للقوة المادية أو القدرة، سواء بالتهديد أو الاستعمال الفعلي لها، من قبل الشخص ضد نفسه أو ضد شخص آخر أو مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدي إلى حدوث أو رجحان احتمال حدوث إصابة أو موت أو إصابة نفسية أو سوء النماء أو الحرمان»³، أي أن العنف هو مادي ومعنوي في ذات الوقت بحيث يؤدي ضرر بالفرد أو الجماعة، أو أنه يمكن أن يمس بأمنهم وسلامتهم، ويعزز استقرارهم. فهو كذلك كل «إيذاء باليد أو اللسان، بالفعل أو الكلمة يندرج في الحقل التصادمي مع الآخر»⁴. ويعرف العنف كذلك على

¹ - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1979، ص158.

² - حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، منشورات مركز دراسة الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1999، ص41.

³ - عبد الاله بلفزيز وآخرون، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014، ص22.

⁴ - خليل إبراهيم خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1984، ص138.

أنه: «ضغط جسدي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي ينزله الإنسان بالإنسان، بالقدر الذي يتحمله على أنه ماس بممارسة حق أقر بأنه حق أساسي أو بتصور للنمو الإنساني الممكن في فترة معينة»¹.

ورد في تعريف آخر للعنف كذلك على أنه «فعل إيذاء معنوي- مادي-لسماني يدوي ويمارس فرديا أو جماعيا ومنتظما في كل حال، فالفعل العنيف بشقيه النفسي والاجتماعي وبهدفه المعنوي (النيل من شخصية الآخرين مثلا) والمادي (النيل من وجود الآخر) يضعنا في مواجهة فاعل بقصد العنف»²، وفعل الإيذاء المعنوي قد يتخلله الإيذاء عن طريق الأثر الذي تتركه مضامين ومحتوى الكتابة الحائطية في نفس المتلقي إضافة إلى خرق القيم الاجتماعية المشتركة من خلالها، فالعبارات النابية والرسومات المسيئة ونحتها على سطوح الجدران ككلمات السب والشتم والقذف والتشهير والتوعد والإساءة تعتبر أفعال عنيفة لها آثارها النفسية والاجتماعية.

يقصد بالعنف أيضا «إلحاق الأذى والضرر بكائن أو مجموعة بشرية بحيث يكون هذا الضرر إما ماديا أو جسميا أو نفسيا أو معنويا، بوسائل مختلفة تسبب للمتلقي أو للمتلقين آلاما وخسائر متفاوتة، فقد يكون هذا الضرر إما نزعا لممتلكات مادية أو تعديبا جسميا أو إهانة نفسية أو نزاع للممتلكات المعنوية والرمزية وغيرها من أشكال الضرر التي تنبسط على سلم عريض من

¹ - مسعود بوسعدية، ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص10.

² - دلال ملحق استيتية & عمر موسى سرحان، المشكلات الاجتماعية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص52.

الدرجات»¹، ومن هنا يمكن اعتبار فعل الكتابة على الحائط وتشويهه فعلا يقع ضمن المساس بالملامكات العامة والخاصة ما يترك ضررا معينا.

3-1. التعريف السوسيولوجي للعنف: يظل العنف «بكل تلوناته وسياقاته مشكلا عميق

الأثر في الجسم الاجتماعي حيث يشكل وباستمرار، خطرا محدقا على الرابط الاجتماعي وتهديدا بإضعاف تناسق النسيج الاجتماعي»²، والعنف هنا هو «فعل ينتهك المعايير الاجتماعية التي سطرها التنظيم الاجتماعي، يعاقب عليه القانون بوصفه خروجاً عن تلك المعايير ونتاجاً لها في نفس الوقت»³. وبالتالي يمكن القول أن العنف مرتبط ارتباطاً لا ينفصم عراه عن فعل الناس الفردي والجماعي. فالعنف هو «القائم في كل منها تحت شكل غريزة العدوانية والموت، والموت، والمائل كضغط يتهدد آليات تكامل الفرد مع الجماعة، والكامن في معظم الفعاليات الاقتصادية والعنصر المحرك لكثير من حالات التحولات الثقافية أو الانتقال من نمط اجتماعي إلى آخر هذا العنف، مفروضا أو فارضا يلعب دورا ينكر في حياة المجتمعات وصيرورتها»⁴

3-1. التعريف القانوني للعنف: يقصد به «تسخير واستخدام الطاقة المادية المتاحة لدى

الإنسان بغية المساس بحق يحميه القانون للمجني عليه بهدف تحقيق غاية يسعى الجاني لتحقيقها»⁵.

¹ - محمد سبيلا، مدارات الحادثة، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2009، ص 189.

² - شهاب اليحياوي، نحو تدقيق مفاهيمي سوسيولوجي للعنف، بحث محكم، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، منشورات مؤمنون بلا حدود، 2019، الموقع الرسمي <https://www.mominoun.com/>

³ - حسن حرمة الله، محاولة في التأصيل السوسيولوجي لمفهوم العنف، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 76، مركز جيل البحث العلمي، 2021، ص 41.

⁴ - علي سمكوك، إشكالية في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسيولوجية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، 2006، ص ص 70-71

⁵ - منال محمد عباس، العنف الأسري، رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص 21.

جاء في قانون العقوبات الجزائري في مادته 264 (القانون رقم 06-23 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006)، والتي تنص على أنه: كل من أحدث عمدا جروحا للغير أو ضربه أو ارتكب أي عمل آخر من أعمال العنف أو التعدي، يعاقب بالحبس من سنة (1) إلى خمس (5) سنوات وبغرامة من 100.000 دج إلى 500.000 دج، إذا نتج عن هذه الأنواع من العنف مرض أو عجز كلي عن العمل لمدة تزيد عن خمسة عشر (15) يوما. ويجوز علاوة على ذلك أن يحرم الفاعل من الحقوق الواردة في المادة 14 من هذا القانون من سنة (1) على الأقل إلى خمس (5) سنوات على الأكثر، وإذا ترتب على أعمال العنف الموضحة أعلاه، فقد أو بتر إحدى الأعضاء أو الحرمان من استعماله أو فقد البصر أو فقد أبصار إحدى العينين أو أية عاهة مستديمة أخرى فيعاقب الجاني بالسجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات، وإذا أفضى الضرب أو الجرح الذي ارتكب عمدا إلى الوفاة دون قصد إحداثها فيعاقب الجاني بالسجن المؤقت من عشر سنوات إلى عشرين سنة»¹.

من الناحية **السيكولوجية العنف** «غالبا ما ينتج عن تراكم الشحنات الانفعالية الضاغطة في أعماق الفرد والتي تحتاج إلى نوع من التفريغ لتحقيق التوازن وبالطبع فإن حالة التفريغ تتم عبر قنوات العنف والعوانية، فالإنسان الذي تتراكم في داخله شحنات ضاغطة تؤدي إلى اختناق سيكولوجي وانفعالي لا يحتمل وبالتالي يؤدي إلى الانفجار الذي يجسد ظاهرة العنف»².

¹ -قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 264، الصيغة المعدلة لعام 2012، ص 73.

² -علي أسعد وطفة، العنف والعوانية في التحليل النفسي، مكاشفات بنوية في سيكولوجية العوانية عند فرويد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، 2008، ص 183.

يشير العنف في المجمل إلى «سلوك ظاهر يستهدف إلحاق التدمير بالأشخاص والممتلكات»، أو أنه "سلوك عمدي موجه نحو هدف سواء لفظي أو غير لفظي ويتضمن مواجهة الآخرين ماديا أو معنويا وهو مصحوب بتعبيرات تهديدية وله أساس غريزي"¹، والمقصود هنا فعل يضم مجموعة من السلوكيات التي تترك أثرا سلبيا على الأفراد والجماعات ويمارس بأشكال متعددة تشمل الجانب المادي واللفظي واللغوي والنفسي والرمزي... وغيرها، وهو فعل نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر.

يمكن أن تقع تلك السلوكيات في خانة ممارسة الكتابات الحائطية التي تترك هي الأخرى الأثر السلبي على الأفراد والمجموعات وتمارس بأشكال متعددة على سطوح الجدران متضمنة عبارات الإساءة والعنف والسب والشتائم...

2. الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف:

تعددت المقاربات والاتجاهات النظرية التي تناولت بالدراسة موضوع العنف، حيث حاولت جاهدة تحديد طبيعته وفق وجهات نظر متعددة تم تناول مفهوم العنف من خلالها، كما اختلفت هذه الاتجاهات فيما بينها انطلاقا من التوجهات الفكرية التي تبنتها، حيث أن كل اتجاه قدم تفسيراً خاصاً للعنف حسب آراء مؤيديه ومفكره، ومن هنا تم تقسيم هذه الاتجاهات إلى أربعة أقسام رئيسية فسرت العنف، وهي:

2-1. الاتجاه البيولوجي: هو اتجاه يحلل الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني بواسطة

دوافع السلوك التي تنطلق تلقائيا من قوة التأثير البيولوجية، وكان تشارلز داروين «أول من طور

¹ - الطيب بوعزة وآخرون، العنف، قضايا وإشكالات، ط1، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب، 2018، ص ص 99-100.

هذا المفهوم وتبعه في ذلك أغلب العلماء الذين جاؤوا من بعده، وفي مقدمتهم فرويد ولورنس وغيرهم من الذين رأوا أن غريزة العدوان والعنف تتبع من دافع بيولوجي داخلي، وتدفع المرء إلى سلوك عدواني على الغير بصورة مباشرة أحياناً، وبصورة غير مباشرة أحياناً أخرى وفي جميع النشاطات والميادين»¹.

سعى هذا الاتجاه إلى التأكيد بأن العدوان والعنف هو ولادي، وحسب تفسير هذا الاتجاه للظاهرة فالتكوين البيولوجي للفرد هو المحدد الرئيسي للسلوك، ومن رواد هذا الاتجاه العالم الايطالي «سيزار لمبروزو 1835-1909 Cesare Lombroso» الذي أكد على أن هناك علاقة وثيقة بين السلوك الاجتماعي ومظهر الجسم وخاصة سمات الوجه، وقد أكدت دراسات لمبروزو بوجه عام على أن فكرة التكوين الفطري في تفسير السلوك الإجرامي، ويعتقد وليام شيلدون " W. Sheldon " 1898-1977، أن السلوك الإنساني بوجه عام، هو وظيفة تنشأ عن بناء جسمي معين لذلك يمكن التنبؤ به عن طريق القياسات والتحليلات الدقيقة لجميع الملامح الظاهرة. يربط العالم النمساوي كونراد لورنتس Konrad Lorenz 1903-1989، العنف وغريزة العدوان «بواقع داخلي يعبر عنه في شكل حاجة بيولوجية ويوجه سلوك العدوان في بادئ الأمر إلى أعضاء نفس النوع حيث تقرر هذه المدرسة بأن السلوك العدواني العنيف هو نتاج عن سلوك غريزي، وأن العنف الذي نلاحظه حولنا هو تعبير حتمي لهذا الدافع الغريزي»².

يؤكد هذا الاتجاه أن العنف «تعبير طبيعي عن عدد من الغرائز العدوانية المكبوتة لديه، وأن التعبير عن العنف لازم لاستمرار المجتمع الإنساني، لأن كل العلاقات الإنسانية في المجتمع

¹ - إبراهيم حيدري، سوسيولوجيا العنف والارهاب، ط 1، دار الساقى، لبنان، 2015، ص22.

² - مليكة بن زيان، العنف والمقاربات النظرية المفسرة له، مجلة الخلدونية في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 12، جامعة تيارت، الجزائر، 2020، ص71.

يحركها من الداخل الشعور بالعدوان، ويعتقد هنا لمبروزو بالجبرية البيولوجية في مقابل الحرية والاختيار في السلوك، وقد افترض وجود استعدادات أو مكونات بيولوجية محددة لدى الأفراد تجعلهم قابليين للوقوع في براثن الجريمة والانحراف أكثر من غيرهم ممن ليس لديهم تلك الاستعدادات البيولوجية¹، وعلى الرغم من الاختلاف بين أتباع المدرسة البيولوجية للأسباب المفسرة للسلوك العنيف، إلا أنه يمكن حصر مجموعة منها تتمثل في:

1. **الوراثة:** فالأطفال كما يشبهون آبائهم من الناحية الجسمية والعقلية فإنهم يشبهونهم من الناحية السلوكية، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأسباب الوراثية هي ما تؤكد على وجود العنف والإجرام في عائلات دون غيرها.

2. **الصبغيات (الكروموزومات):** لاحظ الدارسون أن شدوذ الكروموزومات يصاحبه اضطراب في السلوك ونقص في معدل الذكاء ضمن أضعف حدود السواء، ومن يصابون به لا ينضجون عاطفياً ويكونون خجولين قلقين عديمي الثقة وبالتالي يتفاعلون بسلوك العنف ضد المجتمع.

3. **اضطراب وظيفة الدماغ:** فقد لوحظ الشذوذ في تخطيط الدماغ يتشابه مع تخطيط الدماغ لدى الأطفال، ويرجع ذلك إلى نقص نضج الجهاز العصبي كعامل لاضطراب السلوك²، ما يؤخذ على هذه النظرية أنها:

¹ - فهد بن علي الطيار، العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية (دراسة ميدانية لمدارس شرق الرياض)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2005، ص 66.

² - محمد عايد & خير الدين بوزيان، العنف لدى الشباب في الوسط الحضري، عوامله والنظريات المفسرة له، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة المسيلة، العدد 02، 2016، ص 139.

ركزت على العامل البيولوجي والمبالغة في رده العامل الأساسي والرئيسي في تفسير العنف، وتغفل التأثير الذي قد تتركه باقي العوامل الأخرى على غرار العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية والبيئية في ظهور العنف عند الفرد أو الجماعات. كما اعتمدت على حالات منفردة ومنعزلة في أعمالها محاولة تعميم نتائجها وملاحظاتها على كافة الأشخاص الآخرين في حين أن هذه الصفات يمكن أن نجدها عند الكثير من الأفراد الأسوياء، إذ لا نستطيع أن نحكم على الفرد بأنه مجرم من خلال توافر صفات وملامح عضوية أو مرضية معينة.

2-2. الاتجاه النفسي:

1-2-2. نظرية التحليل النفسي: يرجع سيغموند فرويد (*S, Freud*) العدوان إلى ما أسماه بغريزة الهدم في داخلنا مع ترابطها وتعارضها مع غريزة الحب والحياة، ونجد أن بولاك *Pollack* في تفسيره للجريمة والعنف عند المرأة وإقدامها على ارتكاب جرائم العنف متأثراً بالتحليل الفرويدي، قد أبرز دور الطمث الشهري والحمل وسن اليأس مبرراً ما تحدثه هذه من اضطرابات سيكولوجية تخل بالتوازن وتضعف من مقاومة المرأة الداخلية والقوى الضابطة لسلوكها، ومن ذلك أنه رأى الجريمة التي ترتكبها المرأة أثناء الطمث هي نوع من الفعل الانتقامي.

يرى فرويد أن الحياة «كفاح بين غريزة الحياة *Eros* ودافعها الحب والجنس والتي تعمل من أجل الحفاظ على الفرد، وبين غريزة الموت *Thanos* ودافعها العدوان والتدمير والانتحار وهي غريزة تحارب دائماً من أجل تدمير الذات، وتقوم بتوجيه العدوان المباشر خارجاً نحو تدمير الآخرين، وإذا لم ينفذ العدوان خارجاً نحو موضوع خارج سوف يسترد ضد الكائن نفسه بتدمير الذات، لذلك فهو يعتبر العدوان تدميراً للذات في الأصل، وقد اتجه إلى الخارج نحو موضوعات بديلة، فالشخص

يقاتل الآخرين وينزع إلى التدمير لأن رغبته في الموت قد أعاقته قوى غرائز الحياة بالإضافة عقليات أخرى في شخصيته تتصدى لغرائز الموت»¹.

يتفق أغلب علماء التحليل النفسي بأن العنف والعدوان «ليسا مجرد دافعين للتدمير أو لعقاب الذات، وإنما هما طاقة عقلية عامة حيث يلعبان دورا هاما في الصراعات العقلية وبدرجة تماثل الدافع الجنسي، وما يثيره هذا الدافع من اضطرابات وصراعات نفسية. كما يرى رواد هذه المدرسة كذلك أن طاقة اللبido أي الطاقة الجنسية بإمكانها الاندماج مع الطاقة العدوانية مما يوفر طاقة إضافية للذات»².

انتهى فرويد إلى أن «غريزة التدمير تعمل لدى كل كائن حي، وأنها تجاهد لكي يصل هذا الكائن إلى صورته الأصلية من مادة غير حية، كما أشار إلى أن العدوان سلوك ولادي ينبع من غريزة الموت، وأن الوظيفة الأساسية لغريزة الموت هي التدمير والعودة بالفرد إلى حالة من اللاحياة، والسلوك العدواني الواضح هو مظهر خارجي لهذه الغرائز، كما يعتبر أن العدوان هو خاصية ولادية عند الإنسان والعنف هو الصيغة الطبيعية التي يتخذها السلوك العدواني»³.

يكمن تفسير العنف حسب نظرية التحليل النفسي في «رؤيتهم أن أسباب مشكلة العنف تعود إلى اضطرابات على مستوى شخصية الفرد، وأن الخبرات والتجارب السابقة التي يمر بها الأفراد تعد من أهم العوامل المشكلة للشخصية، كما تعد كذلك وبالخصوص خبرة وتجارب مرحلة

¹ -جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجيا العنف، ط1، دار الكتاب الحديث، مصر، 2013، ص ص172-173.

² - ابراهيم حيدري، مرجع سابق، ص24.

³ - سهام وناسي، العنف الأشكال والعوامل والنظريات المفسرة له، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد 09، 2017، ص259.

الطفولة المحطمة الحاسمة في بناء الشخصية العنيفة، وأن العدوان غريزة طبيعية يولد الفرد مزودا بها¹، على الرغم من كل ما جاءت به النظرية فإنه قد أعيب عليها بعض النقاط الأساسية أهمها:

- ضعف الضمير أو الأنا العليا لا يقودنا بالضرورة إلى طريق أو سبيل العنف فهناك من الأشخاص من يضعف لديهم صوت الضمير، ومع ذلك لا يقدمون أو يتجهون إلى نهج أو تبني سلوك العنف.

- النظرية لم تتجح في وضع نماذج تفسيرية مقنعة وصالحة إلى حد ما في تفسير سلوك العنف فهي لا تأخذ بعين الاعتبار أن الإنسان منذ ولادته يسعى للتعلم واكتساب دوافع قادرة على توجيه سلوكياته.

- تفترض النظرية أن الفرد العنيف أو المجرم هو شخص مريض نفسي يستوجب العلاج لا العقاب، وهي هنا تضحى وتستبعد أحد أهم أعراض العقوبة والمتمثل في الردع العام، الأمر الذي يفتح المجال أمام هؤلاء الفرد لارتكاب السلوكيات العنيفة مرة أخرى والرجوع إلى العلاج وليس العقاب وهو ما يؤثر على النظام والعدالة الاجتماعية.

- أعطت هذه النظرية للشخص العنيف نعوتا مثل الفظاظة وغلظة القلب ونبذ العواطف وهو ما لم تثبت صحته الدراسات والأبحاث، فيمكن أن يقدم الشخص على سلوك عنيف ولا تتوافر فيه هذه النعوت.

2-2-2. نظرية الإحباط والعدوان:

افترض رواد النظرية بأن العدوان هو «نتاج للإحباط وأن حدوث السلوك العدواني يفترض دائما وجود حالة من الإحباط بالمثل، فإن قيام الإحباط يؤدي دائما إلى صورة أخرى من صور

¹ -جمال معتوق، مرجع سابق، ص175.

العدوان، فهم يرون أن السلوك العدواني بصورة المعروفة يعني إرجاعه إلى الإحباط، على أنه يمكن للفرد عندما يتعرض للإحباط أن يتقبل الموقف ويتكيف معه، فالمرء يتعلم منذ وقت مبكر وخلال عملية التنشئة الاجتماعية أن يكبح جميع استجاباته العدوانية الواضحة»¹.

مما تجدر فيه الإشارة فيه أن العنف والعدوان وفقا لهذه النظرية قد يتجه اتجاها مباشرا «نحو مصدر الإحباط وقد يتجه إلى هدف آخر تعبيرا عن الخوف من مواجهة مصدر الإحباط أو هروبا من مواجهة الأزمة، وقد يصل الأمر إلى العدوان على الذات كبديل للرد على مصدر الإحباط»².

نرى أن العدوان أو مواجهة الآخرين وتعنيفهم ليس دائما بالشكل الوحيد والاستجابة الآلية للإحباطات، بل يعد طريقة أو شكلا من أشكال التصريف لهذه الطاقة، وهناك أشكال أخرى يصرف فيها الفرد هذه الطاقات، ويكون العدوان «استجابة فطرية للإحباط فتزداد شدته وتقوى حدته كلما زاد الإحباط وتكرر حدوثه، فإذا منع الإنسان من هدف ضروري له شعر بالإحباط (خبرة مؤلمة) واعتدى بطريقة مباشرة على مصدر إحباطه، كما ذهب أصحاب هذه النظرية كذلك إلى أن الفرد عندما يتم تعرفه للإحباط وتكون كل المخارج الممكنة للعدوان مسدودة سدا منيعا تاما فإن العدوان قد يستدير ليتجه نحو الذات في صورة الكراهية للذات أو فقدها أو إلى الانتحار، هذا ونلاحظ أن شدة الإحباط تعمل على دفع الفرد المحبط إلى الانتقام من الموضوع المحبط»³.

¹ - جمال معتوق، مرجع سابق، ص178.

² - سامي مقلاتي، تفسير ظاهرة العنف في الجامعات الجزائرية من طرف هيئة التدريس، دراسة ميدانية بجامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، أطروحة دكتوراه في علم النفس الاجتماعي (غير منشورة)، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2017، ص138.

³ - جمال معتوق، مرجع سابق، ص 179.

العدوان لدى الفرد دلالة على «كمية الإحباط الذي يعانيه، فهو يتوقف على شدة الرغبة في الاستجابة المحببة، ومدى إعاقة تلك الاستجابة وعدد المرات التي أحبطت فيها، فالاستجابات العدوانية تكون عالية في معارج الاستجابات للإحباط، والسبب في هذا أن السلوك العدواني يكون في أغلب الأحيان وسيلة فعالة للتغلب على التدخل، حيث يعتبر الإحباط سبب العدوان والعنف، وأن العدوان تزداد شدته كلما اشتد الشعور بالإحباط، وأن الظروف الخارجية التي تحدث الإحباط هي التي تفجر العدوان وتولده، سواء كان عدوان مباشر في مواجهة مع العامل المحبط، أو غير مباشر في صورة انتقامية أخرى»¹، وكثيرا ما تكون العوامل المحبطة للفرد سبب في توجيهه نحو ممارسة الكتابة الحائطية ما يجعل إنتاجه لهذه الكلمات والعبارات والرسومات عنيفا مفعرا مكامن العدوان التي بداخله.

مما يؤخذ على هذه النظرية كونها جعلت من الإحباط عاملا حاسما في ظهور العنف وإفراطها في التركيز عليه كعامل أساسي وإهمال باقي العوامل الأخرى التي قد تسبب كذلك في ظهور السلوكيات العنيفة، فليس من الضرورة أن يقبل الفرد على السلوك الإجرامي والعنيف وهو يعاني من الإحباط، فقد يتدخل كل من الوازع الديني ونوعية التنشئة الاجتماعية التي تلقاها الفرد لكبح هذه السلوكيات، ومن جهة أخرى فقد تم الربط آليا بين كل من العدوان والإحباط وإهمال دور المجتمع والتنشئة في صقل سلوك الفرد وتوجيهه.

3-2-2. نظرية التعلم الاجتماعي: من أعلام هذه النظرية (ألبرت باندورا A, Bandura)

و(والتر Walters)، حيث يميز هذان العالمان بين «اكتساب الفرد للسلوك وتأديته له، فاكتساب

¹ -أحمد محمد عبد الهادي دحلان، العلاقة بين مشاهدة بعض برامج التلفاز والسلوك العدواني لدى الأطفال بمحافظات غزة، رسالة ماجستير في علم النفس (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2003، ص56.

الشخص للسلوك لا يعني بالضرورة أنه سيؤديه، إذ أن تأديته لسلوك النموذج تتوقف بشكل مباشر على توقعاته من نتائج التقليد، وعلى نتائج السلوك، فإذا توقع أن تقليده لسلوك النموذج سيعود عليه بنتائج سلبية (أي سيعاقب على سلوكه) فإن احتمالات تقليده له ستقل، أما إذا توقع الملاحظ أن تقليده لسلوك النموذج سيعود عليه بنتائج ايجابية فإن احتمالات تقليده لذلك تصبح أكبر»¹.

يعد السلوك العدواني سلوك مكتسب «يتعلمه الطفل من مصادر مختلفة من أهمها القدوة أو النموذج بالنسبة للطفل في تعلمه للسلوك الاجتماعي واكتسابه للاتجاهات أو أنماط السلوكيات المتعددة، وتفترض أن العدوان لا يختلف عن أي استجابات متعلمة أخرى، ومن الممكن أن يتم تعليم العدوان عن طريق الملاحظة أو التقليد، وكلما دعم السلوك زاد احتمال حدوثه»²، ومن الملامح البارزة في نظرية التعلم الاجتماعي «الدور الواضح الذي يوليه تنظيم السلوك عم طريق العمليات المعرفية مثل الانتباه، التذكر، التخيل، والتفكير، حيث لها القدرة على التأثير في اكتساب السلوك، كما يؤكد رواد هذه النظرية أن الأطفال يتعلمون السلوك العدواني بملاحظة نماذج وأمثلة عن هذا السلوك يقدمها أفراد الأسرة والأصدقاء والأفراد الراشدين في بيئة الطفل»³.

تقوم نظرية التعلم الاجتماعي على أساس أن الإنسان «يتعلم العنف من المجتمع حوله سواء كان ذلك في الحياة اليومية، في الأسرة أو المدرسة أو الطريق أو وسائل الإعلام، وهذه النظرية كانت تلقى رواجاً كبيراً على أساس ما تم إثباته في بعض الدراسات من أن البيئة التي تعرف بيئة العنف تزداد فيها هذه الجرائم عن المناطق الأخرى، وكان تفسير ذلك أن الأفراد

¹ - عبد الرزاق باللموشي & أحمد جلول، التفسير النفسي والبيولوجي لظاهرة العنف في المجتمع، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، العدد 6، جامعة المسيلة، 2017، ص 138-139.

² - نجات أحمد الزليطي، سيكولوجية العدوان والنظريات المفسرة له، المجلة الجامعة، العدد 16، المجلد 4، جامعة الزاوية، ليبيا، 2014، ص 180.

³ - عبد الرزاق باللموشي، مرجع سابق، ص 139.

يتعلمون العنف ممن حولهم»¹، وبناء على هذا فإن المناطق والأماكن التي تكثر فيها ممارسات الكتابة الحائطية ذات المحتوى العنيف توحى بأنها أماكن غير آمنة إلى حد بعيد ما يجعل الكتابة الحائطية وما تحمله من دلالات عنيفة تساهم في تعلم سلوكيات أخرى تنجر عنها.

إن سلوك الفرد هو «سلوك متعلم يتعلمه الإنسان من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ويعتمد على الإثارة والتقليد والتعزيز، وتؤكد أن التعلم نتيجة التفاعل القائم بين الشخص والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه وترفض فكرة أن العنف ينتج من دوافع غريزية»²، فسلوك العنف لا يتشكل فقط من خلال التقليد والملاحظة، بل يتشكل أيضا «من خلال وجود التعزيز وأن العنف يتم تعلمه كسلوك عدواني يكافأ عليه مما يلعب دورا هاما في اختيار وتعزيز الاستجابة للعدوان فيصبح عادة يلجأ إليها الفرد للتخلص من مشاعر الإحباط التي تنتابه في بعض المواقف، كما من المحتمل أن يتم التعزيز خارجيا ماديا مثل إشباع العدوان لدافع محبط أو مكافأة مادية، أو إزالة تعزيز بغض أو أخلاقي»³.

تؤكد النظرية أن العنف يكتسب من خلال «عملية الاحتكاك الاجتماعي وبما أن أفراد هذا المجتمع يتعلمون عاداته وتقاليده وأعرافه ويتصرفون بطرق يعتبرها المجتمع مرغوبة، فإن السلوكيات العدوانية أو العنيفة غالبا ما تحدث في ثقافة تتقبل أو تشجع العنف، وإذا كان العنف هو نتاج التعلم الاجتماعي، فإن الإحباط ليس مطلبا سابقا لحدوث العنف، بل العادات العنيفة أو

¹ - عباس أبو شامة عبد الحمود، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية، ط1، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2003، ص ص33-34.

² - نذير سيحان محمد أبو أنغير، ظاهرة العنف الجامعي ودور الجامعات في الحد من انتشارها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية، مجلة دراسات للعلوم التربوية، الجامعة الأردنية، المجلد43، العدد 01، 2016، ص214.

³ - نرمين حسين السطالي، سيكولوجية العنف وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء، ط1، السعيد للنشر والتوزيع، مصر، 2018، ص73.

العنوانية تكتسب من خلال التقليد أو كنتيجة للسلوك المنحرف، أو المدمر فقد تبين على سبيل المثال أن الآباء العنيفين في عقابهم غالبا ما ينحدرون من عائلة أو سلالة فيها عنف جسدي¹.

يتعلم الأفراد العنف بالطريقة التي «يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، وعملية تعلم العنف تحدث في الأسرة مثلا، سواء في الثقافة العامة أو الفرعية، فتشجيع بعض الأسر أطفالها على استخدام العنف مع الآخرين خير دليل، كما هذا العنف المكتسب من البيئة الاجتماعية يختلف باختلاف المستوى الثقافي والاجتماعي لهذه البيئة، والتي يمكن أن تضعف أو تقوي العناصر المساعدة للسلوك العدواني»²، فبالإضافة إلى مفهوم المحاكاة استعمل باندورا «مفهوم التعلم الآدائي أو ما يعرف بالمحاولة والخطأ الذي يعمل على اكتساب الاستجابات العنيفة ضمن عملية النمذجة الاجتماعية التي لها دورا حاسما في السلوك العنيف، حيث هذا الأخير يكتسبه الأفراد من خلال ملاحظاتهم للنماذج العنيفة ونتائجها تلقى التدعيم، وأن الأطفال يتعلمون حل الصراعات عن طريق العدوان من جراء تقليد الكبار أو تقليد زملائهم وخاصة إذا شاهدوا أن السلوك العدواني يناله الجزاء أو المكافأة أو التعزيز، وفي تحليل باندورا للسلوك العنيف يرى أنه يتطلب الانتباه إلى قضايا ثلاث تتمثل في الطريق التي يتم بها اكتساب هذا السلوك، والعوامل التي تحفره على قيامه، والظروف التي تساند أداء هذه السلوك»³.

نجد أن هذه النظرية تفترض أن «الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الآلية التي يتعلمون منها أنماط السلوك الأخرى، وأن عملية التعلم هذه تبدأ من البيت، فما سيرى عليه الابن ذكرا كان

¹ - الزهرة فارس & عبد الوهاب العمري، العنف الطلابي في الوسط الجامعي، مقاربة نفسية اجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 31، العدد 01، 2020، جامعة قسنطينة 01، ص 284.

² - نرمين حسين السطالي، مرجع سابق، ص ص 73-74.

³ - غنية عبد الله، الإعلام والعنف: منظور سوسيولوجي، مجلة دفاتر البحوث العلمية، المجلد 09، العدد 01، المركز الجامعي تيبازة، 2021، ص 162.

أو أنتى هو ما سيستتبّطه لنفسه ثم لأبنائه، فعندما يجد الطفل أن الوسيلة الوحيدة التي يحل بها والده مشاكله مع الآخرين أو معه هي العنف فإنه يتعلم ذلك، فالطفل يتعلم بالعين أكثر من الأذن، أي بالمشاهدة قبل التلقين، فاختيار العنف من عدمه مسألة (تعلم) بل أكثر ومن هنا الإنسان لا يقلد النماذج السلوكية التي يقوم بها النموذج (والدين، الإخوة، الجيران... وغيرها) فحسب، بل يتجاوزها عن طريق توليد مهارات وسلوكيات جديدة تتجاوز تلك التي لوحظت¹.

هناك مجموعة من النقاط والملاحظات تؤخذ على هذه النظرية أهمها:

- لا يمكننا ربط عملية التعلم كمصدر للعنف دائما فهناك العديد من العوامل البيولوجية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والظروف الاقتصادية والتي يمكن أن تساهم هي الأخرى في تفسير السلوك العنيف عند الأفراد.
- ليس بالضرورة أن يكون مرد السلوكيات العنيفة عند الأفراد دائما هو التعلم الاجتماعي، فالعديد من الأفراد قد تعرضوا للعنف بأشكال متعددة وفي مراحل مختلفة من حياتهم ومع ذلك لم يتعلموا هذا السلوك العنيف أو يمارسوه.
- لا تعطي النظرية أهمية كبيرة ومعقدة لكيفية تعلم الأفراد كيفية كبح غضبهم وسلوكهم العنيف، ما دامت تنادي بالتعلم.

¹ - هادية العود البهلول، العنف ضد المرأة، قراءة سوسيولوجية في ضوء مؤشرات إحصائية، المجتمع التونسي أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 02، جامعة الوادي، الجزائر، 2016، ص114.

3-2. الاتجاه الاجتماعي:

2-3-1. نظرية الضبط الاجتماعي: تعد نظرية الضبط الاجتماعي من النظريات التي

اهتمت بتفسير كل من السلوك العنيف والانحراف، حيث انطلقت في تفسيرها للعنف بكونه استجابة لطبيعة البناء الاجتماعي، وعليه فقد «فسرت العنف وأرجعته إلى إخفاق المجتمع في التحكم في أفراد، من خلال القيود التي وضعها والمتمثلة في المعايير الاجتماعية، وخط الدفاع بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي لا تشجع العنف وتستكره، فأعضاء المجتمع الذين لا يتم ضبط سلوكياتهم عن طريق الأسرة وغيرها من الجماعات الأولية يتم ضبط سلوكهم عن طريق وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية، وحيثما فشلت الضوابط الرسمية يظهر سلوك العنف بين أعضاء المجتمع»¹.

إن العنف والانحراف هما نتيجة «التحرر النسبي من المعايير الاجتماعية والقواعد الأخلاقية التي تحكم وتضبط التفاعل الاجتماعي، وأن الأصل في سلوك الأفراد أن يكون معتدلاً وسوياً وينشأ هذا الاعتدال من قوة المعايير والقيم الاجتماعية وقوانين المجتمع، لكن لو ألغي القانون وغابت أو ضعفت المعايير الاجتماعية في هذه الحالة تضعف سلطة المجتمع، ويكون الانحراف والعنف هو السمة الغالبة عليهم لتحقيق شهواتهم ونزواتهم دون وازع أو رقيب، وتعتمد النظرية على دراسات دوركايم الذي أكد أن على أن الانحراف والعنف يتناسبان عكسياً مع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، فالمجتمع المتماسك يتضاءل فيه الانحراف على عكس المجتمع المنحل، وعلى هذا الأساس فإن أفراد المجتمع المتماسك من ناحية العلاقات القرابية والإنسانية أكثر طاعة

¹ - جمال معنوق، مرجع سابق، ص ص 210-211.

للقانون وإتباعاً للقيم الاجتماعية من أفراد المجتمع المتحلل أخلاقياً¹. كما تنطلق النظرية من فرض مؤداه أن «الدافع للانحراف والعنف شيء طبيعي يوجد لدى جميع الأفراد، كما تذهب إلى أن الطاعة والامتثال هي الشيء الذي يجب أن يتعلمه الفرد، كما تفترض النظرية أن الانحراف أمر طبيعي وسوي فمن خلال وجود نظام أخلاقي قائم، وإطار مرجعي تقليدي في المجتمع، وأن هناك علاقة بين كل من قوة وفاعلية الضبط الاجتماعي والإقبال على السلوك العنيف والعُدواني، فكلما كان هناك تفعيل للضبط وأدواته داخل البيئات الاجتماعية تراجع السلوك العنيف والإجرامي والعكس صحيح»²، ويشمل تفعيل أدوات الضبط الاجتماعي الممارسات الأخرى مثل الكتابة الحائطية والتي إذا ما تركت دون ضوابط داخل أي بيئة اجتماعية، وكان حضورها مكثف فإن المكان تتخلله مشاهد لبداية ظهور سلوكيات انحرافية أخرى، فالجدران التي تحمل عبارات حول وجود مخدرات في المنطقة مثل (هنا تباع المخدرات، هنا يجلس بائعوا الزطلة...)، أنظر الملحقين رقم 11 و 12 والتبليغ عن أسماء أفراد العصابات كوسيلة من الوسائل الإعلامية والتشهيرية تجاه الممارسات الانحرافية الممارسة في الأحياء والشوارع، حيث من الصعب أن تتولى الشرطة والدرك لوحدهما مسؤولية محاربة أنواع الجرائم الممارسة دون مساعدة من الأفراد في المجتمع، كما لا يمكن أن يحاربها الأفراد لوحدهم، حيث قد يتعرضون للتصفية والانتقام، لذلك ينبغي أن تتكاتف كل الجهود لهدف احترام القانون.

إن العنف غريزة داخلية حسب ما تطرحه النظرية، إذ يظهر عندما «يفشل المجتمع في ضبط أفرادهِ وإحكام السيطرة عليهم، فيرون أن خط الدفاع للمجتمع تلك المجموعات التي لا تشجع السلوك العنيف، أما أولئك الذين يسيطرون عليهم من قبل أسرهم أو الجماعات الأولية، فيتم ضبطهم

¹ - بسام محمد أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، ط 3، منشورات أ. كتب، فلسطين، 2016، ص 61.

² - جمال معتوق، مرجع سابق، ص 213.

والسيطرة عليهم عن طريق جبرية القانون والشرطة، فعندما يفشلان في إحكام السيطرة يظهر سلوك العنف، كما أن الدافع للعنف شيء طبيعي يوجد لدى جميع الأفراد، والطاعة هي الشيء الذي يجب أن يتعلمه الفرد، إضافة إلى الامتثال إلى القوانين»¹، ومن جهة أخرى تعد النظرية من بين النظريات السوسيولوجية التي تنظر إلى العنف على اعتبار أنه استجابة للبناء الاجتماعي، «فالعنف غريزة إنسانية فطرية تعبر عن نفسها عندما يفشل المجتمع في وضع قيود محكمة على أعضائه، كما يرون أن خط الدفاع بالنسبة للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي تشجع على العنف وتستتكره، فأعضاء المجتمع الذين لا يتم ضبط سلوكهم عن طريق الأسرة وغيرها من الجماعات الأولية، يتم ضبط سلوكهم عن طريق وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية، وعندما تفشل الضوابط الرسمية يظهر سلوك العنف بين أعضاء المجتمع»²، وفي جانب آخر تعد الروابط الاجتماعية فعالة في عملية الضبط الاجتماعي وعلاقتها بالانحراف والعنف، «فسبب الانحراف راجع في أحيان كثيرة إلى ضعف الرابطة الاجتماعية، وقوة الارتباط بين أعضاء الأسرة (رابطة أبوية، رابطة زوجية، رابطة أخوية... وغيرها) هي التي تقوي وتدعم التماسك الأسري والعكس صحيح، إضافة إلى عاملي الالتزام والخوف عند الفرد والذي يكبحان رغبة الكثيرين في خرق القانون، إذ هناك القليل الذي ينكر أن طاعة الناس للقانون في بعض المواقف يرجع إلى مجرد خوفهم من النتائج»³، ومن هنا فإن فعل الكتابة الحائطية عند عدد من محرريها يبقى من السلوكيات التي لا يتخوف من ممارستها إلى الحد المطلوب بسبب أن القانون لا يولي لها من

¹ - فضيلة سلطاني، العنف المدرسي بين التصورات النظرية والممارسات الواقعية، دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ثانويات ولاية الشلف، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 25، 2017، جامعة الأغواط، ص 119.

² - محمد سعيد الخولي، العنف المدرسي، الأسباب وسبل المواجهة، ط1، مكتبة الأنجلومصرية، 2008، مصر، ص 106.

³ - زبيدة مشري & لياس شرفة، النماذج النظرية المفسرة للضبط الاجتماعي، مجلة آفاق العلوم، العدد 7، جامعة الجلفة، الجزائر، 2017، ص ص 287-288.

الأهمية الكثير، ولا يشدد على عقوبة الفاعل فيها بالرغم من توفر النصوص القانونية لذلك، ولو أن الفاعل يبقى مجهولاً في كثير من الأحيان.

2-3-2. النظرية البنائية الوظيفية: حاولت البنائية الوظيفية البحث في «الظواهر

الاجتماعية للمجتمع بغض النظر عن بنى وانتماءات تلك المجتمعات، فقد وضعت الأسس المفاهيمية اللازمة لرصد الأنساق وتفاعلاتها في أي مجتمع من المجتمعات، وانطلاقاً من الظروف الخاصة للفرد، وفي إطار مفهوم البنية والوظيفة، فأى نظام اجتماعي يؤول إلى الاتساق والاتزان المنطقي، بحكم الترابط والتكامل المتساند»¹، وعليه فإن «العنف يتضمن دلالات هامة عن حالة اللاتوازن وعدم الاتساق داخل النسق، فالعنف إما أن يكون نتيجة لفقدان المعيار، وإما أن يكون نتاج لفقدان الارتباط بالمجموعات الاجتماعية، أو نتيجة للامعيارية أو فقدان التوازن الذي قد يصيب المجتمع الإنساني، بحيث تتحطم المعايير وتسود الفوضى فيلجأ الأفراد إلى العنف، فكلما اشتد التماسك الاجتماعي بين وحدات النسق الاجتماعي، كلما قل أو انعدم العنف. كما أن العنف يعد تفسير لحالة اللامعيارية أو التصدع الذي يعيشه النسق»².

يتزايد العنف في الطبقات الاجتماعية والاقتصادية المتدنية، حيث «يعاني الأفراد من الإحباطات نتيجة تدني مكانتهم الاجتماعية وشح مصادرهم المادية والعاطفية والنفسية والاجتماعية، فالإحباط من الناحية المادية ربما يكون أشد قسوة لأنه يؤدي إلى الإيذاء الجسدي والنفسي للأفراد»³، والعنف له مدلول كبير في السياق الاجتماعي، حيث «تهتم النظرية بالطرق التي تحافظ

¹ -عربي محمد & قلوو ابراهيم، النظرية البنائية الوظيفية، نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية، مجلة التمكين الاجتماعي، مجلد1، عدد3، جامعة الأغواط، الجزائر، 2019، ص168.

² - جمال معتوق، مرجع سابق، ص ص204-205.

³ -منى يونس بحري & نازك عبد الحليم قطيشات، العنف الأسري، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص45.

بها عناصر البناء الاجتماعي على التوازن والاندماج والاستقرار النسبي للمجتمع أو للمجموعات الاجتماعية الأخرى، كما تتنظر أيضا أن العنف نتاج فقدان الارتباط والانتماء إلى مجموعات اجتماعية تنظم وتوجه سلوك أعضائها، أو كنتيجة لفقدان المعايير وعدم وجود التوجيه والرقابة الاجتماعية من ناحية أخرى، إذن سلوك العنف هو انعكاس للقيم الاجتماعية للمجتمع الذي فيه هذا النمط من السلوك»¹.

2-3-3. نظرية الصراع: استمدت هذه النظرية أصولها في تفسير عملية العنف من

النظرية الماركسية التي ترى «أن التناقض بين علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج هو المولد الأول والأساسي للصراعات في المجتمع، إذ يتشكل الصراع نتيجة التناقض القائم بين طبقة مالكة وأخرى غير مالكة»²، وهناك مسلمة أساسية أخرى تؤكد أن «العنف الذي يحدث في المجتمع إنما هو ميراث للظلم التاريخي بالإضافة إلى ما تعاني منه الأقليات من عدم الحصول على نصيب عادل من الثروة والقوة، فالعنف في نظرهم ناتج عن القهر الذي يتعرض له الناس، والتفاوت في الثروة بين الطبقات الفقيرة والغنية يزيد ن استعمالهم للعنف»³، ومفهوم العنف بالنسبة لكارل ماركس رائد المدرسة الماركسية «يشمل كل مظاهر القوة والقمع في الحياة الاجتماعية، والعنف عنده عامل

¹ - نرمين حسين السطالي، مرجع سابق، ص ص75-76.

² - أمل سالم العواودة، العنف ضد المرأة العاملة في القطاع الصحي، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2009، الأردن، ص98.

³ - ليلي ناجي، دور التنشئة الأسرية في الحد من ظاهرة العنف لدى التلاميذ، دراسة ميدانية بثنائيات بلدية تبسة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوية، (غير منشورة)، جامعة بسكرة، الجزائر، 2018، ص132.

اقتصادي، فقد قام ماركس بتحليل العنف من خلال ارتباطه بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية الموجودة في المجتمع»¹.

تركز نظرية الصراع كذلك على «الشعور الشخصي بالحرمان بين ما يرغب فيه الناس وما يحصلون عليه مما يزيد من النزوع نحو العنف والعدوان، فالحرمان والظلم الاجتماعي يولدان عند الأفراد الإحباط والسخط تجاه المصدر المحبط، وبالتالي ينتهجون لغة العنف، ومن هنا فإن العنف الذي تمارسه الطبقة العاملة الفاقدة لوسائل الإنتاج هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الحقوق المسلوبة»² وناهيك عن ذلك فإن «الدور التاريخي لطبقة ما في تطور المجتمع ووضعها في علاقات الإنتاج والمبادلة المسيطرة تقرر الطبيعة والاتجاه الاجتماعي لوسائل ومناهج العنف التي تستخدمها لتحقيق سياستها»³، والحديث عن السلوك المنحرف الذي يكون العنف من صوره الأساسية فإنه يحدث «من جراء الاستغلال الذي تمارسه الطبقة المسيطرة على الطبقات الفقيرة، وهذه الأخيرة إذا اكتسبت وعياً بطروفها يمكنها أن تتخرب في سلوك عنيف يتخذ شكل العنف الجماعي ضد الطبقة الحاكمة أو المسيطرة»⁴.

2-3-4. نظرية المخالطة الفارقة: نادى بهذه النظرية العالم الأمريكي إدوين ساندربلاند

(1883 - 1950 Edwin Sutherland) الذي ينتمي إلى مدرسة شيكاغو الأمريكية، ففي اعتقاده لا يمكن رد السلوك الإجرامي أو العنف إلى الظروف المعيشية المحضة (كالفقر) أو إلى مجرد عوامل سائدة كالظروف والعوامل النفسية أو الاجتماعية، وقد انطلق ساندربلاند في دراسته من

¹ - اسماعيل محمد الزبيد، العنف المجتمعي، إطلالة نظرية، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص25.

² - جمال معتوق، مرجع سابق، ص229.

³ - اسماعيل محمد الزبيد، مرجع سابق، ص26.

⁴ - أمل سالم العواودة، مرجع سابق، ص99.

أن السلوك الإجرامي أو العنف ليس سلوكاً موروثاً كما كان يعتقد أنصار المذهب الفردي (البيولوجي)، كما أنه ليس ثمرة لعامل واحد أياً كانت طبيعته، وإنما هو سلوك يكتسبه الفرد عن طريق الاحتكاك والاختلاط بالمجرمين»¹.

رأى ساندرلاند أن السلوك الإجرامي العنيف «سلوك متعلم يتعلمه الفرد من محيطه الاجتماعي، بحسب درجة التقارب بين الأفراد ومحيط المخالطة الطبيعية، فكلما زاد هذا التقارب زادت إمكانية التعلم، فالفرد إما أن يحاط بقوى معادية للجريمة والعنف أو محبذة لها، ونتيجة للمخالطة يحصل التدريب والتعليم، فإن كان الرأي المعادي للجريمة هو الغالب لدى الجماعة المختلط بها، تعلم الفرد هذا الرأي وأصبح معادياً للجريمة بينما العكس صحيح»². كما يتم تعلم السلوك الإجرامي والعنف من خلال «عملية الاتصال والتفاعل مع أشخاص آخرين يمارسون ذلك النمط من السلوك الإجرامي، فهذا الاتصال يتم اكتساب المهارات والحركات والإشارات المتعلقة بذلك السلوك الإجرامي، ويكتسب هذا السلوك أيضاً من خلال التفاعل مع أشخاص تقوم بينهم علاقات وثيقة، وهذا يعني أن وسائل الاتصال غير الشخصية كالسينما والصحف تلعب دوراً ضئيلاً في نشر الجريمة واكتساب مهارات السلوك الإجرامي»³.

يرتكب الفرد سلوكاً منحرفاً «إذا رجحت كفة الآراء المحبذة لانتهاك القواعد القانونية على الآراء الناهية عن انتهاك القواعد القانونية، وذلك هو جوهر المخالطة الفاصلة الذي يشير إلى التفرقة بين المخالطة السوية والمخالطة المنحرفة، وبصفة عامة فإن السلوك الإجرامي والعنف

¹ - سميرة أفرورو، الوجيز في أسس علم الإجرام وأهم مدارسه، صوماديل للنشر، المغرب، 2015، ص 62.

² - عبد الله جوزه، الاعتراض الحضاري والعنف الاجتماعي، دراسة نظرية نقدية لواقع العالم العربي الراهن، أطروحة دكتوراه في اختصاص علم اجتماع التنظيم والعمل، (غير منشورة)، جامعة باتنة، الجزائر، 2013، ص 177.

³ - عدلي محمود السمري، علم الاجتماع الجنائي، ط 2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2011، ص 149.

سلوك متعلم من خلال الاختلاط والاتصال والتفاعل مع الآخرين، ويتم تعلم أمرين هامين في هذا الصدد هما أساليب ارتكاب السلوك الإجرامي ومبررات تدعيم ارتكاب مثل هذا السلوك من قيم ودوافع واتجاهات، مع التركيز على أهمية وجود العلاقة المباشرة لأنها نقل المهارات والقيم¹، وتقوم هذه النظرية على مجموعة من الفروض أهمها:

تتجاوز «العلاقات المؤثرة على السلوك تكون عن طريق الاتصال المباشر وهذا من شأنه أن يضعف الاتصالات الأخرى غير مباشرة وتأثيرها على السلوك، كما أنه عندما يغلب الفرد المخالط الرأي أو الاتجاه الذي يذهب إلى مخالفة الأنظمة والضوابط، يقتنع بجدوى الفعل الإجرامي ومشروعيته، وأخيرا فإن الاختلاط التفاضلي يختلف بحسب التكرار والاستمرار والأسبقية، فكلما كرر الفرد الاتصال مع المجتمع الضيق كان الاتصال مبكرا وأطول زاد التأثير بثقافة وسلوك المجتمع الضيق المخالط، وزاد احتمال الاستجابة لثقافة وسلوكيات المختلط بهم من طرف الفرد المختلط»².

تعرضت نظرية المخالطة الفارقة في تفسير للسلوك الإجرامي العنيف لجملة من الانتقادات كونها أهملت دور العوامل الداخلية في تفسير العنف إهمالا واضحا، في حين ركزت على الجانب الاجتماعي فقط، واعتبرته العامل الوحيد والمسؤول عن ظهور العنف، كما عجزت على تفسير بعض أنواع السلوك الإجرامي لذلك فهي تصلح -في نظرنا- لتفسير الجرائم العادية أو المعروفة والتي يلعب فيها التفكير والاعتقاد دورا أساسيا ولكنها لا تصلح لتفسير الجرائم التي يلعب فيها الانفعال والصدفة والظروف الآنية دورا أساسيا، وفي جانب آخر أهملت النظرية الإرادة الحرة للفرد واعتبرته عاجزا على التحكم في أفعاله وأن الاختلاط صفة ملزمة تجعله بالضرورة متجها إلى سلوك

¹ - عدلي محمود السمري، مرجع سابق، ص 150-151.

² - عبد الله جوزه، مرجع سابق، ص 177.

العنف، ولم توفق في تفسير التفاوت في الاستجابة بين الأشخاص من المخالفين للمجرمين وممن يسلكون سلوكا عنيفا، فيختاره ويذهب إليه أفراد ولا يذهب إليه آخرون.

2-3-5. نظرية الثقافة الفرعية : جاء مارفن وولفجانج (M, Wolfgang) بنظريته عن

الثقافة الفرعية للعنف عام 1967، والذي يؤكد أن «الاتجاه نحو العنف أنها يختلف بشكل كبير من جماعة إلى أخرى داخل المجتمع نفسه، وهناك اتجاهات إيجابية نحو العنف والتي تشجع على ظهور سلوك العنف في كثير من الظروف وبفضل الأعضاء الذين ينتمون إلى ثقافة العنف أسلوب الخشونة ويشجعون السلوك العدواني»¹. كما هناك علاقة بين «تعليم قيم ثقافية معينة والسلوك العنيف، فالسلوك العنيف هو نتيجة لعوامل ثقافية معينة إذ توجد علاقة بين التنشئة الثقافية والسلوك العنيف، فهذه الثقافة الفرعية المسببة للعنف تنتقل من جيل لآخر، وتختلف من جماعة لأخرى، وقد تطورت نظرية العنف كثقافة فرعية شاعت في المجتمعات الفقيرة التي يكون السلوك العنيف من الأساليب المبررة لديهم لتحقيق أهداف يسعون إلى تحقيقها»².

تتميز الثقافة الفرعية بأن «لها اتجاهات نحو العنف، وأن هذه الاتجاهات تشجع على ظهور سلوك العنف في كثير من الظروف، ويتحدد السلوك الانحرافي أو العنيف بواسطة نسق فرعي أو المعتقدات والاتجاهات التي تجعل أشكال معينة من الانحراف في مواقف معينة ممكنة أو مسموح بها، وبالتالي تسمح لنفسها بالخروج عن باقي أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه حيث تسلك سلوك خارجا عن قيم المجتمع»³.

¹ -اسماعيل محمد الزيود، المرجع السابق، ص34.

² - مصطفى حميد كاظم الطائي، النظريات المفسرة للعنف وخطاب الكراهية في وسائل الإعلام، المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19، العدد 02، جامعة الجزائر 03، 2020، ص46.

³ -جمال معتوق، مرجع سابق، ص 224.

تعتبر الثقافة الفرعية Sub-culture بأنها «جزء من الثقافة الكلية للمجتمع، ولكنها تختلف عن الثقافة الكبرى في بعض المظاهر كاللغة والعادات أو القيم والمعايير الاجتماعية، ويرجع الاستخدام المبكر لمفهوم الثقافة الفرعية في علم الاجتماع، وإن كان للثقافة الفرعية نسق من القيم والاتجاهات وأنماط السلوك أو أساليب الحياة التي تتميز بها جماعة اجتماعية عن باقي ملامح الثقافة العامة السائدة في المجتمع، فهناك ثقافة للعنف تظهر بشكل واضح بين الأقليات الإثنية والعرقية، وتتميز هذه الثقافة بأن لها اتجاهات ايجابية للعنف مما يشجع على ظهور السلوك العنيف في كثير من الظروف ومن ثم فإن الأعضاء الذين ينتمون إلى ثقافة العنف يفضلون أسلوب الخشونة ويشجعون السلوك العنيف»¹.

يمكن النظر إلى هذا النوع من التفسير الذي أتت به هذه النظرية والذي يقوم على أساس «قيام ثقافة خاصة تختص بجماعة محددة تحبذ الجريمة والعنف، وتحفظ بمجموعة من القيم والمعايير والتقاليد التي ترتبط بانتهاج السلوك الإجرامي ولا تقبل معايير المجتمع فيما يتصل ببعض الممنوعات وتورث أبنائها هذا الموقف جيلا بعد جيل، والثقافة الفرعية تقوم كرد فعل أو استجابة لظروف محددة، ويرجع البعض قيام ثقافة خاصة بالمجرمين إلى أن هؤلاء المجرمين يتميزون بسمه واحدة هي أنهم جميعا مشتركون في النشاط الإجرامي، وأن سلوكهم الإجرامي هذا يشير إلى مناهضتهم ومعاداتهم بدرجات متفاوتة للمعايير الرسمية»².

2-4. الاتجاه الأنثروبولوجي: يؤكد المنظور الأنثروبولوجي بشكل أساسي على «أثر

التنشئة والاختلاف الثقافي كعامل أساسي محدد لنمط حركة الشعوب لاسيما التفاعل الاجتماعي، فالعدوان والعنف سلوك لا علاقة له بالغريزة والفطرة، وقبيلة تازادي التي اكتشفت مطلع الثمانينات

¹ - منال محمد عباس، مرجع سابق، ص 77-79.

² - عبد الله جوزه، مرجع سابق، ص 167.

في غابات الفلبين وهم يعيشون مئات السنين، لم يوجد عدوان بينهم وبين الآخرين وحتى كلمة حرب لا توجد في قاموسهم اللغوي، في حين أن بعض قبائل جنوب السودان تشترط على العريس أن يصارع أهل العروس لكي يحظى بعروسته، وإلا لا أمل له في الزواج دون ذلك، وقبائل أخرى تشترط على العريس جلب ثيران برية يصطادها بنفسه ويقاثلها بشكل شرس جدا كي يحظى بعروسته، وهكذا أصبح العنف قيمة مطلوبة لذاتها وينبغي أن يتعلمها المرء في هذه المجتمعات»¹.

اشتغل كلود ليفي ستراوس (C, Lévi-Strauss) على دراسة ظاهرة العنف لدى الكائنات البشرية، وإن لم تحتل دراسته لموضوع العنف حيزا كبيرا في النظرية العامة للمجتمع، غير أنه «قدم ظاهرة العنف من خلال تحليله للعلاقة القائمة بين الحرب والتجارة عند هنود أمريكا الجنوبية، فالحرب عند Strauss لا يمكن فهمها إلا من خلال الكل الاجتماعي، ففي نظره أن العلاقات بين الجماعات والمجموعات هي علاقات تجارية تبادلية، ويرتبط مصير الحياة السليمة أو الممارسات العنيفة بنجاح المشاريع والأنشطة التجارية أو فشلها»²، كما حاول باحث آخر في الأنثروبولوجيا يدعى شيروود واشبيرن (Sh, Washburn) أين حاول «أن يتغلغل في فهم سيكولوجية الصيادين البدائيين الذين نعتهم بآكلي اللحوم، حيث يرى شيروود أن تلك المجتمعات كانت تتلذذ بالقتل، كما يرى أن عمليات ضرب عامة الناس وتعذيبهم يشيع وجودها في العديد من الثقافات خاصة التي يعتمد أصحابها في حياتهم على الصيد»³، فربط هذا الباحث هنا الصيد بظهور العنف عند هذه المجتمعات نظرا لاستعمال القتل والفتك بالحيوانات على غرار أساليب العنف والعدوان التي تطالها

¹ - سامي مقالتي، مرجع سابق، ص144.

² - مختار رحاب، العوامل السوسيوثقافية لظاهرة العنف لدى الشباب الجامعي، حالة الإقامة الجامعية بقسنطينة، دراسة سوسيوأنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، (غير منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة، 2010، ص 119-120.

³ - محمد عبده محجوب & يحيى مرسي عبد بدر، العنف السياسي والاجتماعي، قراءات ودراسات انثروبولوجية، ط1، دار الثقافة العلمية، مصر، 2005، ص137.

أثناء عملية الصيد الأمر الذي كان يؤثر على علاقاتهم الاجتماعية فيستعملونها في تعاملاتهم وحل مشاكلهم.

يختلف تحديد العنف في نظر الأنثروبولوجيين حسب «تطور المجتمعات ومراحلها التاريخية، فالعامل التاريخي والثقافي له الدور الفعال في تحديد مفهوم العنف، فهناك مجتمعات تقبل في ثقافتها ما نسميه نحن عنفا، وتراه سلوكا عقابيا تهذيبيا لا أكثر، وهذا حسب نسق قيمها ومعاييرها المتأصلة تاريخيا وثقافيا»¹.

3. أبرز أشكال العنف:

3-1. من حيث المصدر:

3-1-1. العنف الفردي: يقصد به «نزوع الفرد إلى إيقاع الأذى بغيره من الأفراد والجماعات أو الأشياء باعتبارها حالات خاصة به وحده، ومرتكب العنف الفردي يتميز بصفات معينة تجعله كثيرا ما يميل إلى العنف متى سمحت له الضرورة لمثل هذا السلوك»²، كما يعبر عنه أنه «عبارة عن إنتاج أو فعل فردي ينتجه مرتكب العنف في حياته اليومية، ويتميز الشخص العنيف في معظم الأوقات بخصائص تجعله يميل إلى السلوك العنيف»³، ويمكن التعبير عن العنف عند الفرد بعدة أشكال منها شكل الكتابة فيذهب الفرد للانتقام عن طريق التشهير بفرد آخر

¹ -هالة لبرارة، العنف ضد المرأة، المفهوم والدلالات النظرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، جامعة تبسة، 2017، ص468.

² - دكاكن ابتسام، النظام التربوي للأسرة وعلاقته بالسلوك العنيف لدى المراهق: دراسة ميدانية بثنائية مصطفى بن بولعيد باتنة، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التربية، (غير منشورة)، جامعة بسكرة، 2018، ص93.

³ - علي بوشخي، العنف المفهوم، أنواعه وأشكاله والنظريات الاجتماعية لهذا المفهوم، المجلة المغربية للدراسات التاريخية، المجلد 06، العدد 01، جامعة سيدي بلعباس، 2009، ص04.

من خلال الكتابة الحائطية كأن السخرية منه أو نعتة بصفات سيئة الغرض منها تلطيف سمعته أو عبارات للتهديد والتوعد.

3-1-2. العنف الجماعي: هو العنف الذي «يمارس من طرف مجموعة من الأشخاص ضد شخص آخر أو عدة أشخاص، وهو يمارس بطريقة جماعية منظمة من جميع أعضاء المجموعة مثل ما يحدث في الحالات الإرهابية»¹، ويقصد به أيضا أنه «صورة من صور العنف التي تقون به مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة تعبر عن العنف (الإيذاء، القتل، التدمير، الحرق، التخريب...) اتجاه فرد أو جماعة أخرى معادية أو اتجاه موضوع يتم إدراكه كمصدر فعلي أو محتمل أن يكون من مصادر الإحباط أو الخطر»²، ويشعر المنخرطون في العنف الجماعي أنهم بـ «أقل مسؤولية عن نشاطاتهم وعن ارتكاب أعمال العنف لأنهم يتصرفون وفق أسباب جماعية معينة (المعتقدات السياسية أو الدينية، الولاء إلى جماعة عرقية أو قومية...)»³، إذ يمكن لجماعة معينة تبني أشكال للعنف وإظهارها للعامة عن طريق ممارسة كتابية على الحائط حاملة عنفا يتجلى من خلال كلمات ورموز وأشكال توحى بأن هوية الممارس لهذا الفعل هم جماعة اتفقوا على اسم معين لهم يوقعونه آخر كل كتابة حائطية عنيفة ظاهرة على كل سطح يصلح للكتابة في المدينة أو الشوارع أو الأحياء.

¹ - المرجع نفسه، ص 04.

² - دكاكن ابتسام، مرجع سابق، ص 93.

³ - صالح حسين، العنف الاجتماعي والسياسي والإعلامي من منظور علم النفس الاجتماعي، ط1، دار الكتاب الحديث، مصر، 2014، ص 193.

3-2. من حيث نمط سلوك العنف:

3-2-1. العنف الجسدي: يقصد به «استخدام القوة الجسدية بدرجات مختلفة وبشكل

متعمد تجاه الآخرين بهدف إلحاق الضرر الجسدي لإيقاع الألم والأذى والمعاناة النفسية لهم وهو وسيلة عقاب غير شرعية تظهر في صور الضرب وشد الشعر والصفع والدفع والإمساك بعنف ولي اليد واللكم والرمي أرضاً والعض والخنق والحرق، وقد يستخدم فيه الآلات الحادة أو الأسلحة بحيث يعتبر هذا النوع أكثر الأشكال ممارسة في العالم»¹.

ينشأ العنف الجسدي «عن عمد بسبب أو يؤدي إلى خطر كبير يتمثل في إحداث تشوه أو إضعاف للأداء الوظيفي للجسم أو إصابة جسيمة خطيرة فهو ضرر مقصود ينجم عن أفعال شخص راشد، وتتصف أفعال هذا الشخص بالعنف البدني وإحداث الأذى أو الإصابة الجسمية من خلال المعاملة القاسية أو غير الإنسانية»²، وتظهر آثار العنف الجسدي على الفرد أو الضحية من خلال ما يتخلل فعل العنف هنا، ويكون مقصود هدفه إلحاق الأذى الجسماني لفرد أو مجموعة.

3-2-2. العنف النفسي: هو نوع من العنف «يصعب رصده بوضوح لأنه غير ملموس

كما هو الحال بالنسبة للعنف الجسدي، فقد يتم على شكل أقوال أو حركات خفيفة ومتسترة غير ظاهرة في كثير من الأحيان للعيان، على سبيل المثال الابتزاز الذي يمكن أن يعزل الإنسان ويهيئنه

¹ - زينب حذمر، طيب بودرهم، ظاهرة العنف في المجتمع الرياضي أنموذجاً، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، المجلد 03، العدد 04، ديسمبر 2020، ص119.

² - طارق عبد الرؤوف عامر & إيهاب عيسى المصري، العنف ضد المرأة مفهومه، أسبابه، أشكاله، ط1، منشورات مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، مصر، 2014، ص283.

ويمنحه الشعور بالنقص وغيره، كما يمكن أن يطلق العنف النفسي على كل الاستراتيجيات المباشرة أو غير المباشرة الرامية إلى الحد من حرية الإنسان وتأكيد ذاته بالوسائل المشروعة»¹.

يهدف هذا الشكل من العنف إلى «التعدي على الأشخاص معنويا كالإهمال أو الحرمان من الحقوق، والعزل وممارسة الضغوط والتهديد وغيرها من الأساليب، حيث يفقد الأفراد توازنهم النفسي إذ يشعرون بأنهم أقل كفاءة من غيرهم، فهو يمس ما هو أخطر من الآثار الجسدية، لأن آثاره نفسية تؤثر على شخصية الإنسان في كل مراحل العمرية»².

3-2-3. العنف اللفظي: هو نوع من العنف يعبر عن «تهديد الآخرين وإيذائهم عن طريق الكلام والألفاظ البذيئة النابية والاستهزاء، وعادة ما يسبق العنف اللفظي العنف الفعلي والجسدي، ويكون القصد منه في هذه الحالة الكشف عن قدرات وإمكانيات الآخرين قبل الإقدام على توجيه العنف الجسدي ضدهم»³، كما يعبر عن «استجابة صوتية ملفوفة تحمل مثيرا يضر بالمشاعر كائن حي آخر، ويكون في صورة الرفض والتهديد والوعيد والشتائم والتنازع بالألقاب أو المناداة بما يكره الغير، والنقد الموجه نحو الذات أو الآخرين، بهدف استفزازهم أو اهانتهم والاستهزاء بهم»⁴.

¹ - أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، عنف المؤسسة ومأسسة العنف، ط1، منشورات مجلة علوم التربية، المغرب، 2014، ص ص 11-12.

² - صونية حداد، ظاهرة العنف المدرسي، العوامل، الآثار، سبل الوقاية، مجلة المجتمع والرياضة، جامعة الوادي، المجلد 01، العدد 02، ديسمبر 2018، ص ص 27-28.

³ - عبد الله بن إبراهيم العصماني، العنف المدرسي وعلاقته بالنمو الأخلاقي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بتعليم محافظة الليث، رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، (غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية، 2013، ص 24.

⁴ - زينب حذمر & طيب بودرهم، مرجع سابق، ص 131.

يعبر العنف اللفظي عن «تلك الألفاظ المصرح بها والتي لها دلالة من قبل شخص عنيف، أين يسمى ذلك الشخص الممارس للعنف اللفظي مجادل ومخترق القيم الاجتماعية والأخلاقية، فهذا الشكل من العنف ضد الحوار والتفاوض أين ينتج عنه التهديد والإضرار المعنوي والإقصاء والخضوع والإكراه»¹، وبخصوص هذا النوع من العنف فإنه يرتبط بالعنف من خلال الكتابة على الحائط فعادة ما تتضمنه الجدران من عبارات وكلمات عنيفة هي نفسها ما يتم لفظها والتعبير بها لفظياً لتنتقل إلى الحائط كآلية تأكيد لما يلفظ ويعد خطه وكتابته على دعائم الجدران فيلغظ ويقرأ ويشاهد ويتم الانتباه له على الحائط.

3-2-4. العنف الرمزي: قدم بيار بورديو (1930-2002)* مفهوم العنف الرمزي بأنه:

«ذلك العنف الناعم واللامحسوس واللامرئي من ضحاياهم أنفسهم، والذي يمارس في جوهره بالطرق الرمزية الصرفة للاتصال والمعرفة، أو أكثر تحديدا بالجهل والاعتراف أو بالعاطفة حدا أدنى»²، فهو عنف من نوع غير مباشر في أغلب الأحيان، والذي يسكت عنه الناس، وله أسس وحواضن فكرية إذ سرعان ما يتحول في لحظة مواتية «إلى عنف وشدة، فهو يتغذى من نفس المنبع الذي

¹ -محمد بوقشور & العيد هذاج، العنف اللفظي عند الشباب في الوسط المدرسي وعلاقته بالعوامل السوسيوثقافية: دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ التعليم الثانوي لولاية سطيف، جامعة جيجل، المجلد 03، العدد 04، 2020، ص198.

* - بيار بورديو: (1930-2002) عالم اجتماع فرنسي عمل في التدريس بكلية دي فرانس - باريس - أبرز أعماله والتي أكسبته شهرة هو إنتاجه في علم الاجتماع الثقافة والتعليم، كما اشتهر ببعثاته في النظرية العامة في علم الاجتماع المعاصر، شغل منصب محاضر في الجزائر العاصمة في عام 1958، ومن المعروف عنه ريادته لمصطلحات مثل العنف الرمزي ورأس المال الثقافي.

² - بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، (تر: سلمان قعفراني)، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009، ص16.

يستمد منه العنف الدموي أفكاره ودوافعه وتفسيراته»¹، ومن هنا تكمن خطورة هذا النوع من النوع بل هناك من يصنفه على أنه من أشد الأنواع والأشكال خطورة على الفرد والجماعات.

يشير العنف الرمزي إلى «نفوذ وسلطة تأتي من خلال طرح مجموعة من الدلالات التي تفرض وتحمل في معانيها الشرعية، وهو يعني أن يفرض المسيطرون طريقتهم في التفكير والتعبير والتصور الذي يكون أكثر ملائمة لمصالحهم، ويتجلى في ممارسات قيمة ووجدانية وأخلاقية وثقافية تعتمد على الرموز كأدوات للسيطرة والهيمنة مثل اللغة والصورة والإشارات والدلالات والمعاني»²، واللغة هنا هي إحدى أهم أدوات السيطرة على الآخرين والتي يتم توظيفها في أشكال عديدة منها الكتابة الحائطية، وهي ممارسة تعتمد على اللغة والرموز في طرح تلك الدلالات التي تحمل في معانيها الشرعية، فكثيراً من العبارات المخطوطة على الجدران تحمل معنى المنع من إتيان سلوك غير سوي وغير مقبول تسعى للتنبيه إليه، لكنها في جانب آخر تبقى هي ذاتها الممارسة التي تعنف المكان وتشوهه، وتبقى في مرحلة ما مساوية للعبارات المسيئة للأشخاص التي تملأ الجدران، لأنها في النهاية ممارسات تضر بالشكل الجمالي للمكان وتنتج في ملكيات خاصة وعامة ما يجعلها غير قانونية وغير مقبولة اجتماعياً.

4-عنف اللغة، قراءات متعددة:

إن اللغة ليست أداة حيادية بل هي «مجموعة من الكلمات المشحونة بقوة الرغبات والأحقاد ومشاعر الذنب وتكون نتيجة صياغة أخرى لتناقضات عدة، فاللغة ليست مجرد أداة تواصل بل

¹ - إبراهيم الحيدري، مرجع سابق، ص 177.

² - عائشة لصلح، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، قراءة في بعض صور العنف عبر الفيسبوك، سلسلة أبحاث ودراسات، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2017، المغرب، ص ص 08-09.

إنها فاعل في كل الاتجاهات، وإنها أداة تواصل وردّ فعل في بعض وظائفها، كما هي أداة سيطرة وهيمنة، وأيضاً أداة هروب وتملّص. كما هي أداة قهر وعنف ضارية»¹.

لا يمكن أن تدرس اللغة على حدّ تعبير بورديو «كموضوع مستقل يبحث عن الدلالة في باطن اللغة دون البحث في الشروط الاجتماعية لاستخدام الكلمات، إن قوة الكلمة وسلطانها لا تتبعان من ذاتها، بل من الاستعمالات الاجتماعية لها»²، حيث يمكن القول أن الكلمة بإمكانها أن تؤثر على الفرد والجماعة سواء بشكل إيجابي ك شخذ همهم والرفع من معنوياتهم الجماعية نحو ممارسة نشاطات إنسانية ذات فائدة مثل: التطوع والدفاع والعمل أو أن تكون لها آثار سلبية كالدفء بهم نحو الممارسات العنيفة والصراع والتناحر، بمعنى أن الكلمة يمكنها تفصح عن النوايا الاجتماعية وهي محملة بالمعاني والدلالات، وبإمكانها أن تخلف جراحاً أعمق من جراح السكاكين والسيوف، سواء ضد أفراد أو شرائح أو جماعات أو جندر اجتماعي.

يشير مفهوم عنف اللغة إلى «العنف الذي تحدثه اللغة في الجسم أو النفس والمنبثق عن تلفظ المشاركين في العملية التخاطبية (وهنا لا يقتصر الأمر على اللفظ بل يتعداه إلى اللغة أو الخطاب المكتوب كالكثابة الحائطية)، وذلك بعبارات لا يقصدون ما يفهم من ظاهرها إذ يمكن أن يتجسد ذلك أيضاً باستخدام المتكلم أو الكاتب لاستعارات في حقيقتها صورة لممارسة العنف اللامادي»³، فاللغة عبارة عن «نظام عرفي اجتماعي يفرض ذاته على الأفراد وإن كان كل فرد يستخدم اللغة في صورة الكلام أو الكتابة، والعنف يلزم اللغة ويستخدمها في كثير الأحيان، إنه

¹ - أنظر: نصار إبراهيم، عنف اللغة: أنت كافر أنت إرهابي.. أنت امرأة؟، صحيفة البناء، يومية لبنانية <https://www.al-binaa.com/archives/article/161697> تاريخ الولوج 2021/12/11.

² - محسن بوعزيزي، السيميولوجيا الاجتماعية، مرجع سابق، ص 63.

³ - نعيمة بن الشريف، العنف الرمزي وعنف اللغة الاجتماعي والثقافي وعلاقته بأفعال الكلام مقارنة تداولية ثقافية، مجلة الأسرة والمجتمع، جامعة الجزائر 02، المجلد 09، العدد 01، 2021، ص 86.

يسكن اللغة، فالإنسان يولد العنف في المفردات ثم تنتقل في الواقع الفيزيائي، والعنف الكامن داخل التاريخ لا وجود له دون اللغة، فعنف اللغة يقع بواسطة الكلمات ويحدث أيضاً داخل الكلمات، وحين يستخدم العنف اللغة سلاحاً يشهره الإنسان في وجه الآخرين تمارس اللغة العنف ضد الإنسان باعتبارها تمثل سلطة المجتمع، ربما لا نستطيع التحكم في سلطة اللغة لأنها تنشأ بشكل اجتماعي وتحميها القوانين العرفية التي تتشكل بصورة تلقائية، وللوصول إلى آليات صناعة هذا العنف لا بد من استنطاق اللغة وفحص الوعي الجمعي، وسير أغوار المصطلحات والمفاهيم»¹.

يتقاطع مفهوم عنف اللغة في بعض الأبعاد مع مفهوم العنف الرمزي، فهو عنف يبدو غير مباشر، مجرد سلوك أو حركة أو لفظ أو تعابير جسدية، (أو كتابة حائطية) لكنها تحمل في مضامينها الإهانة والاستخفاف والتحقير والدونية والتمييز والتهميش، وكل ذلك بهدف السيطرة والقهر والردع، أو قد يكون ذلك العنف على شكل تطويع وإخضاع عبر اللغة من خلال الترميز والإحالة وتحريك المعنى من خلال الرمز وحركة الدلالات، وبهذا المعنى فإن عنف اللغة بقدر ما يركز للمباشر في اللغة فهو أيضاً يركز للمضمر فيها»².

أخذت موضوعات المرأة في هذا السياق حيزاً كبيراً «فالهيمنة لم تقتصر على الفعل فقط بل تعدى ذلك إلى الهيمنة حيث أن قيام هذه الأخيرة أي الهيمنة اللغوية يكون من خلال ثنائية القلم واللسان أو ما يسمى بقسمة اللغة، على اعتبار أن القلم صفة تلازم وتختص بالذكر أما المرأة فسلحها اللسان وقد شبه ذلك بعادات الأكل في أوروبا القديمة حيث يقول: (أن من عادات الأكل وآدابه في أوروبا أن يختص الرجال بأكل اللحم الصافي ليقوي فحولتهم، وليس للنساء إلا الفضلات

¹ -أنظر: جنان التميمي، اللغة منبع العنف وعلاجه، صحيفة الاقتصادية، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، المملكة العربية السعودية، تاريخ الولوج 2022/02/11 الرابط الإلكتروني: https://www.aleqt.com/2018/03/08/article_1345606.html

² -نصار إبراهيم، عنف اللغة: أنت كافر، أنت إرهابي.. أنت امرأة؟، مرجع سابق.

من الطعام مثل العظم والمصران يشتركن به مع الخدم، فالكتابة والقلم هم اللحم الصافي الذي يختص به الرجال، وللمرأة العظم والفضلات فتبقى لها فضلة اللسان»¹، وإن العنف الذي تمارسه اللغة على المرأة يأتي بطريقة ذكية حيث أن التذكير هو أصل البلاغة فالعبارات المكتوبة في العديد من النصوص على غرار الكتابة المتواجدة على الحائط تظهر مباشرة أن كاتبها ذكر وليس أنثى، في كتابات حائطية كـ «عاهرة الملاهي، إثنان لاثقة فيهما الفرامل والنساء...»، فالذكر قد أحكم سيطرته على الفكر اللغوي والثقافي حتى أضحت تسمى باللغة الذكورية، تلك اللغة التي استولت على حقوق المرأة ممارسة عليها ما أسماه الغدامي بالوَأد الثقافي، فقد أصبح الذكر في هذه الحالة هو الفاعل والصانع والمنتج للمسألة اللغوية.

في ذات السياق فإن «غياب المرأة عن التاريخ هو سبب غيابها عن اللغة وكتابة الثقافة مما فسخ المجال أمام الفحولة للتفرد باللغة فجاء الزمن مكتوبا بالقلم المذكر واللفظ فحلا، وأن السبب في طرد المرأة من أحضان اللغة إلى الثقافة هو تحول المجتمع من نظام الأمومة إلى النظام الأبوي»²، ومن هنا مهد الرجل الطريق لممارسة العنف ضد المرأة عبر اللغة واحتكارها تاريخيا «فأضحت هذه الأخيرة في يد الرجل أو الذكر يشكلها كيفما يشاء ويخط بها صفحات التاريخ بلمسة ذكورية راسخة، حيث استأثر الرجل باللغة وأحكم قبضته عليها وسجل التاريخ والثقافة بضمير ذكوريته، وعدّ المرأة مجرد موضوع ثقافي، فنتج إذاك أن أصبح اللفظ فحلا والمعنى مؤنثا»³، ومن جهة أخرى فإن «الخطاب الذكوري باعتباره موروثة قوليا شفويا، يعد أحد أوجه القيم المتفرعة عن القيم الذكورية، باعتبارها نسقا من العلاقات يقوم على الطاعة والخضوع للطرف

¹ - عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص37.

² - سماحية خضار، الأنثى والقلم أي عهد؟: قراءة في كتاب المرأة واللغة لعبد الله الغدامي، مجلة إشكالات في اللغو والأدب، مجلد 10، عدد 3، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021، ص85.

³ - المرجع نفسه، ص85.

المهمين هو الذكر، على حساب الطرف الثاني المهمين عليه هو الأنثى، مما أسهم في إنتاج نموذج تراتبي يقر بسلطة الفضاء الذكوري على الفضاء الأنثوي الذي يتغذى على فكرة دونية الأنثى وعدم أهليتها للانفلات من الوصاية الذكورية وممارسة سلطتها على ذلك¹، ويتجلى الخطاب الذكوري من خلال اللغة المكتوبة ويتعدى ما هو لفظي ليثبت على الحائط والشارع باعتباره فضاءً ذكورياً بامتياز في نظر الذكر.

إن طريقة عمل اللغة «تجعل الفكرة السائدة عنها وعن المنظومة الرمزية بوصفها وسيطاً للمصالحة والتصالح ووسيلة للتعايش السلمي، خلافاً لوسيلة العنف القائمة على المجابهة المباشرة، وعلى صعيد اللغة يفترض فينا أن نبادر بدلاً من تبادل ممارسة العنف إلى الحوار، إلى تبادل الكلمات، فمثل هذا التبادل حين يكون عدوانياً يستبق افتراض حد أدنى من الاعتراف بالطرف الآخر، وكثيراً ما يفهم ولوج باب اللغة وتجنب العنف بوصفهما وجهين للموقف نفسه، إذا تتعرض اللغة للتلوث بالعنف تحت تأثير أحوال مرضية طارئة تشوه المنطق المتجذر في عمق التواصل الرمزي»².

تطرح سامانثا أشيندن في السياق الفلسفي فكرة أوردها هابرماس كون أن «اللغة والعنف بالنسبة له متناقضان من حيث المبدأ، إذ يمكن استخدام اللغة بطريقة عنيفة لكن كتواصل مشوه فحسب، كما تحدث عن العنف الرمزي المعروف بحسبه بصفته تواصلاً مشوهاً بشكل نسقي، والذي يمثل انحرافاً طفيفاً للتواصل، ومن جهة أخرى كذلك يرى سامانثا أن الطريقة التي يمكن بها لعنف اللغة (التواصل المشوه)، كما يسميه أن يتحول إلى عنف عميق وذلك بالكشف عن أبعاد عدة، فهو

¹ - نور الدين كوسة، الدلالات الرمزية لحضور الجسد الأنثوي ضمن الخطاب الذكوري في المجتمع الجزائري، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 2، المجلد 4، العدد 1، 2011، ص 181.

² - سلافوي جيچيك، العنف تأملات في وجوه الستة، (تر: فاضل جكتر)، ط1، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2017، ص 65.

يعرفه (عنف اللغة) بطريقة واسعة جدا ويمعان عديدة فيرى مثلاً أنه يتميز بكونه اشتقاقياً وطفيلياً وثانويًا بالنسبة إلى الفعل التواصلية عامة¹.

قد تتدخل في الجانب الإعلامي وسائل الاتصال والإعلام والدعاية الإعلامية في «صناعة عنف اللغة أثناء تجاوزها وظيفتها الطبيعية في كونها تؤدي رسالة إعلامية إلى وسيلة إلى تمرير مقاصد وأهداف وتوجيه الأذواق والرغبات وتهميش فئات معنية والسيطرة على جمهورها»²، وإذا ما اعتبرنا أن الكتابات الحائطية إحدى وسائل الدعاية الإعلامية خصوصاً ما تعلق بفترة الانتخابات أو الإعلانات المكتوبة هنا وهناك على جدران ودعائم مختلفة، قد تساهم هي الأخرى في صناعة عنف اللغة من خلال تشويه الجدار سواء تعلق الأمر بالجدران ذات الملكية العامة أو الخاصة، مروراً بالكلمات والمفردات المكتوبة التي تحمل دلالات عنيفة في كثير من الأحيان إضافة إلى الرسومات والأشكال التي ترمز إلى العنف، وكذا الأخطاء اللغوية التي تتضمنها لغة الكتابة على الحائط والتي تعد هي الأخرى شكلاً من أشكال العنف على اللغة في حد ذاتها.

بالحديث عن الخطأ اللغوي في الكتابات الحائطية فإن «هذه الأخطاء قد تتحول إلى تشويه شكلي ومفزع لغوي قد يعبر عن واقع اجتماعي للأفراد وانعكاس لحالة ثقافية راهنة، وتعبير عن فوضى في الفضاء العمومي حيث تحمل هذه الخطابات المليئة بالأخطاء روحاً عنيفة، كما أن رمزية الخطأ في الكتابة والرسم على الجدران تكمن في قوة الرسالة الإنشائية والتعبيرية التي تضفيها

¹ - سامانثا أشيندن، العنف في فلسفة اللغة عند هابرماس، (تر: حسن أحجيج)، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، أنظر: <https://www.mominoun.com/articles/7596>

² - نعيمة بن الشريف، مرجع سابق، ص 88.

على الخطاب البصري»¹، فإضافة إلى الطمس الذي يعتري الفضاءات العمومية جراء تواجد العديد من الكتابات الحائطية إلا أن كلماتها لم تسلم من الأخطاء فينتقل التشويه إلى مرحلة أخرى، تشويه الحائط وتشويه اللغة نفسها لتصبح الممارسات هذه مشوهة بفعل لغة مشوهة هي الأخرى.

5. العنف وبعض المفاهيم المرتبطة:

5-1. العنف والكتابات الحائطية:

إن هناك جانباً من ظاهرة العنف والتي لا نستطيع تجاهلها وقد أضحت تشكل محك كبير في مجرى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمتمثل في التعبيرات والكتابات الحائطية التي قد تكون كتابات أو رسومات يعبر فيها فاعلوها عن آرائهم وعنفهم مفضلين التخفي عن الظهور معتمدين على تعبيراتهم الرمزية على الحائط، وقد تظهر الكثير من مظاهر العنف الرمزي من خلال «هذه التعبيرات التي تهدد البناء الاجتماعي، والتي تتخذ من الكتابة الحائطية فضاء فإنه يلحق الضرر بما توحى به دلالات الرموز، إضافة إلى ما تسببه هذه الرموز من إتلاف للمرافق المستخدمة فإنه تصل لحد المساس بالحياة العام، فاللجوء إلى الكتابات الحائطية يعد نوعاً من الإشهار اللامشروع اجتماعياً لما تسببه من فساد للمرافق وأذى للرأي العام حيث تتحول تلك الكتابات إلى حوار بين أطراف متصارعين كل طرف يحاول أن يوصل رأيه بكلمة أو برسمة بذيئة وعنيفة، كما توضح مدى الصراع الذي انتقل إلى الجدران وأبواب المنازل والأحياء والمرافق المختلطة»².

¹ -مصطفى البحري، الخطأ في خطاب الجدران من الخضوع إلى الإخضاع، دراسة أنثروبوفنية، الموقع الرسمي لمركز مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، www.mominoon.com ، تاريخ الولوج 16-11-2022.

² - أمال رادف، أشكال العنف في مدينة قسنطينة دراسة ميدانية بالمدينة الجديدة علي منجلي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، (غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2006-2007، ص ص 51-52.

يرجع انتشار الكتابات الحائطية وحضورها في الأحياء والشوارع خاصة الشعبية إلى عدة عوامل لعل أهمها «المضامين التعبيرية التي تحملها هذه الكتابات من انتقاد ورفض التهميش والسيطرة، أضف إلى ذلك جملة المشاكل التي كان يعيشها الشباب خاصة التهميش وتعتيدات المدينة والتي حالت دون اندماجهم في الوسط الاجتماعي، وظهور الانحرافات الاجتماعية في وسط أحياء المدينة خاصة الشعبية منها، كل ذلك ساعد على انتشار هذه الكتابات التي هي عبارة عن رسائل رمزية تواصلية يغلب عليها الطابع الاحتجاجي النقدي وكذلك الانطباعات الانفعالية»¹. حيث أن «الشارع بمختلف عناصره ومكوناته يمكن أن يقرأ قراءة نصية، يتقبله المار في شكل مقتطفات مجزأة خارج سياقها النصي التكاملي، ولا يرى ما يربط بين مفاصل الشارع من روابط وقوانين»²

يشير الدكتور أحمد شراك أن الكتابات الحائطية ليست «كلها جمال وبلاغة وإبداع، بل هناك كتابة رديئة ومبتذلة تعتمد على المباشرة والتشهير والإيذاء وعلى السطحية والتشخيص بدل التجريد، وعلى الشتم بدل النقد، وعلى الإشهار بدل نقد الإشهار، يحضر فيها الخطاب الشفوي أكثر من الكتابي وتحضر فيها اللغة الواطية بدل اللغة الراقية، فتصبح لغة تكرارية استنساخية بدل أن تكون إبداعية ومبدعة، كما تتميز هذه الكتابات في كثير من الأحيان بكونها إسراية صراخية لا تسمح لها صوت، وإن كان ينساب من بينها كلمات ورسومات موحشة باعتبارها تخرج من طقوس التماسس والأعراف الكتابية»³، الأمر الذي تم ملامسته في مجال الدراسة في معظم الحالات، حيث تبدو بعض «الكتابات عبثية وغير واعية، وخربشات وكلمات غير مفهومة تشبه الطلاسم

¹ -حسينة بورعدة، أشكال التعبيرات الثقافية، مقارنة نظرية استطلاعية لأغاني الرباب والغرافيتيا، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 7، العدد 2، جامعة مستغانم، ص 215.

² - محسن بوعزيزي، مرجع سابق ص 25.

³ - أحمد شراك، مرجع سابق، ص 171.

والإمضاءات، وأحياناً أخرى كلمات خادشة للحياء يتم إخفاؤها إذا كانت في الواجهات العامة، وتبقى مثلها مثل النفايات المنزلية في أماكن العزلة والظل والظلمة، تكتبها أيادي غير ماهرة ومستواها التعليمي ضعيف بأشكال وأحجام غير متناسقة، بالفحم أو الجبس أو الحجارة الحمراء، والدهان المتبقي في قاع اللعب الفارغة ويستعمل في كتابتها الأعواد والأياضي والقماش وأي شيء آخر».

5-2. العنف والاعتراب: إن الاعتراب حسب حليم بركات مفهوم «لا يزال غامضاً، ونادراً ما يتفق الباحثون في تحديده، لقد توصل عالم الاجتماع الأمريكي ملفين سيمين عام 1959 إلى تحديد خمسة مفاهيم مختلفة للاعتراب أطلق عليها تسميات: العجز (Powerlessness)، وفقدان المعايير (Normalessness)، وغياب المعاني (Meaninglessness)، والعزلة (Isolation)، وما يسمى بالاعتراب الذاتي (Self-estrangement)¹ لذلك نعتقد أن مثل هذه التسميات أقرب إلى مجال بحثنا وهي مجموعة بصفة موضوعية في مجال الدراسة في أحياء مدينة الشلف، إلى جانب مفاهيم أخرى ذكرها «الباحث الأمريكي أنتوني ديفيز هي التركيز على الذاتية (Egocentricity) وعدم الثقة (Distrust) والتشاؤم (Pessimism) والقلق (Anxiety) والإستياء (Resentment)²»، وهي نفسها المفاهيم التي يمكن أن تندرج في مجال دراسات تحت مسمى عام هو الاعتراب.

يواجه مفهوم الاعتراب جهد معرفي كثيف نظراً لتعدد هذا الأخير وتشعبه وتقاطعته مع ميادين معرفية كثيرة ومتنوعة، والثابت أن مصطلح الاعتراب «ظهر في اللاتينية كترجمة لبعض المصطلحات الإغريقية، والتي تشير لحالة الكائن خارج ذاته، ولهذا يشير الاعتراب إلى حالة

¹ - حليم بركات، الاعتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2006، ص10

² - المرجع نفسه، ص10

الإنسان الذي تجاوز ذاته»¹، والاعتراب كذلك «حالة قد يجد الإنسان نفسه فيها كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لقسوة الحياة عليه، هذه القسوة أو العنف قد تشعر الإنسان بعجزه وتقتل طموحه وتسد آفاق الحياة في وجهه وتحيله إلى حالة من العجز واليأس، وهنا يظهر رد الفعل الذي يمكن للمتلقي أن يبيده، وطريقة الاستجابة لهذه الضغوط»²، وهنا تتعدد طرق الاستجابة للضغط الذي يحمله الفرد داخل مجتمعه ومن طرائق ذلك لجوئه إلى الحائط الذي يتكأ عليه دائما للتعبير عن مكنونه والتنفيس عن هذه القسوة والعنف وتحويله على شكل كلمات وشعارات ورموز يريد إيصالها للآخرين قصد الانتباه لها، الأمر الذي يقوده إلى إنتاج كتابات حاملة للعنف الذي يعيش معه، «قبل أن ينفجر العنف فإنه يعاش كاملا، ويظهر ذلك في التعطش المفرط إلى القوة بكل مظاهرها عند الإنسان»³.

يرتبط مفهوم الاعتراب بمفهوم القهر عند الفرد، فنرى أنهما يتقاطعان في أطروحة الشعور بعد الانتماء إلى المجتمع، ليكون العنف بمثابة استجابة وفعل ثوري على كلاهما (الاعتراب والقهر)، فالإنسان المقهور «يخلق لديه انعدام الشعور بالانتماء للمجتمع والآخرين، مع ما يستتبعه من انعدام للشعور بالعدالة في نيل الحظوظ، هنا يولد لدى هذا الإنسان قلق التهديد من السلطة ومن الآخرين، فينهار ما يسمى بالانتماء الاجتماعي والمشاركة في المواطنة»⁴، وفي حالة الاعتراب عند الفرد فإنه يتعامل مع هذا الوضع عبر ثلاثة أشكال رئيسية: «قد تكون الاستجابة أو

¹ - خولة دبلة، الاعتراب من المنظور نفس اجتماعي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثلجي الأغواط، الجزائر، العدد 18، ماي 2016، ص19.

² - حسن إبراهيم أحمد، العنف من الطبيعة إلى الثقافة دراسة أفقية، ط1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، 2009، ص196.

³ - مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط9، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص194.

⁴ - المرجع نفسه، ص198.

رد الفعل في الانسحاب أو اللامواجهة على أمل أن يجد الإنسان سبيلا آخر يجنبه تحمل أوضاعه، وهذا هو الشكل الأول أو الرد الأول أما الثاني فقد يظهر من خلال الاستسلام والخضوع للأمر ومحاولة التكيف معه على الأقل ظاهريا، أي حتى ولو كان هناك رفض داخلي وقد يكون هذا لأنه بديل أو مهرب، أما الرد الثالث أو الاستجابة الثالثة فقد تكون بالواجهة والتمرد وقد تحيل إلى عمل ثوري فردي أو جماعي ضمن حركة منظمة¹.

يشار كذلك على أن «الاغتراب ليس نتيجة فحسب بل هو نتيجة وسبب في آن واحد، ويمكن الاغتراب في أصل العنف إذ تتداخل الظاهرتان في كينونة واحدة يتعانق فيها السبب بالنتيجة والشكل بالمضمون، مما يعني أنّ الشخصية الاغترابية شخصية قمعية، والشخصية القمعية شخصية اغترابية في الآن الواحد»²، فحين يصل الفرد إلى مرحلة الاغتراب هذه فإنه ينعزل عن المجتمع ككل فيغلق أبواب التضامن مع الآخرين نتيجة عدم وجود من يشاركه اهتماماته وآرائه فيبتعد هنا عن أي مشاركة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية مع أفراد آخرين، الأمر الذي يقوده إلى البحث عن منافذ أخرى يثبت عن طريقها ذاته فيلجأ أحيانا كثيرة إلى العنف على تعدد أشكاله من المادي إلى اللفظي إلى الكتابي الذي قد يظهر على الجدران فتراه يخريش ويخط أعنف الكلمات وأسقطها دلالة على غضبه وتنفيسا عن عزلته، فيصبح الجدار صوته الذي يصرخ به وقلمه الذي ينوب عنه ورأيه الذي يطرحه.

تكن علاقة العنف والاغتراب في «محاولة لتفسير العنف باغتراب الإنسان، فعنف الإنسان وعدوانيته ليس ضرورة حتمية وإنما هو استعداد يستخدمه الإنسان إما للهجوم أو الدفاع،

¹ - حسن إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص 196.

² - علي أسعد وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، بحث في إشكالية القمع التربوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد 2، 1998، ص 242.

وبذلك يحاول تفسير الاستجابة العدوانية استناداً إلى الاغتراب¹ هذا الأخير يعتبر دافعا قويا لممارسة العنف بأشكال متعددة لأن الاغتراب يولد القهر والحرمان فيبدأ حينها الإنسان بالتفكير في تعويض كل ذلك عبر أساليب معينة منها أسلوب العنف، «فنحن نستجيب عدوانيا عندما نكون محرومين على الدوام من حاجتنا الجسمية والعاطفية أو عندما نكون مهددين بهذا الحرمان، وإذا كنا على الدوام محرومين ومهددين على هذه الوتيرة فنحن نحيا في حالة عدوان»².

3-5. العنف والقيم: يعرف تالكوت بارسونز القيم في كتابه النسق الاجتماعي على أنها «عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معياراً أو مستوى للاختبار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف، فكأن القيم هنا تمثل معايير عامة وأساسية يتشارك فيها أعضاء المجتمع وتسهم في تحقيق التكامل وتنظيم أنشطة الأعضاء»³، وتربط القيم بمجموعة من المفاهيم لعل أهمها مفهوم العنف وثقافته حيث ترتبط ثقافة العنف «بمنظومة من القيم الاجتماعية التي تحرك السلوك وتوجهه نحو أهداف محددة ومعينة، وإن اختلاف الناس في ثقافة العنف يعود إلى درجة تأثر الفرد بمنظومة القيم الاجتماعية والثقافية، مع أن الإنسان لا يولد وهو مزود بالفطرة بهذه المنظومة الثقافية وإنما يكتسبها من ثلاث مصادر رئيسية: الأسرة (التنشئة الاجتماعية والتربية البيئية)، والمدرسة (النظام التربوي والتعليمي) وكذا السلطة (نظام الحكم)، والعائلة العربية وخاصة في الأوساط الشعبية تنشيء أطفالها وتربيتهم على أسس تسلطية قمعية تقوم على العقاب الجسدي والتخويف والتهديد والقهر النفسي مما يجعلهم متمردين أحيانا وخاضعين في أحيان أخرى، وتبدأ ممارسة التسلط على الأطفال منذ الصغر فالأب يلجأ إلى تخويف أطفاله بالعقاب إن لم يطيعوه

¹ - مراد وهبه، العنف والمقدس، ط1، دار الثقافة، مصر، 1996، ص106.

² - المرجع نفسه، ص106.

³ - نخبة من أساتذة علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د، س)، ص506.

طاعة تامة وإلا فبالعصا (العصا لمن عصا)، والأم تخوف أطفالها بالأب أو بأحد الحيوانات (اسكت جاء الكلب) أو بالجن والعفاريت، فهذه الأدوات التي تستخدم لقمع الأطفال تخنق فيهم روح النقد وتغلق أمامهم أبواب الحرية والتساؤل والحوار، وعليه فإن الكثير من المنحرفين والجانحين وحتى المجرمين هم من المتمردين على نظام العائلة الصارم، والذين عاشوا خبرات وتجارب تجعلهم محقّقين أو موضوعا للسخرية والقمع والقهر النفسي»¹.

5-4. العنف ضد المرأة: موضوع العنف ضد المرأة ظاهرة قديمة عرفت المرأة في

مجتمعات مختلفة وحضارات متعددة، والمتغير في الموضوع أنها أصبحت تمارس بأساليب ووسائل جديدة وفي أماكن متنوعة وبأشكال عديدة كالعنف الجسدي المادي والعنف اللفظي واللغوي والعنف الرمزي والعنف الجنسي الذي يحطم كيان المرأة، كل هذه الأشكال قد تكبر وتتغذى وتنتعش في بيئة مساعدة لها تمجد الذكر وتحط من المرأة، هذه البيئة التي تتوفر في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمجتمعات العربية والمجتمع الجزائري الذي ما يزال يكرس لمبدأ الهيمنة الذكورية التي جاء بتسميتها بيار بورديو، وهي هيمنة تتعلق بالذكر تمارس على المرأة بكل الأشكال والأساليب، هذه الهيمنة المنبثقة والمنشربة من التاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري وثقافته الشعبية والدينية التي أخذها الرجل واستعملها بما يناسبه ملمعا صورة الرجولة والفحولة لديه داخل المجتمع.

تتعرض النساء لكل أشكال العنف من خلال «الإقرار الرمزي لهذه الممارسات، يوحي بالعنف الرجالي المستمد من ثقافتنا الشعبية الذي حوّل الصورة النمطية للرجل العنيف أمام امرأة معنفة (ضعيفة، مستصغرة...) هي صورة قد تجعل الرجل العنيف منحرفا، غير متوازن نفسيا

¹ - إبراهيم حيدري، مرجع سابق، ص ص 97-98.

ومهمشا (اجتماعيا) فيتصل عنف الرجل على المرأة بالثقافة الأبوية القائمة على سيطرة الذكور على الإناث، وأفضليتهم المتعلقة بالجانب السوسيولوجي والمورفولوجي والرمزي، إذ يخلط ممارسيه بين العنف والتأديب لتحمل المرأة هنا وزر سلوكها فيتم تبرير العنف المطبق عليها بالسكوت، كونه حق شرعي للرجل عليها لا يحتاج للتبرير وفي كثير من الأحيان أمر مقبولا من النساء ذاتهن»¹، هذا العنف الذي تشكل في ذهن المرأة كأسلوب يلجأ إليه الرجل لحل الكثير من المشاكل مبادرا به في أشد لحظات التفاعل بينه وبين المرأة ، وما زاد من ترسيخه وحضوره في الحياة اليومية هو الدعم الذي يجده في المخيال الاجتماعي بين الأفراد.

تتطوي صورة المرأة في الأسرة الجزائرية «على المرأة الخاضعة، وأي خروج عن هذه الصورة يعتبر تمردا تعاقب عليه بممارسات تمثل العنف، فهي غير معلن عنها حيث تصبح فضاء يمارس فيه الرجل كل طقوسه المبرمجة في الدستور الذكوري»². كما نجد أن «المرأة وبالتحديد الزوجة مقصية من بنية المجتمع التقليدي، كأنها لا تمارس أي دور داخله، واهم ما يميز النظام الأبوي هو الرابطة الاجتماعية القوية المنتجة للمعايير والصناعة للقواعد وبالتالي يظهر كأنه لا يوجد في المجتمع إلا الرجال، ولا توجد روابط اجتماعية إلا بين الرجال»³، وفي ذات السياق فإنه لطالما تم تحديد تحرك المرأة ووضعها، يكون هذا داخل الفضاءات التي «تتميز عادة بالصمت والكبت

¹ - محمد زيان، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص 11. الرابط الإلكتروني

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/19184>

² -مراد سهلي، العنف القائم على أساس النوع الاجتماعي، تعنيف المرأة أنموذجا، ط1، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021، ص 70.

³ - يطو إيمان & جيلاني كويبي معاشو، العنف اللفظي للزوج على الزوجة، ورقة مقدمة لأعمال الملتقى العلمي الأول "قضايا المجتمع الجزائري المعاصر، مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية بالجزائر بجامعة الشلف، بالتنسيق مع مؤسسة حوافز للدراسات والأبحاث، ط1، دار فيتامين الفكر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 321.

المستورد من النظام الذكوري، فتعنف المرأة هنا سواء من قبل الأب أو الإخوة أو المرأة في حد ذاتها والتي تلبس ثوب الفحل في الممارسات ضد نفس الجنس»¹.

بخصوص المكان والفضاء العمومي بالنسبة لجنس الذكر والأنثى يلاحظ إدوارد ت هال: Edward T. Hall أن «نوعية المكان اجتماعية أكثر من كونها مادية، في المجتمعات العربية والإسلامية فهي تركز وتطبق على هوية الشخص الذي يتحرك فيه، فالمرأة مثلا دخيلة في مكان يمتلكه الرجال وتعرف على أنها عدو وليس لها الحق في استعمال المكان المخصص للجنس الآخر، والواقع أن مجرد وجودها في مكان لا يجب أن تكون فيه يشكل عملا هجوميا بما أنها تزعزع الاجتماعي»².

في علاقة الرجل بالمرأة وخصوصا الزوج وزوجته فإن "العنف الواقع على المرأة يأخذ شكل اللامبالاة في أبسط صوره ويعاش علنيا كل يوم، كقاعدة توجه سلوك الزوجين وتحدد مسارهما ضمن العلاقات السائدة بين الأقارب الآخرين، هذه اللامبالاة التي يتعامل بها الزوج مع زوجته إذ تمثل إحدى العناصر الأساسية التي توجه سلوك الأفراد داخل العائلة والتي تبين علاقتهم، فالزوجة أو المرأة ذات الشخصية القوية مدعوة إلى جعل ميزاتها في خدمة زوجها، لتبين أن رجولة هذا الأخير فوق كل اعتبار»³، والعنف الذي تتعرض له المرأة «يصبح روتينيا ويمارس بصور مختلفة ولكنها نمطية مؤكدا كذلك على أحقيته من وجهة الرجل حيث يقول أن هناك أحقية ممارسة العنف ضد النساء في أثناء التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة من خلال حجبهن وعزلهن داخل

¹ - مراد سهلي، مرجع سابق، ص73.

² - فاطمة المرزيسي، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، (تر: فاطمة الزهراء أزرويل)، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص159.

³ - محمد حمداوي، وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي، مجلة إنسانيات، المجلد 4، العدد 10، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2000، ص21.

الفضاء البيتي لحمايتهم، بالاعتماد على نظام السلطة الذي يقوم الرجال بتمريره عن طريق التحكم في وسائل الإنتاج المادية والفكرية، كما تعمل المرأة على إعادة إنتاجها وتأكيد ميدانها بفضل التربية والتعليم والتميط الجنسي باعتبارها أمرا طبيعيا¹، وبخصوص التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية ودورها في ترسيخ هذه المفاهيم ضد المرأة فإنها «أي التنشئة الاجتماعية من تحضر الذكر لأخذ مكانة ريادية مقارنة بالأنثى ومن شأن هذه التنشئة أن تطبع الأسرة والمجتمع بسمات النظام الأبوي وترسخ للسيطرة الذكورية، والنظام الاجتماعي هنا يشتغل بصورة رمزية وآلية للمصادقة على الهيمنة الذكورية»²، وترسيخها يبدأ في سن مبكرة عند الذكر ابتداء من الأسرة باعتبارها أول مؤسسة للتنشئة الاجتماعية مروراً بباقي المؤسسات، سمات هذه التنشئة التي تظهر في أشكال متعددة يعبر بها الفرد الذكر، فهذا الأخير هو من يمارس الكتابة الحائطية أكثر من الأنثى، على الرغم من أن الفاعل هو يبقى مجهولاً في الغالب، إلا أنه يمكن استنتاج جنس المحرر انطلاقاً من فحوى بعض الكتابات، عكس الأنثى والتي تكون موضوع هذه الكتابات في كثير من الأحيان، فالكتابة تكون موجهة لها سواء بالإساءة أو الشتم أو التشهير.

5-5. العنف والمدينة:

تشهد المدينة مظاهر للعنف أشد خطورة على الأفراد والجماعات من الفضاءات الأخرى بسبب غياب روح التضامن الاجتماعي بين أعضاء المجتمع فيها، فهذه الأخيرة تجمع الغرباء داخلها الأمر الذي يساهم في ظهور سلوكيات عنيفة مختلفة الأشكال بسبب ضعف الروابط الاجتماعية والثقافية بينهم، كما أن «هنالك رابطة قوية بين جرائم العنف والتحضر والمدينة، إضافة

¹ - محمد زيان، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، مرجع سابق، ص15.

² - علي عليوة، قراءة في العلاقات الأسرية داخل الأسرة الجزائرية في ظل التدين والهيمنة الذكورية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 9، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 2019، ص277.

إلى بعض الإحصائيات الجنائية التي تشير إلى أن أكثر جرائم العنف ترتكب في المدينة أكثر من البادية، فبنشأ هذا العنف نتيجة للصراع القائم بين متغيرات الحياة في المدينة، فظروف الحياة في المدينة تتفاعل مع غيرها من العوامل الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، وهذه مجتمعة ربما تسهم إسهاما مهما في الاندفاع نحو جريمة العنف»¹.

تتميز الحياة في المدينة بتعقدها وتنوع المشكلات التي تواجه الشباب بالتحديد، ومن مظاهر ذلك «تصدع القيم والمعايير بشكل ملفت، فالعنف والانحراف هي ظواهر حضرية بامتياز ترتبط بالمدينة وملازمة لها، بل إن أعداد الجرائم والانحرافات تتضاعف كلما انتقلنا من الوسط القروي إلى الوسط الحضري من جهة، وكلما زاد حجم المدينة من جهة أخرى. كما يتزايد العنف في المدينة كلما اشتدت الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية»²، وتأسيسا على ذلك فإن «المدينة والعنف أصبحت مصدر للاكتئاب، الغضب والنزفة بسبب الكثير من المشاكل والمظاهر، حيث يمكن إرجاع ذلك إلى عدم قدرة النظام الاجتماعي التقليدي على التحكم في عدائية المحيط الفيزيقي، هذا إضافة إلى نزوح الريفيين إلى الفضاء الحضري فارضين عليه مشاكل الاكتظاظ، ومن هنا يتولد عنف اجتماعي ناتج عن عدم توفر الفضاء الفيزيقي المريح للجميع»³، ونتيجة لكل هذا تصبح الجدران الخزان الذي يودع فيه بعض أفراد المدينة مشاكلهم وقضاياهم، فيتم إخراجها في عبارات وكلمات ورسومات تتعدد أشكالها تنفيسا عن كل ما تفرزه المستويات المعيشية في هذه الفضاءات وتأثيرها على نمط الحياة لديهم، بخصوص المدينة فإن «الأفراد المقيمين في الأحياء الفقيرة في

¹ - عباس أبو شامة عبد الحمود، مرجع سابق، ص 40.

² - عبد اللطيف كداي، الشباب والعنف الحضري: مقاربة سوسيولوجية، منشورات مجلة علوم التربية، عدد 48، دورية مغربية فصلية متخصصة، المغرب، 2011، ص ص 85-86.

³ - عادل بوطاجين، النظام الاجتماعي التقليدي كعائق أمام التغيير الاجتماعي، قراءة في كتاب سليمان مظهر العنف الاجتماعي في الجزائر، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد 4، العدد 2، جامعة الأغواط، الجزائر، 2022، ص ص 42-43.

ضواحي المدن يتعرضون لمستويات أعلى من خطر الجرائم والعنف قياساً على من يسكنون في الضواحي الأكثر رفاهية من والوجهة الاجتماعية والاقتصادية، زيادة على ذلك فإن مظاهر الانحراف والجرائم والعنف تكثر في المناطق التي تعاني حرماناً مادياً¹.

6. العنف الرمزي من خلال الكتابات الحائطية:

العنف الرمزي هو نوع من أنواع العنف يعتمد على استخدام الرموز والرموز الثقافية للتعبير عن القوة أو الاحتجاج، حيث يمثل وسيلة فعالة للتعبير عن الغضب والمطالب الاجتماعية دون استخدام العنف الفعلي. في هذا السياق، تتراوح أشكال العنف الرمزي من الكتابات الجدارية إلى الرسومات والشعارات المستخدمة في التحركات الاجتماعية.

يمارس العنف الرمزي داخل المجتمع باعتباره شكلاً من أشكال السيطرة والهيمنة والامتياز والنفوذ سواء من طرف المجتمع أو الدولة على الأفراد بالتواطؤ معهم، فحسب بورديو إن هذا النوع من العنف أشد خطورة من أشكال العنف الأخرى، فهو «عنف خفي ناعم هادئ قد يتخذ عدة أشكال داخل المجتمع منها شكله الخفي المرمز، ولعل من أهم أدواته التي يعتمد عليها نجد اللغة (في شكلها اللفظي أو المكتوب والخطي) والرموز والإشارات»، ومن أهم آليات استخدام اللغة في هذا الشأن ما تعلق بالكتابة على الحائط هذه الآلية التي تجمع الكلمة والرمز والإشارات معا على دعامة الحائط، وما يقربه من دعائم أخرى إذ يمكن أن يتشكل العنف الرمزي بين حروف هذه الكتابة الحائطية التي تجسد سلطة الثقافة البصرية، من خلال هيمنة الصورة والكتابة المتواجدة

¹ -مأمون طرييه، علم الاجتماع في الحياة اليومية، قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2011، ص114.

على الجدران والتي يواجهها الفرد، ويبصرها يوميا في الشارع والأحياء والطرق ومحطات النقل وأسوار المؤسسات على اختلاف أنواعها مؤثرة على جميع أجهزة الحياة في المجتمع.

للغة خصائص عديدة من بينها أنها «مهماز الفعل، وهي الأداة الفاعلة في تشكيل العنف الرمزي عند بورديو إذ يقر هذا أن اللغة كخطاب هي آلية خطيرة لا تقل خطورة عن باقي الآليات لممارسة عنف رمزي على وجه الخصوص، ويقول كذلك في هذا الصدد أن استعمال اللغة وبالخصوص الخطاب وكيفية إلقائه في ذات الوقت يتوقفان على المقام الاجتماعي للمتكلم أو الفاعل»¹.

يمكن القول أن العنف الرمزي «شكل من أشكال العنف القائمة على التعسف والأذى، وذلك عن طريق الكلام (اليومي). كما نراه من خلال النعوت والتسميات المضرة والمدمرة للآخر، وكذا عن طريق الكتابة واللغة والتربية، فهو في النهاية جملة من الاكراهات التي تمارس على الأفراد والمجتمع بطريقة فيها نوع للباقة واللفظ والخفاء، ولهذا النوع من السلوك فاعلية أكثر من العنف المادي حيث تكمن خطورته في كونه غير مرئي وخفي، حيث يعتمد على وسائل غير مباشرة»²، فعنف الكتابة الحائطية على الرغم من أنه يحيا كل يوم على جدران المدن حاملا النعوت القبيحة للأفراد والمؤسسات، وعبارات الإساءة، إلا أنه يتعايش معه على أساس أنه دائم الحضور، وهو جواب أحد سكان المدينة عندما سألته: لم لا يتم محو وإزالة هذه الكتابات على الجدران؟ ليرد بابتسامة ساخرة: (هذي راهي كل يوما هنا، والفناهم صايي، يكتبوها ناس ما يحشموش ومش مربيين)، أي أن هذه الكتابات متواجدة كل يوم في هذه الأماكن، واعتدنا عليها،

¹ - كيلوده كينه & البشير غانية، العنف الرمزي، دراسة نظرية في مفهومه وآلياته، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 02، 2022، ص197.

² - جمال معتوق، مرجع سابق، ص267.

حيث يكتبها أشخاص عديمي التربية، وبصرف النظر عن إنكارها من طرف هذا الفرد إلا أن حضورها اليومي جعلها مقبولة لحدّ ما مع أنها تحمل دلالات عنيفة لغوية ورمزية، ومع ذلك «تعودنا أن نرى في المدينة ما شيد فيها من بناءات وعمارات، دون أن نقوم بعمل بنائي من درجة ثانية يشيد أنسجتها الرمزية، وما تراكم فيها من علامات لها تاريخ وجغرافيا وأصول اجتماعية، ولعل العلامة أخطر سكان المدينة، وأكثر مقاومة للزوال والنسيان»¹

يمكن للعنف أن يتحول في نظر المجتمع إلى «ممارسة اجتماعية شبه عادية، بل ومطلوبة حيث تقوم الجهة التي تمارسها بإحداث العنف تجاه الآخرين دون شعور بأن ذلك يحمل الكثير من الخطورة. كما كانت تصور قسوة المعلمين في الكتاتيب والمدارس على تلاميذهم حيث كان المجتمع وأهالي التلاميذ يجرون على رضاهم بهذا العنف وتشجيعهم له من أجل أن يتعلم الأولاد، ومن ذلك أيضا توافق المجتمع على نبذ بعض الأفراد الذين خالفوا بعض عادات وأعراف المجتمع دون تدقيق بالظروف التي أدت إلى ذلك، لأن المجتمعات تحيا بالعادات أكثر مما تحيا بالقوانين، وترضى العدوان على قوانينها أكثر مما ترضى الخروج على عاداتها وتقاليدها»².

إن العنف الرمزي هو «عنف لطيف ولين وغير محسوس يفعل فعله في الناس بشكل مستمر ومتدفق دون أن ينقطع، على خلاف العنف الجسدي أو المادي مثلا، ذلك الذي يمكن أن يحصل له انقطاعا مفاجئا، فكل أنواع العنف هي أنواع يحدث فيها انقطاعات على مستوى الأفراد أو المجتمعات، لكن العنف الرمزي دون غيره عنف مستمر ولا ينقطع، بل يزد تدفقا كما عبر عن

¹ - محسن بوعزيزي، مرجع سابق، ص 30.

² - حسن إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص 25.

ذلك بورديو نفسه»¹، وهو بالضبط ما نلاحظه خلال الكتابات العنيفة والمسيئة التي تحملها الجدران وتزداد يوما بعد يوم دون أن يأبه بها الأفراد بالرغم من أنها تعيش معهم وبينهم، وعلى جدران منازلهم وحيطان المؤسسات العمومية وفي الشوارع والأحياء السكنية.

إن اللغة «كخطاب هي آلية لا تقل خطورة عن باقي الآليات لممارسة عنف رمزي على وجه الخصوص، فيقول بهذا الخصوص أن استعمال اللغة وأعني فحوى الخطاب وكيفية إلقائه في ذات الوقت يتوقفان على المقام الاجتماعي للمتكلم»²، وخلاصة القول أن العنف الرمزي يأخذ صورة سلطة تفرض نفسها على نسق الأفراد، أي (سلطة الحضور الدائم لهذه الكتابات الحائطية في الحياة المدنية)، وهذه السلطة تفرض نظاما من الدلالات والقيم والمعاني الرمزية (وكل ما يتعلق بإنتاجات الأفراد على الحائط). كما يأخذ العنف الرمزي صورته المشروعة بقدرته على إخفاء مقاصده وعلاقات القوة (وهي مقاصد مخفية خلف معاني ودلالات الكتابات الحائطية والتي على الرغم من كونها مقاصد عنيفة ومضرة إلا أنها تتخذ ثوب المشروع والمقبول والمتاح يوميا)، وأخيرا يأخذ العنف الرمزي صورة خفية حيث يتغلغل تأثيره في وعي ضحاياه بصورة عفوية دون إحساس منهم بإكراهات العنف التقليدية (وهو ما يرسمه وجود الكتابة الحائطية من خلال طبع صورة خفية في ذهن المتلقي لهذا الكم من الكتابات والرسومات والرموز يوميا على الحائط وإبصارها بشكل متكرر ما يترك تأثيره في وعي الأفراد من خلال جملة من الإكراهات)³.

¹ - أنظر: محمد قروق كركيش، العنف الرمزي: نحو تفكيك استراتيجي للسلطة والقهر والهيمنة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 4802، تاريخ الولوج 2022/10/22

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=467430>

² - محمد قروق كركيش، المرجع نفسه.

³ - ريمة زنائرة، وناسي سهام، العنف الرمزي والشباب الجزائري، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 04، العدد 01، جامعة جيجل، 2021، ص ص 211-212.

خلاصة:

تعتبر كتابات الحائطية، كجزء من العنف الرمزي، ووسيلة شائعة للتعبير عن الغضب والمطالب الاجتماعية، حيث تحمل رسائل قوية تعبر عن الظروف الاجتماعية والسياسية، وتعكس تجارب الفرد والمجتمع بشكل مباشر. كما توظف الرموز والصور البليغة لنقل رسائلها، وقد تتنوع بين التحفيز والتحريض والتوعية.

يُعتبر الجدار الحائط مساحة للتعبير غير المنظمة والمتاحة للجميع، مما يجعله مكاناً مثالياً للتعبير عن الغضب والمطالب الاجتماعية بشكل مباشر ورمزي. وبالتالي تساهم الكتابات الحائطية في إبراز قضايا مهمة وتسلط الضوء على التحولات الاجتماعية، وتسهم بالضرورة في تشكيل الوعي الجماعي والتغيير الاجتماعي. في النهاية، تعتبر الكتابات الحائطية تعبيراً مهماً للمقهورين والمهمشين، وتمثل صوتاً لمن لا يمتلكون وسائل التعبير التقليدية.

الفصل الرابع: دراسة ميدانية حول الكتابات الحائطية في مدينة الشلف

1. التعريف بمجال الدراسة
2. عرض البيانات
3. نماذج من الكتابات الحائطية في مجال الدراسة
4. خطابات العنف في الكتابة الحائطية
5. العنف ضد المرأة من خلال الكتابات الحائطية
6. نماذج من الكتابات الحائطية والقضايا الاجتماعية
7. مناقشة النتائج

1. التعريف بمجال الدراسة:

1-1. موقع الدراسة:

الموقع الجغرافي:

تقع ولاية الشلف (أنظر خريطة الشلف في الملحق رقم 1) في شمال الجزائري غرب العاصمة على بعد 208 كلم يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، من الجنوب ولاية تيسمسيلت، من الشرق ولايتي عين الدفلى و تيبازة و من الغرب ولايتي غليزان و مستغانم.

المساحة الوضعية الديمغرافية: يبلغ عدد سكان الولاية 1098166 نسمة، وتقدر مساحتها الإجمالية بـ 4074 كلم². أما **الوضعية الجغرافية من (تضاريس، ومناخ، الأمطار، والحرارة)** فتتأثر منطقة بالحركات التكتونية المسببة للزلازل، حيث يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتميز بالحرارة والرطوبة صيفا والاعتدال شتاء وتتخللها **تضاريس** حسب أربع مناطق: المنطقة الشمالية: تضم مرتفعات جبال الظهرة. والمنطقة الجنوبية: تضم سلسلة جبال الونشريس. المنطقة الوسطى: تتميز بسهولها الخصبة وتتمثل في سهل الشلف الذي يمتد إلى غاية ولاية غليزان. ثم المنطقة الساحلية كما يمتد الشريط الساحلي لولاية الشلف على مسافة 120 كلم. و يقدر معدل تساقط الأمطار السنوي بـ 40.06 ملم/م³.

تبلغ درجة الحرارة في الولاية ذروتها في فصل الصيف أثناء شهر أوت و تقدر بـ 38 ° د أو تفوقها أما أدنى درجة للحرارة في فصل الشتاء فتقدر بـ 6.1 ° د.

2-1. مكان إجراء الدراسة:

تم إجراء الدراسة كما سبق ذكره في أهم أحياء مدينة الشلف، (أنظر الملاحق رقم 2 و 3 و 4)، وذلك ثلاث اعتبارات هامة تتعلق بالتنوع من حيث التخطيط الحضري، بمباني مشيدة في عدة صيغ (سكن اجتماعي، سكن منفرد، سكن تشاركي (أحواش)، فيلات..)، وثانيا رغبة سكانها في التعبير عن عللهم ومشاكلهم من خلال الكلمات المنتجة في شكل كتابة حضرية وثالثا التنوع من الناحية الاقتصادية (طبقات اجتماعية فقيرة ومتوسطة وميسورة..). حيث تتمايز المشكلات الاجتماعية: الفقر والبطالة، التسول، الأمراض الاجتماعية الاعتباريين السابقين.

2. عرض البيانات

2.1. الكتابات الحائطية في مجال البحث:

مواضيع الكتابات الحائطية	عدد الصور	%
الكتابات الاجتماعية اليومية	53	30.64
كتابات مخالفة للقانون (تشهير، قذف، ابتزاز، تهديد، سب الدين،...)	38	21.97
كتابات معاني حميمة وجنسية	43	24.85
كتابات ذات طابع سياسي	39	22.54
المجموع	173	100

الجدول رقم (01)

نلاحظ من خلال الجدول (01) أن أعلى نسبة قدرّت بـ 35.33%، وتمثل الكتابات ذات المواضيع الاجتماعية، تليها نسبة 28.66% للكتابات ذات معنى حميمي وجنسي، ثم نسبة 28% حول كتابات الاحتجاج والتنديد، وأخيرا نسبة 8% للكتابات والرسومات الفنية.

تبين القراءة الكيفية للكتابات المتحصل عليها في مجال الدراسة، وتخص الكتابات الاجتماعية اليومية مرتبة أولى على اعتبار أن الأفراد يتوجهون نحو ممارستها تعليقا على المشاكل الاجتماعية التي يعيشون بها، وغالبا ما تعبر عن الواقع والمستوى المعيشي في المجتمعات مجسدة صراعا ذاتيا للأفراد تعكسه الجدران على سطوحها فيتم تبنيها كواجهة لإظهار مطالبهم، ومشاكلهم وآرائهم، فالقنوات الرسمية لا يمكنها حمل هموم هؤلاء بالقدر الذي يريدون وبمزيد من المصادقية التي يريدونها أن تصل، فهذه

القنوات كثيرا ما تكون موجهة ناقلة مشاكل ورسائل مبتورة إلى الواقع عكس الجدران التي يستطيع الأفراد التعبير من خلالها دون أن يتواجدوا تحت عباءة الرسمي وتوجهاته، وبالتالي كانت هذه الحوائط معبرة عن المحمول الاجتماعي كما هو عليه، معرية كل ما يتعلق بهؤلاء من خلال التعبيرات الاجتماعية التي يتركونها على سطوح هذه الجدران. أنظر الملحق رقم 15.

شكلت معظم الكتابات في جانب منها طبيعة «الفعل التعبيري بجماله وقبحه، والإفصاح عن المكونات الداخلية لخطاب كتابي لا مشروع اجتماعيا، والذي يتخذ من الجدران وما يمكن أن يحلّ محلها مكاناً للتعبير، ويتضمن كُلاً ما من شأنه أن يلحق ضرراً معنوياً أو مادياً بالمرافق والأشخاص والمجتمع كلاً، ويكون نتاج دوافع عديدة ذاتية واجتماعية»¹، فالضرر الاجتماعي الذي يلحق بالفرد وارتباط الأفراد بمجتمعاتهم وما يتوقون إليه يجعل لديهم الرغبة في التعبير بطريقة يفهمونها وتأخذ مناحي عديدة، فهي لا تزال على موقفها دائما في دعم هؤلاء وإيصال أصواتهم ومشاكلهم الاجتماعية والتحدث عن مختلف القضايا والمسائل الاجتماعية التي تخصهم دون التعبير عنها شفويا.

مثلت الكتابات ذات المعاني الحميمة والجنسية، مرتبة ثانية، وتشملت الدلالات والإيحاءات والرسومات المحملة بالرسائل العاطفية والنوايا الجنسية، والتي تدل على الكبت النفسي والاجتماعي، الذي يتعايش معه الفاعلون، ويتم التعبير من الكتابة الجنسية، فهي مرغوبة ممنوعة، وكل هذه التعبيرات تصنف في خانة كتابات الهامش خصوصا على مستويات اجتماعية وأخلاقية وسياسية، ويقع التصنيف من منظور الرقابة والإقصاء والكتابة التي تصطدم مع وسائل النظم الاجتماعية (النظام الأسرية، النظام الديني، النظام التربوي، النظام الاقتصادي... وغيرها).

¹-بدير محمد & بن عزة أحمد، التصوير الجداري وآليات الممارسة الإنسانية في الوطن العربي، قراءة في البعد الجمالي والسوسيولوجي، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 15، ألمانيا، 2020، ص ص51-52.

كان هذا النوع من الكتابات معروفا في المدن بالكتابات الجدارية «التي تعبر عن آراء أصحابها السياسية والاجتماعية وعن مكبوتاتهم وعقدهم، وبطبيعة الحال فإن منظور هذا التطور يتأسس من خروج هذا الأدب (الهامش) عن المؤلف وعدم انضباطه وخضوعه للمعايير التي وضعها المركز»¹، ومن جهة أخرى يقع هذا النوع من الكتابات تحت مسمى الثقافة التحتية Sous Culture، لكن موقعها ضمن الكتابة على الحائط جعل أحمد شراك² يعطيها مفهوما آخر كونها: تلك الثقافة غير الممأسسة في المجتمع، وهي شفوية في الغالب، تنتشط في الظل والهامش غير معترف بها باعتبارها منحلة، أي الثقافة المتواضع عليها اجتماعيا كأنماط السلوك والقيم والأخلاق والكلام، وأكبر مثال لهذه الثقافة التحتية يتجلى في مستوى اللغة المستعملة في التداول، ورغم هذا التوصيف إلا أن لها تأثير على النفوس، والثقافة التحتية تعبر عنها الكتابات الحائطية بل وتعكس في ما يسمى غرافيتيا الشتيمة، (الألفاظ البذيئة، كلام نابي منحل وخادشا للحياء...). أنظر الملحق رقم 16.

أكد أحمد شراك مرة أخرى أن «الثقافة التحتية لها مظهرات عديدة، فعلى صعيد الخطاب مثلا يتميز لسانها بالميوعة والابتذال، وذات لسان بذئ، كما وصفها بالممارسات السلوكية والقيمية التي عادة ما يلفظها المجتمع والتي تروج في الشارع العام»³، وتقع هذه الثقافة أيضا ضمن التعبيرات البروغرافية الجنسية خصوصا وارتباطها بالكتابات الحائطية أين تفرز إحياءات قوية التأثير للمتلقي وما تحمله من تصوير يساهم في إيذائه، على اعتبار أن الكتابة على الجدران بصريا هي صورة ذات تأثير، ذلك أن «المثيرات البصرية والإحياءات الدلالية المتوافرة في خطاب الصورة أكثر تأثيرا وإثارة من المثيرات الدلالية

¹ - جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوعية التهميش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، محاضرة إلكترونية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2017، الرابط:

<https://elearning.univ-msila.dz/moodle> تاريخ الولوج 2023/06/12.

² - أحمد شراك، مرجع سابق، ص 346-347.

³ - المرجع السابق، ص 130.

التي يحتويها الخطاب المقروء أو المسموع، كما أن التلقي بواسطة العين التي تشاهد التجسيم لفكرة أو حدث أكثر تأثيراً في الوعي والإدراك وأكثر رسوخاً في اللاوعي من تلقي النص المقروء أو المسموع»¹.

بخصوص الكتابات ذات الطابع السياسي، فقد كانت في المرتبة الثالثة من جملة الكتابات في مجال الدراسة، حيث تظهر لعدة أهداف يسعى من خلال الأفراد للتعبير عن القضايا السياسية مستعملين منطق الاحتجاج والنقد السياسي أو لدفع الآخرين للممارسة واجباتهم السياسية والتعبير عن أفكارهم في اختيار ممثليهم، حيث تكثر في الحملات الانتخابية، فالجدران «أصبحت أحد أكثر الوسائط التواصلية جاذبية للشباب إلى حد الشغف، لأنها تتيح أقصى حرية للتعبير، إذ تحولت الرسوم والنقوش الجدارية إلى الصوت الأكثر جرأة للثوار، والنوع الأكثر آنية وتثويراً من بين أنواع الخطاب الثوري»²، ولعل مظاهر الاحتجاج بواسطة دعائم الحوائط وما يقربها تنطلق من مظاهر أخرى تتمثل في الإقصاء والتهميش لهؤلاء الأفراد لتصبح الكثير من التعبيرات الكتابية، حيث ينكشف من خلال ظاهرة الكتابة الحائطية أن «الجدار يمثل مساحة حرية يثبت فيها الممارس، الغارفار ذاته في ظل سياسات عرجاء لا تتقن إلا فن الإقصاء والتهميش، مساحة يتملص فيها من رقابة بعض تلك القيم الاجتماعية العقيمة»³، وعادة ما تتكاثر هذه الكتابات أثناء الحملات الانتخابية، حيث تصير الجدران مساحاً للدعاية والتشهير والتعريف بالأحزاب أو البرامج السياسية (انتخبوا المترشح فلان، قاطع أو مع المقاطعة، ماكنش انتخابات مع العصابات، أنا مع رئيسي..). أنظر الملحق رقم 17.

¹ - عمر عتيق، القدس في صورة الكاريكاتير، دراسة أسلوبية على الثقافة البصرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 8، 2010، ص 238.

² - عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2013، ص 48.

³ - فتيحة لبني، مرجع سابق، ص 398.

أخذت نسبة الكتابات غير القانونية نسبة أقل نوعاً ما والسبب في نظرنا - لخطورتها الكبيرة وتعرضها للمحو مباشرة من طرف السلطات المحلية أو من طرف أصحاب المساكن، إلا أن هذا لا ينفي عدم تواجد هذه الخطابات التي تقودنا إلى سلوكيات غير مقبولة قانونياً، لأن القانون يقر عقوبات صريحة لمرتكبي هذه الأفعال والتي تحددت في جرائم مختلفة مثل: جريمة التهديد والذي يعرفه فقهاء القانون الجنائي على أنه أي التهديد «كل قول أو كتابة من شأنه إلقاء الرعب والخوف في قلب الشخص المهدد من ارتكاب الجاني للجريمة ضد الشخص أو إفشاء أسرار أو نسبة أمور مخدشة للشرف»¹، وبالتالي فالكتابة الحائطية إذا ما تضمنت عبارات تهديد صريحة أو ضمنية تدخل في حيز الكتابة التي تلقى رعباً وخوفاً في نفس المعني سواء كان فرداً أو جماعة. أنظر الملحق رقم 18.

تمثل جريمة التهديد «سلوكاً إجرامياً يصدر من الجاني سواء بالقول أو الكتابة أو فعل آخر كنشر بيانات الضحية»²، وتعد مسألة نشر بيانات فرد ما على الحائط ضمن الابتزاز والتشهير التي من شأنها إلحاق أذى والضرر النفسي والمعنوي بصاحبها، وتعد سلوكاً غير قانوني، والتهديد جريمة يعاقب عليها القانون الجزائري من خلاص نص المادة 284 من قانون العقوبات الجزائري حيث أن «كل من هدد بارتكاب جرائم القتل أو السجن أو أي اعتداء آخر على الأشخاص مما يعاقب عليها بالإعدام أو السجن المؤبد وكان ذلك بمحرر موقع أو غير موقع عليه، أو بصور أو رموز أو شعارات يعاقب بالحبس من سنتين إلى عشر سنوات وبغرامة من 500 إلى 5.000 دج، إذا كان التهديد مصحوباً بأمر بإيداع مبلغ

¹ -مريم عراب، جريمة التهديد والابتزاز الإلكتروني، مجلة الدراسات القانونية المقارنة، مجلد 7، عدد، جامعة الشلف، الجزائر، 2021، ص ص 1207-1208.

² - المرجع نفسه، ص 1208.

من النقود في مكان معين أو بتنفيذ أي شرط آخر»¹، ويندرج ضمنها كتابات تتدد بالرشوة والمحسوبية والإبتزاز وسب النظام والدين الإسلامي والإخلال بالنظام العام وإضعاف معنويات الجيش.

2-2. موضوعات العنف في الكتابات الحائطية:

فئة الموضوع : مواضيع العنف في الكتابة الحائطية في مجال الدراسة

وحدات التحليل	العدد	%
كتابات حول التعبيرات الجنسية	69	39.89
كتابات مخالفة للقانون (تشهير، ابتزاز، قذف..)	48	27.74
كتابات عنف تجاه المرأة	37	21.39
كتابات حول إقصاء الآخر والعنصرية	19	10.98
المجموع	173	100

الجدول رقم (02)

نلاحظ من خلال عينة البحث أن مواضيع العنف التي تضمّنتها الكتابات الحائطية محل الدراسة وردت بنسبة 39.89% المعبر عن التعبيرات الجنسية، وثانيا ما نسبته 27.74% متعلق بكتابات مخالفة للقانونية (تشهير، ابتزاز، قذف..)، ثم تلتها نسبة 21.39% حول قضايا المرأة والعنف تجاهها، وأخيرا نسبة 10.98% المواضيع المتعلقة بالعنصرية والإقصاء الاجتماعي.

تقع السلوكيات المرتبطة ب العنف وهي مجمل «الأفعال العدوانية المباشرة وغير المباشرة الرسمية وغير الرسمية المعبر عنها شفويا وكتابيا ومن خلال الإشارات والتي من شأنها أن تلحق الأذى بالآخرين

¹ - قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 284، الصيغة المعدلة لعام 2012.

في شخصهم أو كرامتهم ومشاعرهم وعلاقاتهم مع الآخرين»¹، حيث يحاول الفاعلون إسقاط مفاهيم العنف والعدوان والقتل ضمنيا ورمزيا على الحائط ممارسين بذلك عنفا رمزيا موجها للمارة ومستعملي هذه الأماكن العامة فتلحق بهم أذى في شخصهم وكرامتهم أحيانا من خلال عملية التلقي وما يزيد ذلك هو بقاء تلك الكتابات فترة من الزمن على الحائط يرضخ المتلقي لها مرارا وتكرارا، فكثيرا ما تتعلق هذه الكتابات بعصابات أحياء قد تعرض المتطوع لمحوها أو طمسها للخطر إذا ما شوهده وهو يقوم بذلك وهنا فالتخلي عن فكرة عملية محوها يكون الأنسب للأفراد في اعتقادهم، خوفا من تعرضهم للملاحقة والتضييق أو التعنيف من طرف أشخاص يدعون أن هذه الأماكن ملك عمومي يحق لهم التصرف والكتابة عليها مثال كتابات التي «تمجد النوادي الرياضية ويكتبها ألتراس بولينا (معروف في الشلف)»، أنظر المحلق رقم 19 ، حيث يذكر مبحث وهو أحد «سكان حي الحرية (الفيرم سابقا) محاولة تعرضه للتعنيف من أحد محبي فريق جمعية الشلف (Aso) بقوله إذا كنت لا تعرف ماذا يمثل هذا الشعار الذي تريد محوه فلا تقترب منه»، وما كان منه سوى التراجع، ومن المفارقة يقول المبحث «شعرت أنني أنا المخرب وليس هو».

2-2-1. كتابات حول التعبيرات الجنسية:

يتضح أن العنف القائم على التعبيرات الجنسية أخذ أكبر نسبة في مجمل الكتابات والرسومات التي تعبر وتحمل عنفا رمزيا، وهذا لم يأت من فراغ، «فالكتابات الحائطية كسلوك تعبيرية يستخدم صاحبها التدوين على الحائط كنوع من البوح بمشاعر الحب التي لا تقتصر على طريقة واحدة»²، فالكاتب كطريقة لإشهار

¹ -ناصر قاسيمي، مصطلحات أساسية في علم اجتماع الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص177.

² -شميسة خلوي، الحب والجمال في الكتابات الجدارية وأبعادهما التراثية في الأدب الشعبي، نماذج جزائرية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، المجلد 10، العدد4، 2021، ص32.

مشاعر دفينية أو التعبير عن شعور ما تجاه شخص سواء ذكر أو أنثى، وقد يعمد الكاتب إلى التشهير بإحدى الفتيات التي لا تبادله العواطف كما يقول مبحوث «يحب يحرقها أمام أهلها أو سكان الحي الذي تسكن فيه باه ما تنخطب ما تتزوج وتبقى غير ليه» أي التشهير بها وإحراجها، بحيث بإمكانه تعطيلها زواجها أو إفشال خطبتها من شخص آخر غيره.

تظهر هذه التعبيرات أحيانا أخرى على شكل رسومات ورموز تختزل مفاهيم متعلقة بالحب والإعجاب والرغبات الممنوعة، فمثلاً تأخذ أشكال متنوعة (قلوب وأسهم أو رسومات لوجه أنثوي)، أو التمادي في تصوير جسد امرأة عار أو أجزاء منه أو أعضاء مثيرة (الأثداء والأرداف أو الأعضاء التناسلية كالمهبل أو القضيب)، وهي «مواد تستهدف الإثارة الجنسية المباشرة، كما هي في الصور العارية التي تظهر الأعضاء الجنسية»¹، غير أنها «تتعرض للمحو في الكثير من المرات وتعاد كتابتها مرة أخرى، وسبق وأبلغنا بعض السكان في حي الحرية (الفيرم سابقا)، يستعمل فيها الدهان عن طريق البخاخ أو أقلام اللباد لسرعة كتابتها وفرار صاحبها عن الأنظار».

تتطرق الكتابات لطابو الجنس فإنَّ «كتابته تعد كتابة إيروتيكية، وحين يندفع الكاتب إلى أبعد من ذلك، أي إلى المستوى الإباحي فتعد كتابته كتابة بورنوغرافية والإيروتيكية تتعلق في مجملها بكل التعابير الفاحشة والشتائم وأغلبها يستهدف الأعضاء التناسلية، وبالأخص المتعلقة بالأمهات»²، التعبيرات المتعلقة بالجنس عند الأشخاص في انتقالها إلى الحائط تعتبر أحد أشكال عمليات محاولة تفريغ للطاقة الجنسية أيضاً، «فهذه الطاقة في الإنسان كان رجلاً أو امرأة طاقة ضخمة جبارة وليس هناك من تعبير عن نقص الإنسان ورغبته في الكمال أبلغ من الرغبة الجنسية، فالجوع الجنسي ينشأ عن رغبة الجسم والعقل والنفس

¹-أنظر: أحمد سعداوي، عن البورنوغرافيا والإيروتيكا والأدب والفن، تاريخ الولوج 2023/05/27. <https://www.almodon.com>

²- محمد زيان وآخرون، مرجع سابق، ص64.

في البحث عن شيء يلبي احتياجاتها جميعاً، هذه الغريزة القوية قادرة على تحريك كل ملكات الإنسان في الخيال والابتكار، فالطاقة الجنسية في الإنسان تمتد بطبيعتها إلى أعلى قمة في نفسه وروحه وكيانه»¹، وهذا النوع من الكتابات نابع أيضاً من الرغبة الجنسية عند الفرد والتي قال عنها كولون ويلسو أنها «تختلف عن باقي الرغبات الإنسانية في ناحية واحدة هامة، إنها أقصر السبل إلى تصريف التوتر وتعميق الوعي، فهي ترضي وتلاؤم غاية الإنسان وطبيعته»².

تفصح الكتابة الجنسية المكبوتات، و«الدخول إلى المحذور وهناك الممنوع وكشف المقموع مما سيرسخ ويثبت المتداول الذي كان سرا وجعله علناً»³، فهي تظهر على سطوح الجدران مدة من الزمن، وفي الشوارع أمام المارة ما يجعلها تنتقل من السر إلى العلن، ومن المكبوت إلى المتداول، ومن الممنوع إلى المقبول ضمناً، فالشتائم والكلمات الفاحشة يتم نقلها من شكلها اللفظي إلى الكتابي وهذا الأخير أخطر الأشكال لأنها باقية على الحائط صارخة في وجه كل من يقرأها ثابتة وواضحة، فهذه الشتائم في المجتمعات المغاربية والجزائر. كما قال عنها مالك شبل «أنها جزء اللغة المشتركة الزاخرة بالإحياءات الجنسية من كل نوع، فالكلمات الفاحشة تكون موجهة للأنثى والشتيمة للرجل أو الذكر بشكل عام، لذا ينظر للشتائم والكلمات الفاحشة باعتبارها جزء لا يتجزأ من التصرفات المشينة ولذلك فهي تكتب بدرجات متفاوتة، فكل أشكال الكلام الفاحش المغاربي يستهدف الأعضاء التناسلية وعلاقات القرابة»⁴.

¹ -نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1990، ص45.

² -كولون ويلسون، أصول الدافع الجنسي، (تر: يوسف شرورو سمير)، ط3، منشورات دار الآداب، لبنان، 1986، ص29.

³ -أسامة غانم، سرديات الجسد والايروتيكا، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2019، ص22.

⁴ -مالك شبل، الجنس والحريم، روح السراري، السلوكيات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، (تر: عبد الله زارو)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص62.

ما يقع على الكلام الفاحش يقع على «الكتابة الفاحشة فما يلفظ يعاد إنتاجه على الحائط، وأحيانا بدرجات أعلى من خلال الرموز والرسومات الداعمة لهذه العبارات، وفي اتجاه آخر يمكن أن ترتبط مسألة الكتابات البرونوغرافية بالعنف على اعتبار الإباحية *Pronography* هي إحدى ظواهر الثقافة الجماهيرية في القرن العشرين من خلال تصوير المشاهد الجنسية في الأدب والرسم والكتابة الحائطية كذلك، خارج إطار الأخلاق والجمال، وكثيرا ما يؤكد الباحثون أن الإباحية هي ذلك التصوير للجنس المرتبط بالدعاية والقسوة والعنف، مع عرض مختلف الانحرافات والشذوذ»¹، فالكتابة والتصوير الإباحي على الجدران غرضه الشتم والتعنيف والعدوان على الآخرين، إذ لا يمكن أن يكون تصويرا فنيا ولا يرقى إلى ذلك من خلال الرسومات التي صادفناها، فاللمسة الفنية تختف كثيرا عن تلك التي الخريشات والرسومات التي يقع إنتاجها في دائرة السب والتشهير والإيذاء والعنف، أنظر الملحق رقم 20.

تشكل الكتابة الحائطية بالتعبيرات الجنسية أحد إفرازات مرحلة الشباب المتعلقة بالفراغ العاطفي، تلك المرحلة التي قد تؤدي إلى انحلال أخلاقي قيمي في المجتمع المحلي خصوصا، وطبيعة المجتمع الذي لا يزال متمسكا ومحافظا إلى حد بعيد فيما يتعلق بالأخلاقيات العامة وقيم الحشمة والدين وغيرها، وغياب ثقافة الحوار واحتضان الشاب على مستوى مؤسسة الأسرة والمدرسة كمؤسستين هامتين في التنشئة الاجتماعية يفرز حالة عدم الشعور بالانتماء الأسري، والمجتمعي بالنسبة لهؤلاء الشباب فيلجؤون إلى التعبير في شكل نزوات حسب تعبير مبحوث «هي كتابات غير مقبولة حيث كتبها شباب طائش، وتصنف في خانة العيب والحشومة، لذلك لا ينبغي أن تبقى في الحيطان، لأنها تخالف التعليم الإسلامية والأخلاق العامة».

¹ - فياتشيسلاف شتاكوف، مرجع سابق، ص 289.

إن الممارس للكتابات لا يهتم إن كان ما يكتبه مقبولا أو مرفوضا على مستوى الأفراد أو المجتمع ككل، بل الأهم في نظره هو التعبير وإيصال ما يريد حتى ولو على حساب قيم المجتمع الذي ينتمي إليه، ومن جهة أخرى، فإن بعض الكتابات الحائطية المشينة والجنسية، وتلك التي تحمل عبارات السب والشتم قد تبقى مطولا وكأنها تبقى بتواطؤ أفراد المجتمع.

2-2-2. الكتابات مخافة للقانون:

مثلت الكتابات المتعلقة بالقضايا غير القانونية نسبة 31.15% وتتعلق بـ (التشهير، الابتزاز، والقتل...) وهو أمر طبيعي حيث أنها تتعرض للمحو مباشرة كما لا يتم الإفصاح عنها حتى في مجال الدراسة مثال (كتابات أمام مديرية الشباب والرياضة وسط المدينة التي تعرض للسب والشتم للمدير المؤسسة صيف 2023)، يقول مبحوث «أن هناك مجموعة من الأفراد جاؤوا في الليل وقوموا بكتابات كلام فاضح وسب وشتم للمدير حيث كان بينهم وبينه مشاكل كبيرة، وفي الصباح كانت الحادثة فضيحة كبيرة ثم تم احتواء الأمر في الأخير وطمس الكتابات كما ترى». (أنظر الملحق رقم 13)، هذا العنف الذي يصور من خلال عبارات وكتابات هي في الأصل غير مقبولة في نظر القانون، فالقتل مثلا جريمة ينص عليها قانون العقوبات الجزائري في المادة 296، حيث «يعد قذفاً كل ادعاء بواقعة من شأنها المساس بشرف واعتبار الأشخاص أو الهيئة المدعى عليها به أو إسنادها إليهم أو إلى تلك الهيئة ويعاقب على نشر هذا الإدعاء أو ذلك الإسناد مباشرة أو بطريق إعادة النشر حتى ولو تم ذلك على وجه التشكيك أو إذا قصد به شخص أو هيئة دون ذكر الاسم ولكن كان من الممكن تحديدهما من عبارات الحديث أو الصياح أو التهديد أو الكتابة أو المنشورات أو اللافتات أو الإعلانات موضوع الجريمة»¹، وبالتالي فالقتل والشتائم والتشهير سواء المكتوبة في جدار حائط أو جدار وائل التواصل الاجتماعي (فايسبوك،

¹ - قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 296، الصيغة المعدلة لعام 2012.

الانستغرام... أو رسالة اميل كلها أدلة مادية يعتد بها في إثبات جريمة ما حسب ما التكييف القانوني، فضلا عن كون هذه التعبيرات تمثل عنفا رمزيا يوظف اللغة المكتوبة لتعنيف الآخرين وإشهار ما يضرهم ويؤذيهم من كتابات ورسومات وتصريحات تمس بهم، يقول مباحوث «لقد كتب ابن أحد الجيران وهو شاب (عمره 23 سنة)، كانت بيني وبين والده خصومة بسيطة ثم تطورت، عبارات سب وشتم في حقي على جدار منزلي، وضبطته الكاميرا المرخصة متلبسا، ولما اشتكيت له الشرطة، ومواجهته بالشريط المصور اعترف بذنبه ولولا تدخل الرجال لقدمته للقضاء»، وعند السؤال في رأيك ما هو سبب إقدامه على الفعل؟ فقال: «إن الأبناء عادة ما يتأثرون بمشاكل الآباء ويحملون همهم، وصراحة كانت الحادثة سببا في التصالح بيني وبين والده، حيث قام والده بشراء علبة دهان وقام بمحو الكتابة بنفسه، وقد شعرت أن والده تأثر كثيرا وقال لي أن ولده فضحه أمام الجيران، وأن هذا الفعل صبياني».

3-2-2. كتابات عنف تجاه المرأة: يتجلى العنف والعنف الرمزي ضد المرأة في شكل خريشات ورسومات وشتائم وتصوير جنسي برونوغرافي لأعضاء المرأة، فهي ممارسة كتابية تتعلق - في نظرنا - بدلالات العنف وإعادة إنتاج للهيمنة الذكورية ضد المرأة باعتبارها التابع والخاضع في الذهنية الشعبية في المجتمع الجزائري، ومن هنا يؤكد الدكتور نور الدين كوسة أن «الخطاب الذكوري باعتباره موروثا قوليا شفويا وقد يتعداه إلى الكتابي يعد أحد أوجه هذه القيم المتفرعة عن القيم الذكورية، باعتبارها نسقا من العلاقات يقوم على الطاعة والخضوع للطرف الآخر المهيمن وهو الذكر، على حساب الطرف الثاني المهيمن عليه هو الأنثى، مما أسهم في إنتاج نموذج تراتبي يقر بسلطة الفضاء الذكوري على الفضاء الأنثوي، الذي يتغذى على فكرة دونية الأنثى وعدم أهليتها للانفلات من الوصاية الذكورية وممارسة

سلطتها على ذاتها»¹ فالخطابات المنتجة على الحائط ومن خلال مضامينها لها دلالة ذكورية في الكتابة والإنتاج والتأثير ودلالة أنثوية في التلقي والتأثر، فهي تكتب من الذكر وتوجه إلى الأنثى، فالعنف الرمزي من خلال الكلمة والرسم والرمز على الحائط ما هو إلا إعادة إنتاج لمفهوم السيطرة الذكورية التي تلاحق المرأة في فضاءات تحسب أنها ملك للرجل في نظره.

تساعد الثقافة الشعبية لمفهوم الرجولة في تشكل العنف الرمزي ضد المرأة، وذلك من خلال الاستعارة الرمزية للجسد الأنثوي لممارسة هذا النوع من العنف، ذلك «بتوظيف الجسد كأحد الأدوات الرئيسية، واختزال المرأة ككائن اجتماعي في جسدها كقيمة مادية من خلال تصوير على الحائط وإظهاره بصور رمزية مثيرة وواضحة- وهو تعبير صريح عن تمايز الفضائين الذكوري والأنثوي بازدياد الفضاء الأخير من خلال الاعتراف من المخزون الرمزي الذي ينطوي عليه الجسد الأنثوي، إرضاء لنوازع نفسية تترتب عن الغايات المرجوة من العنف الرمزي الممارس والصادر من الشاتم تجاه المشتوم»².

يعتمد بعض الأفراد في المجتمع على عبارات فاحشة وقبيحة ومنها «الأشد إيلاما هو الموجه إلى الأم، هذه الأخيرة التي ليست شخصية معقدة فحسب بل هي غامضة كذلك، مقدسة ومبجلة من قبل هذا الذي يجعلها عرضة كذلك للسخرية»³، والفحش الكلامي والكتابة الفاحشة على حد سواء يتماثلان في الهدف، فما يلفظ يعاد كتابته على الحائط على شاكلة توجيه غير مباشر للشتيمة سواء لشخص بعينه مع ذكر الاسم، أو شتيمة عامة، ولعل الأمر يكون أكثر تأثيرا للكتابة الفاحشة والناابية لشخص محدد على الحائط أكثر من مثيلتها شفها.

¹ -نور الدين كوسة، الدلالات الرمزية لحضور الجسد الأنثوي ضمن الخطاب الذكوري في المجتمع الجزائري، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 2، مجلد 4، عدد 1، 2011، ص 181.

² - نور الدين كوسة، مرجع سابق، ص 185.

³ - ملك شبل، مرجع سابق، ص 73.

تجسد الشتائم والكلام النابي بشكل كبير **عنف لغوي** يعيش على الحائط متخذا إياه حاملا لهذا النوع من العنف والذي بدوره قد ينتقل إلى مستويات أعلى من العنف، وفي هذا الصدد يؤكد جان جاك لوسركل «أن هذا العالم عنيف، وإن **عنف التلميحات والتهديدات** يمهد دائما بالتحول إلى **عنف جسدي**، عندما يحاول المتخاصمون أن يكسبوا المواقع الفضلى»¹، ومن هنا فإن الكثير من الكلمات المكتوبة على الحوائط يمكن لها أن تحمل تلميحات وتهديدات هي الأخرى جاهزة للانتقال إلى مستوى العنف الجسدي في أي وقت.

2-2-4: كتابات حول إقصاء الآخر والعنصرية:

حظيت كتابات العنف القائم على **إقصاء الآخرين والعنصرية** بالملاحظة، وهو شكل من الكتابة الحاملة لدلالات رفض الآخرين والعنصرية تجاههم، وتكون عادة موجهة لاعتبارات شكلية أو عرقية أو حتى دينية عقائدية، فعبارة **الكحلوش والنيقرو والمنمش ولكحل والروجي والمعوق والمحروق، والبراني وولد الدوار وبن لادن...** وغيرها، وهي كلمات غرضها إيقاع الضرر النفسي على أساس عنصري إقصائي لهؤلاء الذين يحملون أشكالا كهذه، وهي نفس النعوت التي يتم تداولها لفظيا، ليتم كتابتها على الحائط مرة أخرى مستهدفة شخصا أو أشخاص محددين في بعض الأحيان أو موجهين للعامة كإقصاء وعدم تقبل للآخرين في منطقة معينة في أحيان أخرى، هذه التعبيرات قد تكون قائمة على العنصرية على مستوى الخطاب أو تتخللها روح الانتقام في أحيان أخرى، خصوصا تلك الكتابات التي تنتج داخل الأحياء

¹ - جان جاك لوسركل، **عنف اللغة**، تر: محمد بدوي، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص 439.

الشعبية وخصوصا العشوائية منها إذا «نجد الطابع الانتقامي الحامل للعنف الذي تعيش من خلاله هذه المناطق فهذا النمط من العنف المجتمعي يعكس قدرا من الشعور والرغبة في الانتقام والثأر»¹.

يتجلى الخطاب العنصري داخل المناطق التي تتضمن العديد من الإثنيات (عرب، بربر، زنوج) ومذاهب دينية (سنة، شيعة، إباضيين...) وحتى التمايزات والتراتبات الاجتماعية (شريف، مرابط، غني فقير..)، والتي تكون عادة موروثا عن فترات تاريخية سابقة، ولأن الكلمات العنصرية والتعبيرات المترتبة بها عادة ما تترك أثرا كبيرا في المتلقي لذا فإنها تحت مسمى عنف المشاعر، حيث «أن عنف المشاعر والغضب حالما نفسرها بالمعنى الحرفي للكلمة تصبح عنفا مؤلما ذا طبيعة جسدية»²، وفي ذات السياق يرى الباحث التونسي جعفر حسين أن «الكتابة على الجدران شكل من أشكال العنف الرمزي، فأغلب هذه الكتابات. كما يؤكد تعكس الرغبة في جعل الآخر موضع سخرية، والرغبة في إثبات تفوق الذات على الآخر»³.

يتجلى العنف الرمزي أحيانا في العنف التسلطي الذي يختار طرق تعبيرية أو رمزية على الحائط، فما لا يتم قوله أو فعله يتم ممارسته كتابيا على الحائط وهنا يقع العنف الرمزي متخذا الممارسة التعبيرية الكتابية على الجدران آلية له، فاستخدام الحائط ومختلف الدعائم المرتبطة به لإنتاج تعبيرات كتابية ورمزية تحمل عنفا بذريعة أن الجدار ملك عام وبحق لأي كان الكتابة عليه، وهنا يتأذى المتلقي ممارسا عليه عنفا رمزيا يتشربه من خلال الجدار وباستعمال اللغة «إن العنف الرمزي ببساطة ذلك الشكل من

¹ - عبد الله نجيب، صلاح محمد عبد الحميد، ثقافة العشوائيات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص99.

² - جان جاك لوسركل، مرجع سابق، ص403.

³ - أنظر: جعفر حسين، ظاهرة الكتابة على الجدران، بحث تحليلي متعدد الأبعاد، صحيفة القدس العربي، يومية سياسية مستقلة، نسخة إلكترونية، العدد 6961، ص12.

العنف الذي يمارس على الفرد بتواطئه وبمعرفة أفراد المجتمع، فعندما يقرون بوجود عنف يمارس عليهم ويتجاهلون أنه عنف»¹.

تستمد الكتابات الحائطية رمزياتها وأهمية صاحبها وممارستها الذي يخط ما شاء من عبارات العنف وإقصاء الآخر وعنف ضد المرأة أو تعبير تسلطي، لكن يبقى ظاهرا في الحائط ما شاء من الزمن وقد لا يتعرض للمحو إطلاقا إلا إذا تعلق الأمر بتغييرات شكلية من طرف صاحبه أو من طرف أعوان المؤسسات العمومية، ولكن في الغالب يبقى هذا العنف حاضرا يتلقاه الأفراد يوميا ويتواطؤ وقبول منهم خاضعين لتعبيراته التي يواجهونها يوميا، إذ لم نصادف يوما شخصا قام بطمس أو محو كتابة أو رسومات على الحائط، لأنها تحمل معاني العنف والإيذاء لأشخاص آخرين، وحتى أصحاب الملكيات الخاصة ممن يسارعون أحيانا إلى إعادة دهن جدرانهم بعد تعرضها للكتابة لا يكون الغرض من ذلك محتوى الكتابة أو إلغائها على قدر أن حائطهم قد تم العبث به.

فالكتابة التي تعنّيه وإن كانت تحمل دلالات عنيفة على أي مستوى لا يمكن إلا نادرا أن تدفع بالأشخاص إلى رفضها على الحائط وقطعها وبتر العملية التواصلية، في حين أن هناك من الأشخاص من يتدخل أحيانا كرد على الممارس للكتابة الحائطية فيضيف حرفا مع إبقاء هذه الكتابة على حالها أو حذف حرف ما مثلا الكتابة الحائطية «بلاد الشر» التي لاحظنا أنبها بقيت لفترة فاقَت 20 يوما ثم جاء شخص آخر وأضاف حرف الفاء للجملة لتصبح «بلاد الشرف» تعبيراً عن امتعاضه ورفضه لنعت الحي الذي يسكن به بهذا الشكل، ثم تعرضت الكتابة للمحو في الأخير من طرف مسؤولي الأحياء والمواطنين.

¹ - نعيمة بن الشريف، مرجع سابق، ص 84.

2-3. لغة الكتابات الحائطية: يمثل الجدول تصنيفنا لطبيعة اللغة التي كتبت بها التدوينات

الحائطية، وكانت بالشكل التالي:

اللغات	عدد الصور	%
اللغة الفصحى	47	27.17
اللغة الدارجة (العامية)	79	45.66
اللغة الفرنسية	38	21.97
اللغة الانجليزية	7	4.05
لغات أخرى	2	1.15
المجموع	173	100

الجدول رقم (03)

نلاحظ من خلال الجدول رقم (03) والذي يوضح طبيعة اللغة المعتمدة في الكتابات الحائطية محل الدراسة حيث تعود أعلى نسبة للغة الدارجة أو العامية بـ 45.66 %، وثانيا اللغة العربية الفصحى بـ 27.17 %، في حين قدّرت ثالثا نسبة اللغة الفرنسية بـ 21.97 %، ثم رابعا اللغة الإنجليزية بـ 4.05 % وأخيرا لغات أخرى بـ 1.15 %.

إن الاستعمال اللغوي في مختلف عمليات التواصل سواء الشفهي أو المكتوب يخضع لعدة اعتبارات أهمها أكثر الأنواع اللغوية استعمال في حياتنا وتعاملاتنا اليومية، لذا فالأمر ينعكس حتى في مسألة التدوينات الكتابية إذا ما اتجه الأفراد للتعبير على الحائط، فهم سيستعملون حينها أقرب لغة لديهم،

تلك اللغة التي تعيش معهم، يتواصلون بها ويفهمون بعضهم البعض من خلالها دون بذل جهد إضافي في ترجمة أقوالهم أو تعبيراتهم المختلفة، فاللغة العامية كمصطلح «تتخذ العديد من الأسماء عدة عند اللغويين المحدثين، كاللغة العامية، الشكل اللغوي الدارج، اللهجة الشائعة، اللغة المحكية، اللهجة العربية العامة، اللهجة الدارجة، اللهجة العامية العربية، اللغة الدارجة، الكلام الدارج، الكلام العامي ولغة الشعب... وغيرها»¹، كلها مسميات تتقاطع في مسألة ما درج الناس عليه في التواصل اللغوي ككل، فالأفراد تذهب إلى توظيف ما تتفق عليه إضافة إلى أن العامية تتميز بالعديد من الميزات كونها تتوفر على «القوة الإقناعية وتأثيرها النفسي وترسخها في اللاوعي تكون أشد وقعا، وهذه حقيقة تعصف باللغة العربية الفصحى وبدون استئذان»²، هذه المسألة المهمة في الإقناع تكون في كثير من الأحيان سببا في استعمال العامية في الكتابة الحائطية فالفاعل هنا من بين أهم أهدافه هو إقناع الآخرين بقراءة ما أنتجه على الحائط وربما تبنيه بنفس الشكل والنقل الذي يملكه، ولعل من بين أهم الأسباب في تحرير الكثير من الكتابات الحائطية بلغة عامية دارجة أو بلغة الشارع أن المراد من ذلك فهم المتلقي لها، فيصبح هنا صاحب الكتابة وكأنه يخاطب الآخر محاولا تذليل كل الصعاب المتعلقة بقراءة وفهم ما دونه على الحائط وتبنيه قدر المستطاع تحت شعار (أنا هنا، أنا أكتب لك وبوضوح).

يفرز الاستعمال الكثيف للغة العامية إشكاليات لها أثر كبير على المنظومة اللغوية في الجزائر، كما يؤثر لطغيان هذه اللغة أو اللهجة على حساب اللغة الوطنية الرسمية، وعليه «فإن امتداد اللهجات العامية إلى مختلف مجالات الحركة الاجتماعية من دون مرجعية لغوية وقيمية يجعل هذه اللهجات تؤثر

¹ - حسين قاضي، ظاهرة الغريب في اللهجات المحكية (العامية الجزائرية أنموذجا)، مجلة دراسات معاصرة، المجلد 07، العدد 01، جامعة تيسمسيلت، 2023، ص 612.

² - عبد الحفيظ عبد الجواد درويش وآخرون، الفصحى والعامية في وسائل الإعلام، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، 2016، ص 62.

سلبا في اللغة وبيانها، خاصة أن اللهجة الجزائرية تعتمد على الاستعارة اللغوية من عدة لغات عدة ك الأمازيغية والتركية والإسبانية والفرنسية طبعاً»¹.

نجد اللغة العربية الفصحى ك ثاني نسبة من مجموع لغات الكتابات الحائطية على اعتبار أنها لغة اللغة الرسمية ولغة التعاملات الرسمية إلى جانب الفرنسية والقليل من الانجليزية، لكن العربية الفصحى هي الأخرى لا يزال لها ثقل في المجتمع ولو أنها في صراع دائم مع اللغات الأخرى لكن حضورها تنريه عدة اعتبارات كونها أيضا لغة الإسلام والقرآن، وبالحديث عن اللغة العربية الفصحى فإن «أصل الفصاحة في اللغة الظهور والبيان، يقال أفصح اللبن إذ انجلت رغوته وأفصح الصبح إذ بدا ضوءه وأسفر، وأفصح فلان عما في نفسه إذ أظهره وأوضح المعنى الكامن فيه، ومن شروط الفصاحة الإيجاز وحذف فضول الكلام»²، ولا يسعنا أيضا أن نذكر أن اللغة العربية الفصحى في الجزائر «قد مرت بمرحلتين أساسيتين، تتمثل المرحلة الأولى في مرحلة الاستعمار الفرنسي الذي أحل اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، والمرحلة الثانية والتي بدأت بعد الاستقلال أي عام 1962 حيث استرجعت الجزائر سيادتها، وقررت الحكومة الجزائرية اتخاذ كل الوسائل الممكنة رغم قلتها لتجاوز هذه المرحلة»³، وإعادة اللغة العربية إلى وضعها بل تعميم تعليمها في المدارس الجزائرية آنذلك.

عرفت اللغة العربية كل أشكال «الصراع اللغوي في واقعنا الجزائري سحب اللغة العربية إلى القاع مكونا خليطا غير متجانس من العاميات، وهجين من اللغات الأجنبية جاعلا منها لغة للتواصل اليومي،

¹ -محمد لمين معتوق، الوضع اللغوي في الجزائر بين تنوع الاستعمال وطرح الإشكال، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقي، المجلد 03، العدد 06، جامعة المسيلة، 2020، ص148.

² - سلام خياط، صناعة الكتابة وأسرار اللغة، ط1، شركة رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، 1999، ص70.

³ - سهام مادن، بين العامية والفصحى، مجلة الصراط، عدد10، جامعة الجزائر1، 2004، ص160.

وحتى في الخطاب التربوي والأكاديمي داخل المدارس والجامعي¹، وبخصوص استعمال هذه اللغة في الكتابات له عدة دوافع بالنسبة لكتابتها فالبعض يفضلها للكتابة لأنها تعبر عن مستواه الفكري والثقافي، كما أنه يخاطب جهة رسمية، فالأجدر في نظره أن يوظف لغة تعكس خطابه وجديته ورسميته، ما يظهر من جهة أخرى تمكن البعض من هؤلاء الممارسين كذلك من اللغة الفصحى والكتابة بها لذا يسعى البعض منهم لاستعمالها وتفضيلها وبالتالي فاللغة تتحدد المستوى التعليمي والثقافي، يستعمل فيها السجع والبديع والإستعارات والشعر والأمثال الشعبية.

وردت اللغة الفرنسية كثالث اللغات استعمالا في الكتابات، والأولى في قائمة اللغات الأجنبية، وهو ليس بالأمر المفاجئ على اعتبار أن «الفرنسية غنيمة حرب» على حد تعبير المسرحي كاتب ياسين من حيث الاستعمال لاعتبارات تاريخية وسوسيوثقافية، إضافة إلى أن هناك «مفارقة بين درجة الاستعمال لكل لغة ووزنها في السوق اللغوية في الجزائر، فالفرنسية باعتبارها لغة كتابية تستعمل في المعاملات الرسمية تتفوق على العربية في مجالات الإدارة والاقتصاد والخدمات، لذا يمكن القول على الصعيد السيوسولوجي أن درجة حظوة اللغة متناسبة عكسيا مع درجة استعمالها، بمعنى أن اللغة لا تكتسب قوتها بكثرة مستعملها بقدر ما تكتسبها من المقام الاجتماعي للمتكلمين»²، والفرنسية في بعدها التاريخي في الجزائر احتلت مكانا له حضوره بين اللغات الأخرى على اللسان الجزائري قولاً وكتابة، «إذ لا تزال الفرنسية تقترن في بلدان المغرب العربي على الجزائر في أذهان الناس بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي وبالشعور النفسي بالحدث»³، ومن هنا فإن الاستعمال اللغوي للفرنسية في الكتابة على

¹ - عبد الحكيم رقيعه، التعدد اللغوي مظاهره وانعكاساته في الواقع اللغوي الجزائري، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، 2017، جامعة الوادي، ص188.

² - فتيحة زيانبي & هشام حسان، الواقع السوسولوجي في الجزائر في ضوء هيمنة اللغو الفرنسية، مقاربة بورديورية، مجلة تاريخ العلوم، العدد 10، جامعة الجلفة، 2017، ص173.

³ - محمد لمين معتوق، مرجع سابق، ص149.

الحائط يفصح عن ثقل هذه اللغة في التعبيرات على اختلاف أنواعها. كما يعبر تواجدها عن ذلك الإرث الاستعماري والثقافي الذي لا يزال حاضرا في المجتمع بالرغم من أنها ليست من أقوى اللغات على المستوى العالم في أهم الميادين كالاقتصاد أو التعليم إلا أنها تحظى باستعمال يومي بين الأوساط المجتمعية في الجزائر ما يعري تمسك الأفراد وتأثرهم بها رغم محاولات حثيثة للاستغناء عنها.

وردت اللغة الانجليزية في المرتبة الرابعة ضمن اللغات المستعملة على الحائط كونها «من أكثر اللغات انتشارا في العالم فهي لغة التقدم العلمي والثورة التكنولوجية، إذ في الجزائر بالرغم من كونها ليست لغة رسمية للبلاد، إلا أن التعامل بها كلغة أخذ منحى متصاعد في الآونة الأخيرة كونها لغة مهمة في التواصل الدولي»¹، وهذا ما انعكس على استعمالها حتى في التعبير الحائطي عند بعض الأفراد الذين فضلوا بين كل اللغات للتدوين على الجدار بالرغم من حضورها المحتشم على اللسان الجزائري وحتى على مستوى الكتابة، ما أبان أن هناك تأثيرا بهذا اللغة وإن كان في بداية الطريق، «ورغم إن استخدام اللغة الانجليزية كلغة فاعلة تفرضها المقتضيات الجديدة إلا أن هناك انتقادات لهيمنة اللغة الفرنسية في عديد المجالات وتأثيرها على التنوع اللغوي»²، ما يؤكد أن الحائط لا يقتصر في تجلي الكتابات عليه على لغة متداولة ورسمية بل يتعداه إلى لغة أخرى.

نستنتج أن الحائط وإن كان وسيلة ومنبر غير رسمي في التعبير، إلا أنه يزخر بتنوع لغوي ولهجي يفرضه الواقع المجتمعي واللغوي، لكن ومع هذا التعدد اللغوي الذي أصبح في نظر البعض «يحدث ارتباطا على مستوى التعبير عضوا أن يكون عامل إثراء وسلامة، ومن هنا أصبح المعرب لا يتقن العربية بالشكل المطلوب، والموصوف بالفرنسي لا يجيد الفرنسية على وجهها الصحيح، فاختلفت هاتان اللغتان

¹ - رزقي عبد القادر، السياسة اللغوية في الجزائر الواقع والتحديات، مجلة اللغة الوظيفية، المجلد 10، العدد 1، جامعة الشلف، 2023، ص 80.

² - المرجع السابق، ص 81.

باللهجة العامية، فأصبحت لغة الجزائريين متعددة في خطاب واحد¹، وفي سياق استعمال اللغات واللهجات للكتابة على الحائط عند الأفراد راودنا سؤال مهم أثناء بحثنا هذا تمحور حول: هل يمارس الفرد

الأمي غير المتعلم فعل الخريشة على الحائط؟

إن كان كذلك فكيف يتم ذلك؟ وهو لا يحسن القراءة والكتابة، وما يمكن تسميته كتابات الفئة الأمية أو الأميون وهي «عبارة عن رسومات وأيقونات أولية لا يعرف أصحابها لا القراءة ولا الكتابة»²، والتي لمسنا ما يوحي إليها في مجال الدراسة وهي «بدون حروف وكلمات أو حتى رسومات ورموز غير مفهومة ومرسومة بغرض الخريشة على الحائط لا غير»، فالأمي وإن يكن لا يحسن الكتابة ولا القراءة فإن هذا لم يمنعه من استعمال سطح الجدار وترك أثره على هذه الدعائم والسطوح، ولو أن ما ينتجه هذا الفرد الأمي على الحائط يتساوى بصريا مع أي رسم أو خريشة أو شكل أو رمز غير مفهوم بالنسبة له، فإن هذا الشيء لا يقصيه من المشاركة في الكتابة على جدران حيه أو مدينته، أين يعتبر نفسه جزء منها ومن المكان الذي يعيش فيه.

¹ - رقيعه عبد الحكيم، مرجع سابق، ص 190.

² - أحمد شراك، مرجع سابق، ص 28.

2-4. علاقة الألوان بالكتابات الحائطية: يوضح الجدول أبرز الألوان المستعملة في

الكتابات

وحدات التحليل	عدد الصور	%
اللون الأحمر	36	20.81
اللون الأسود	73	42.20
اللون الأبيض	24	13.87
اللون الأزرق	22	12.72
اللون الأخضر	11	6.36
ألوان أخرى	7	4.04
المجموع	173	100

الجدول رقم (04)

نلاحظ من خلال الجدول رقم (04) الموضح لأبرز ألوان الكتابة الحائطية في مجال الدراسة أن أعلى نسبة قدّرت بـ 42.20% وتعود للون الأسود، تليها نسبة 20.81% للون الأحمر، ثم نسبة 13.87% للون الأبيض، تلي ذلك نسبة 12.72% للون الأزرق، ثم نسبة 6.36% للون الأخضر، وأخيرا نسبة 4.04% لألوان أخرى.

إن اختيار اللون ليس اعتباطيا عند الفرد بل لارتباطه بإرسال رسالة رمزية يلعب فيها اللون دورا هاما، وكثيرا ما يرتبط «بمواضيع معينة ارتباط وثيقا فيدل لون معين واستخدامه على موضوع لصيق به

في المخيال الاجتماعي»¹، فمثلا لم يأت ارتباط التشاؤم باللون الأسود عبثا، وإنما نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات والمواقف الحزينة، فربط الناس السواد بالموت والخوف من المجهول، ما يفسر إلى حد بعيد اعتلاء اللون الأسود عن غيره من الألوان الأخرى التي تم توظيفها في الكتابة على الحائط، إذ تلعب النظرة التشاؤمية وعدم التقبل والاحتجاج ومظاهر الرفض والغضب دورا في تواجد اللون الأسود على رأس القائمة، فهو يعبر عن كل هذا، ففي سيكولوجية الألوان، واستخدام اللون الأسود يرجع إلى عدة اعتبارات فهو «يرمز إلى الحزن والقوة أحيانا ، كما أنه من الألوان المفضلة في النصوص المكتوبة لسهولة قراءتها وعدم إجهاد العين»²، ومن قد يتبين استعمال هذا اللون على اعتباره مساعدا في عملية القراءة ككل لذا يعتمد الأفراد استعماله في عملية الكتابة والرسم على الحائط، كما لسطح الجدار ولونه خصوصا ما تعلق بالسطوح الصفراء والبيضاء للجدران والتي يتناسب معها الأسود كأكثر الألوان وضوحا ودلالة، ومن جهة أخرى فإننا يجب أن ننبه إلى أن الأصباغ والأدوات المتوفرة للكتابة في أكثرها ذات لون أسود (الأصباغ، الفحم، أقلام اللباد، الرماد...).

¹ - أحمد مختار عمر، مرجع سابق، ص201.

² - أنظر: مصطفى جودت صالح، دلالات الألوان ورمزيتها عند تصميم المحتوى التعليمي، موقع بوابة تكنولوجيا التعليم،.

<https://drgawdat.edutech-portal.net/archives/16197> تاريخ الولوج 2023/7/1

2-5. أماكن تواجد الكتابات الحائطية:

أماكن عرض الكتابات الحائطية	عدد الصور	%
منازل و عمارات	28	16.18
محلات ومراكز التجارية	12	6.94
مؤسسات خاصة	10	5.78
مؤسسات تعليمية وجامعية	32	18.50
محطات النقل البري والسكة الحديدية	27	15.61
مؤسسات عمومية أخرى	64	36.99
المجموع	173	100

الجدول رقم (05)

نلاحظ من خلال الجدول (05) ويمثل أماكن عرض الكتابات الحائطية في مجال الدراسة كون أعلى نسبة قدّرت بـ 36.99% وتعود للكتابة على جدران مؤسسات عمومية أخرى، تليها نسبة 18.50% للمؤسسات التعليمية والجامعية، وثالثا نسبة 15.61% لمحطات النقل البري والسكة الحديدية، في حين كانت المرتبة الرابعة من نصيب الكتابات الحائطية على المنازل والعمارات وقدرت بما نسبته 16.18%، تليها خامسا المحلات والمراكز التجارية بـ 6.94%، وأخيرا نسبة 5.78% تعود للكتابة على جدران المؤسسات الخاصة.

يتجه الأفراد في مجال البحث إلى استعمال جدران ودعامات البنايات والملكيات العمومية أكثر من أية وسائل أخرى وذلك لعدة اعتبارات تدخل في مسألة الملكية العامة والأحقية في العبث بهذه الممتلكات

باعتبارها لا تخص أي أحد، وأنها ملك عام ما فتح الباب لممارسات تنمو عن مخالفة القواعد أو القوانين العامة للنظام الاجتماعي ككل، والملكية العامة للمنشآت في المدينة من المنظور القانوني والتشريعي قد «أحاط المؤسس الدستوري الجزائري الأملاك الوطنية بحماية قانونية بدءاً بالعناية بتقسيمها إلى أملاك عامة وأملاك خاصة، حيث جعل لكل من الدولة، الولاية، والبلدية نصيباً منها في حدود اختصاصها الإقليمي كما هو الحال بالنسبة لنص المادة 158 فقرة 02 من قانون 10/11 المتعلق بالبلدية (الصادر بتاريخ 22 جوان 2011 في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في عددها 37، ص 22)، مؤكداً أن الملكية العامة تبقى دائماً ملكاً للمجموعة الوطنية، ونظراً لأهمية الملكية العامة في المجتمع فقد وضع المشرع الجزائري قانوناً للأملاك العمومية والاستثناء في استعمالها»¹، وانطلاقاً من هذا فإن فعل الكتابة والرسم والخريشة على جدران هذه المنشآت دون إذن هو أمر مخالف قانونياً نظراً لجملة القوانين والتشريعات الصادرة في هذا الأمر، والتي تحدد طبيعة التصرف في هذه الملكيات، وانطلاقاً من هذا «الكتابات الحائطية فن عبثي لا طائل منه يتم لاحقاً تحت مصطلح فندالزم Vandalisme، والذي يعني التخريب والتشويه، كصرخة في وجه تشويه الأبنية والممتلكات بالرسومات والألوان، وبالتالي أصبح الغرافيتي في صورة رسم الشارع فن ضروب التخريب»². كما أن الكتابات الحائطية وبفعل ممارستها على الأبنية العمومية أضحت تؤثر سلباً على التخطيط الحضري ككل بفعل التشويه الذي يطالها، والذي يعتبر في سياق السوسيولوجيا عنفاً مادياً يمارس من طرف هؤلاء الأفراد على الأبنية والجدران العمومية.

¹ - لوصيف نوال، الأملاك العامة للدولة بين الاستعمال العام والاستعمال الخاص، مجلة تشريعات التعمير والبناء، العدد 3، جامعة تيارت، 2017، ص 130.

² - مهيب الرفاعي، تلفيق الغرافيتي تخريب للمكان، مجلة الجديد، عدد 2021/02/01، تاريخ الولوج 2023/06/29. للمزيد أنظر: <https://aljadeedmagazine.com/>

شملت جدران ودعامات البنايات الخاصة فهي الأخرى نسبة لا يستهان بها من حيث استعمالها للكتابة عليها، ومن خلال البحث فقد تركزت رسومات وكتابات عديدة على أسطح الجدران الخاصة بالبنايات في الأحياء الشعبية، فطبيعة المكان تلعب دورا مهما في الممارسة الكتابية الحائطية، وهو الذي «يحمل خصوصيات تعبيرية في الجدران ويمثل وسيلة معبرة عن الاستمرارية والتواصل، وهو ما يكشف عن العبور من المكان باعتباره مجرد فضاء ثابت إلى الدخول في المكان، ذلك الذي يحمل خطاب مرئي يكون حاملاً لكتابات ورسومات تحمل أبعاد مفهومي، فالمكان من خلال الحائط يتحول من مجرد موضوع إلى عالم حامل لمفاهيم تتبع من الواقع الحياتي للإنسان، وهو يمثل فضاء معبراً على كلّ ما يعايشه الإنسان»¹.

تتيح الأحياء الشعبية لبعض ساكنيها التعامل مع كل الجدران والبنايات الخاصة التي تقع في الحي محل امتلاك رمزي لهم على اعتبار أن الحيّ يخصهم وهو ملك لهم كمنطقة ومكان، «فلم يعد اليوم خافيا على أحد أن الكتابة تتخذ معناها من المنبر الذي تتحدث منه، فما نكتبه يتحدد أين نكتبه، والمنبر يحدد الكتابة شكلا ومضمونا»²، وبالتالي فإن المكان يحدد في كثير من الأحيان طبيعة الكتابة وتواجدها وحتى عددها، ففي دراسة قام بها كريم أوراس حول الكتابة على الجدران في مدينة الجزائر، أكد أن موضوع تملك المكان من طرف الشباب في إطار ما أطلق عليه اسم الحومة، وهي كلمة عامية مرادفة لمصطلح الحي السكني، ومن خلال تحليلاته لبعض الكتابات مثل *Amchi men Homti ya* امشي من حومتني يا، أي (إذهب من الحي الخاص بي يا).

فالكتابة على الجدار يدل على استيلاء صاحبه على هذه المساحة بتعبير يضم خطابا رافضا لتدخل أي أحد قد ينافسه في أرضه أو حيه أو حومته. كما أن طريقة الكلام من خلال العبارة المكتوبة

¹ - محمد زيان وآخرون، مرجع سابق، ص 39.

² - عبد السلام بن عبد العالي، مرجع سابق، ص 90.

في حد ذاتها تقتل علاقة الأنا بالتواصل مع العالم والآخرين، من خلال اللغة والإشارة حسب كريم أوراس، فكاتب العبارة هنا يعطي الأمر للمتلقي أو القارئ بالابتعاد دلالة على تملكه للمكان ككل، ومن جهة أخرى يمكن لقارئ هذه العبارات الخضوع للأمر بمجرد قراءته لهذه العبارات إذ لا يمكنه المغامرة والبقاء في حي ليس فيه ومكان لا يعنيه»¹، كل هذا من خلال فهمه للغة الشارع على الجدران والتي تخللتها لغة عنيفة مغلفة بالتهديد، إذ يقودنا التحليل إلى أن الكتابات الحائطية من خلال احتكار وامتلاك المكان، قد تستخدم كآلية رمزية لغوية تحمل عبارات العنف والتهديد التي يتلقاها القارئ والمتلقي لهذه الكلمات مثل عبارات «لي يقرب يخلص (أنظر الملحق رقم 14)، البوشية والفيزي...»، ومن هنا فقد يمتد العنف في المدينة إلى ممارسة الجريمة بعدها أن «للبيئة الحضرية والسكنية أثر واضح في ظهور الجريمة لدى الفرد، لأنها تكون مرتبطة بمجموعة من العوامل والمؤشرات المادية والبيئية للفرد من سكنه ومحيطه الذي يعيش فيه ويكون له أثر جسماني ونفسي في طريقة اكتسابه لسلوك وثقافة الإجرام في المدينة»²، ومن هنا تصبح هذه الكتابات بداية لظهور السلوكيات العنيفة داخل الأحياء، وفي باقي أرجاء المدينة إضافة إلى تشويه البناءات الخاصة والعامة.

¹-Karim Ouaras, *Les Graffiti de la Ville d'Alger: Carrefour De Langues, De Signes et de Discours. Les Murs Parlen*», *Insaniyat*, إنسانيات، 44-45, 2009, p162.

²-سليمان بوزيدي، المدينة بوتقة لاكتساب الثقافة الاجرامية، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 5، العدد9، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019، ص97.

2-6. الأخطاء اللغوية في الكتابات الحائطية: يمثل الجدول التالي قراءتنا للأخطاء اللغوية

الموجودة في بعض الكتابات الحائطية، كمحاولة لتدليل على المستوى الثقافي والبيئية التي أنتج فيها التدوين الحائطي وقد يحيل كذلك للسياق الذي كتبت فيه.

طبيعة الأخطاء	التكرار	%
أخطاء نحوية	8	28.58
أخطاء شكلية	9	32.14
أخطاء إملائية	11	39.28
المجموع	28	100

الجدول رقم (06)

نلاحظ من خلال الجدول رقم (06) الموضح لطبيعة الأخطاء اللغوية، المتضمنة في الكتابات أن أعلى نسبة قدرت بـ 39.28% وهي أخطاء إملائية، تليها نسبة 32.14% أخطاء شكلية، وأخيرا نسبة 28.57% أخطاء نحوية.

هناك من يعتبر أن الأخطاء النحوية والشكلية والإملائية في مسألة الكتابة عامة فعل عادي يفترن بضعف المستوى التعليمي لا غير، ونفس الشيء إذا ما تعلق الأمر بالكتابة على الحائط، لكن هناك من يستهجن ذلك ويعتبره إنقاصا من اللغة وبترا لها أو في إحدى تراكيبها النحوية أو الإملائية أو حتى الشكلية، وبالتالي يثير استفزازا داخليا خاصة للفرد المتعلم العارف بقواعد اللغة، إذ يمكن لخطأ لغوي واحد أن يفسد ما كتب على الجدار أو يثير حفيظة القارئ الذي قد يعبر عن امتعاضه عن الخطأ أكثر من فعل الكتابة ككل.

يشير الخطأ اللغوي عند البعض بجهل صاحبها ما يعزز النظرة السلبية التي يتركها القارئ لهذا الممارس بغض النظر عن قيامه بتشويه الحائط ومضمون كلماتها أنه لا يحسن حتى تدوينها بالصورة الصحيحة أيضاً، ومن هنا فإنّ حلول الأخطاء اللغوية والكتابية في الكتابة الحائطية «عزز الانفصال القائم بين الجميل والفن، لكنه نجح في صياغة خطاب بصري يحمل دلالة ومقصدية، ويفصح عن حقيقة الذات الممزقة اجتماعياً ووجدانياً؛ فالخطأ في الأثر الإبداعي منتج للمعنى»¹، هذه الذات التي تسعى أحياناً للخروج عن القيود السوسيوثقافية في المجتمع وتتفقت منها، إذ يتجلى ذلك في الكتابة بشكل آخر يفصح عن حالة ممزقة اجتماعية وثقافية.

يعتمد الممارس للكتابة الحائطية في أغلب الأحيان إلى نهج أسلوب كتابة أو خريشة واضح ومقروء ومفهوم بغية العمل على إيصال ما يريدونه، لكن في أحيان أخرى يتبنى آخرون أسلوب الغموض في كتاباتهم لأسباب عدة منها كونه يريد التنصل من مسؤولية الكتابة على الحائط فيحاول البقاء مجهول الهوية وغامضاً على قدر استطاعته وبأي شكل يتيح له ذلك (التخفي والغموض)، لكن كل هذا قد يقع على حساب اللغة المكتوبة فيمتزج أسلوب الغموض بتشويه مفردات وحروف الكتابة وتعنيفها الأمر الذي يحلينا لقراءة أخرى حول طمس هذه الكتابات بغرض عدم الوضوح للسلطة والآخرين.

إن مسألة الأخطاء الكتابية عند الأفراد لا تقتصر على الأفراد ذوي التعلم المتوسط أو المتدني بل قد يمتد ذلك إلى ذوي التعليم الجامعي أحياناً، وهذا ما لمسناه في مجال الدراسة، «فقد توقعنا عند بعض الكتابات التي تكون فيها الكلمات أو الجمل خاطئة في الكتابة سواء على مستوى النحو أو إضافة حروف للكلمات لا معنى لها، وهذا أمر يستدعي الوقوف عنده فالطالب الجامعي يفترض فيه أن يحسن الكتابة

¹ -مصطفى البحيري، الخطأ في خطاب الجدران: من الخضوع إلى الإخضاع، دراسة أنثروبولوجية، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهن، المقال موجود كاملاً على موقع المؤسسة.

<https://www.mominoun.com/articles/7481>.

دون أخطاء وهذا ما يدل عليه المستوى الضعيف لبعض الطلبة مع أنهم في مرحلتهم الجامعية أو مشارف التخرج واستكمال مسارهم الدراسي»¹، وعلاوة على ذلك يمكن القول إنّ الخطأ هو «من حيث الأصل ممارسة عفوية وعامة، لكنه يحمل مضامين أنثروبولوجية مهمة وذات دلالة تعبر عن السائد وتكشف حقيقة الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها الأفراد، والأكد أن كثافة حضوره المكثف في الأثر الفني يكشف عن طبيعة العلاقة بين الذات والفضاء العمومي؛ فالأفراد يسعون إلى صيانة صلتهم بهذا الفضاء»²، الذي لا يتيح ممارسة الكتابة الحائطية بكل راحة وسلاسة، فهو عمومي ويكتسب من هذه الصفة إخضاع الفرد إلى التستر في فعل الكتابة والرسم على الحائط واختيار أوقات لا يحضر فيها الآخرون أثناء الممارسة ما يجعل هذه الممارسات تتم بسرعة في كثير من الأحيان، وهنا قد يترك الفرد خلفه كلمات مبتورة تشهد على وجوده في ذات المكان مخلفا أيضا أخطاء لغوية متنوعة، فلا السلوك مقبول ضمن الأعراف المجتمعية ولا الخطأ مسموح به ضمن القواعد اللغوية، ولا الممارسة برمتها مسموحة من الناحية القانونية داخل المجتمع، حينها يمتزج العنف المادي على الفضاء العمومي مع العنف على اللغة في حد ذاته من خلال فعل الكتابة الحائطية.

¹ - محمد مصطفى بحر & محمد زيان، سوسبولوجيا الكتابات الحائطية في الفضاء الجامعي: دراسة ميدانية بجامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، مجلة آفاق فكرية، مجلد 11، عدد 1، جامعة سيدي بلعباس، 2023، ص 690.

² - مصطفى البحيري، مرجع سابق.

2-7. الكتابات الحائطية وتشويه الفضاء العمومي: يمثل الجدول فئة الوسائل المستعملة

في الكتابات

الصفات الفرعية	وحدات التحليل	التكرار	%
تشويه الملكيات الخاصة	تشويه الجدار من خلال الكتابة	52	30.06
	تشويه الجدار من خلال الرسم والرمز	25	14.45
تشويه الملكيات العمومية	تشويه الجدار من خلال الكتابة	69	39.88
	تشويه الجدار من خلال الرسم والرمز	27	15.61
المجموع		173	100

الجدول رقم (07)

نلاحظ من خلال الجدول طبيعة أشكال تشويه الفضاء العمومي وبلغت أعلى نسبة لتشويه الملكيات العمومية، في مقابل تشويه الممتلكات الخاصة، وجاء الترتيب كالتالي: تشويه جدران الملكيات العمومية من خلال الكتابة بنسبة 39.88% كأعلى نسبة، وثانيا تشويه جدران الملكيات الخاصة بنسبة 30.06%، وعادت المرتبة الثالثة إلى تشويه جدران الملكيات العمومية من خلال الرسم والرمز وقدرت نسبتها بـ 15.61%، في حين كانت النسبة الأخيرة من نصيب تشويه جدران الملكيات الخاصة عن طريق الرسم والرمز وتمثلت في 14.45%.

شكلت الكتابات الفضاء العمومي في جزء كبير منها عنفا مسيء للمحيط العمراني ككل مهما كان شكل الكتابة، فبالرغم من تجاوز هذه الكتابات والرسومات الطابع البسيط والانتقال إلى الطابع الفني، إلا أن الكثير من الأفراد يعتبرون أي ممارسة على الحائط مهما كان نوعه يعتبر تعدي وعنف تجاهه واتجاه الفضاء العمومي ككل، وانطلاقا من هذا تعتبر الكثير من البلدان على غرار العربية ومنها الجزائر

إحداها أن ممارسة الكتابة على الجدران فعل يعاقب عليه القانون لأنه يحرض على الإخلال بالنظام العام لأي مجتمع، ومن هنا فإن تبني هذه الممارسات من طرف الأفراد داخل الفضاء العمومي مرده في كثير من الأحيان إلى الاعتقاد بأحقيتهم في التصرف في هذا الفضاء باعتباره عاما ولا يخص أحد وأنه ملك لهم يعبثون به كما يشاءون.

تمس الكتابات الحائطية بنقاء الفضاء العمومي داخل المجتمع بالدرجة الأولى، والذي يعرفه ستيفان تونيلا في مجال التخطيط الحضري بأنه «فضاء مفتوح يحيل على كل من الشوارع والحدائق ومناطق الترفيه والساحات وغيرها من الفضاءات الخارجية المملوكة والتي يديرها القطاع العام في مقابل المجال الخاص المخصص للسكن والعمل»¹، وقد ارتبط ظهور وشيوع هذا المصطلح في الأبحاث الفلسفية والاجتماعية ضمن أعمال يورغن هابرماس والذي يرى أن الفضاء العمومي يمثل «مجالا من مجالات حياتنا الاجتماعية يتشكل فيه شيء يقترب مما نسميه الرأي العام، ويمكن الولوج إلى هذا المجال متاحا ومضمونا بالنسبة إلى المواطنين كافة»²، ومن الناحية السوسيولوجية يشير الفضاء العمومي إلى «ذلك المشترك بين المواطنين على أساس تصوره كبناء لعقد اجتماعي في بعده المدني، الذي يفضي إلى تبادل وجهات النظر عقلانيا»³.

ساهم علم الاجتماع في الرفع من الاهتمام «بالشوارع الفيزيائية للمدينة والتفاعلات اليومية للمواطنين أكثر من إمكان النقاش أو الخطاب، حيث يقاس الفضاء العام وفق لإمكانية الولوج فيه، سواء

¹ - ستيفان تونيلا، سوسيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة، (تر: إدريس القزواني)، مجلة إضافات، العدد 46، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، 2019، ص148.

² - محمد العربي العياري، الفضاء العمومي وسؤال الحرية جدل هابرماس وهونيث وفريزر، مجلة تبين، عدد 44، مجلد 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2023، ص ص 39-40.

³ - مراح محمد الحنفي، بن تامي رضا، الفضاء العمومي الجماعتي وإعادة إنتاج التدبير القبلي للمجال المحلي: دراسة ميدانية للجمعية الدينية لزواية أحمد المجدوب، مجلة البحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد 18، العدد 01، جامعة معسكر، 2022، ص82.

من الناحية الفيزيائية أو النفسية ويوسع هذا المفهوم إلى حد كبير نطاق الأمكنة التي تعتبر عامة إلى أي حيز مكاني يمكن للأفراد الولوج إليه»¹، ومع انتقال الإنسان للسكن في المدينة، فإنه «تخلّى عن حقوقه الطبيعية والذي يكسبه هنا هو الحرية المدنية، وتملك ما يجوز وما تسمح به الإدارة العامة، فأصبحت الدولة هي السيدة على أملاك الأفراد، فعلى الممتلك أن يكتفي بحقه فقط أما الباقي فهو ملك للجماعة»²، وبناءً على هذا فإن الجدران باعتبارها جزءاً من البنايات العامة تقع فيما تتصرف فيه الدولة، وما تسمح به لكل الأفراد بالتصرف فيها فهي ملكية عامة خصوصاً إذا تعلق الأمر بجدران المؤسسات العمومية داخل المدينة إذ يعتبر التصرف فيها بالكتابة والخريشة أو الحفر عليها تعدياً على أملاك الدولة، وهنا يقع الفرد في التصرف الذي لا يحق له في ما لا يملكه.

يعاقب القانون الجزائري كل شخص بسبب خوضه في ممارسة فعل غير قانوني، فيخضع استعمال المكان إلى قيود معينة من السلطة نظراً لعمومية المكان أو الفضاء المستخدم ومن هنا فقد أشار إدوارد هال «إلى مظهرين لاستعمال المكان في المجتمعات العربية الإسلامية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وهو يلاحظ في البداية بأن الحديث عن تسلل يقع في مكان عمومي يعد تناقضاً في حد ذاته، فمعنى العمومي هو العمومي فعلاً، ولا أحد يمكنه أن يدعو لنفسه منطقة خاصة في مجال عمومي»³.

يقع أفعال التشويه والطمس والعنف المادي ضمن السلوك الانحرافي، الذي يمثل حسب إدوين ليمرت *Edwin Lemart* «كل تصرف يجلب إدانة وسخط الناس عليه لأنه يخرج عن القواعد والضوابط السلمية التي يقرها ويقبلها المجتمع»⁴، أي كل سلوك يترك سخطاً لدى الآخرين وعامة الناس نظراً لرفض

¹ - ستيفان تونيلا، مرجع سابق، ص 149.

² - حسام الدين شعلان & أحمد مسعودي، الفضاء العام وتطبيقاته الاجتماعية، مقاربة نظرية وتاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد 1، جامعة الشلف، 2021، ص 215.

³ - فاطمة المرنيسي، مرجع سابق، ص 159.

⁴ - إحسان محمد الحسن، علم اجتماع الجريمة، ط 1، دار وائل للنشر، 2008، الأردن، ص 364.

السخط الدائم على فاعليه معتبرين هذه الممارسات مشوهة للمنظر العام والجماعي للجدران والمدينة إضافة إلى ما تحمله من عبارات، وكلمات غير لائقة وغير مقبولة اجتماعيا وأخلاقيا، خادشة للحياء في كثير من الأحيان منافيا للقيم الاجتماعية للمجتمع.

إن تشويه الجدران حاضر بقوة في مجال الدراسة مختزلا العبارات والكلمات، ومن هنا فإن «الكتابات الحائطية تفيد أكثر في فهم الإيديولوجيات التي تتبناها المجموعات وذلك من خلال حضور قوي لسلطة الرمز والدلالة التي تستقيها من المجال العام، لهذا يأخذ البعد السوسيوثقافي موقعا كبيرا في كل ما تنتجه المجموعات فيحضر الحرف العربي واللاتيني والأمازيغي، ورسوماتهم وكتاباتهم المختلفة»¹.

تتميز الكتابات في بعض الحالات كونها تعد «أحد أنواع الخطابات المدنسة لنقاء الحيطان ما يستوجب إلغائها وقتلها وإقصائها»، فالمحو والطمس والإزالة، الذي تتعرض لها هذه الكتابات، هي في حد ذاتها قابلة للمحو التي تتخذ بدورها أشكالا متعددة تتمثل إجمالا في إعادة دهن السطح الذي تكتب عليه لتختفي هذه الكتابة نهائيا في كثير من الأحيان، ويأتي هذا الشكل كرد فعل عند بعض الأفراد بعدم قبولها ما يدفعهم لشراء دهانات لدهن الحائط الشخصي لمحو خطايا أفراد يمكن أن يسميهم شباب طائش أو أطفال صغار كما يقول مبحوث «لعب الذر ماذا نفعل سوى إخفاء أخطائهم وربما أخطاءنا نحن الكبار لأنهم نتاج تربيئتنا لهم».

تأخذ عملية المحو شكلا آخر يتمثل في طمسها عن طريق الخريشة عليها، إذ لا يعتبر الأمر هنا محوا على قدر ما يعتبر تشويها وتدنيسا آخر للجدران، رغم أن الغرض هو الإصلاح، فتزداد هنا حدة

¹ - زهير البحيري & محمد أصبان، الهامشية الحضرية ومشكلة الاندماج الاجتماعي للشباب بأكادير، مجموعة الألتراس أنموذجا، المجلة المغربية للبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد1، عدد2، جامعة محمد الخامس، المغرب، 2022، ص36.

العنف الممارس على الحائط وعلى الفضاء الذي كتبت فيه عموماً، وهناك كتابات أخرى تتعرض للمحو والإتلاف دون تدخل الإنسان والحديث هنا عن الكتابات الحائطية التي تتأثر بالتقلبات الجوية والطبيعة.

تتعلق عملية المحو للكتابات بالمكان ومكانته الرمزية في المدينة، فحوائط الشارع الرئيسي بالقرب من المؤسسات الرسمية (بلدية، دائرة، ولاية، مؤسسات أمنية...) ليست كشوارع هامشية من بنايات سكنية شعبية (حي الفيرم، حي الشارة، حي البقعة...)، لذا فإننا نجد بعض الكتابات الحائطية التي وبالرغم من أنها غير لائقة سواء على مستوى كلماتها أو معانيها أو رموزها أو رسوماتها إلا أنها تعمر طويلاً وتبقى دون أن تتعرض للمحو أو الإزالة، عكس كتابات أخرى في أماكن معنية والتي ما تفتأ أن تزال ويعد دهن جدرانها فور كتابتها أو بعد فترة قصيرة، فالفضاء الذي يحتوي هذه الكتابات له علاقة ببقائها أو محوها وطمسها أو إزالتها نهائياً.

3. نماذج من الكتابات الحائطية في مجال الدراسة:

3-1. ظاهرة الاحتجاج:

يشمل الاحتجاج عموماً الاعتراض على أمر ما، وقد يتجلى هذا الاعتراض ويأخذ صوراً متعددة ومتفاوتة التأثير منها الكتابية، ويتخذ وسائل عديدة رسمية وغير رسمية مثل التوجه نحو اختيار الحائط كوسيلة غير رسمية في مسألة الاحتجاج والاعتراض على عدة قضايا مجتمعية مختلفة ومتعددة المضامين، فكيف تتجلى الممارسة الاحتجاجية على الحائط عند الأفراد في مدينة الشلف؟

إن الاحتجاج ممارسة تعيد إنتاج نفسها باستمرار «رغم مظاهر التحديث التي طاولت أشكاله وموضوعاته، كخطاب وفعل يتكرر في الزمان والمكان بسبب وجود خلل وعائق أو اختلالات وأعطاب

ينبغي تجاوزها»¹، وتقع هذه الممارسة ضمن ما يعرف بالحركات الاحتجاجية والتي تعبر عن «أشكال متنوعة من الاعتراض، تستخدم أدوات يبتكرها المحتجون للتعبير عن الرفض أو لمقاومة الضغوط الواقعة عليهم أو الانتقاف حولها»²، والكتابة الحائطية هنا هي إحدى الأدوات التي يستعملها المحتجون، عندما تظهر على شكل خطاب يقوم ببساطة على مجموع الهتافات واللافتات والأيقونات والأغاني والخطب والكلمات والشعارات اللفظية والمكتوبة منها، فكثيرا ما ارتبطت الشعارات بالاحتجاج كطريقة للتعبير خصوصا وأنها اقترنت بالهتافات في أغلب الأحيان، كما تركزت في أحيان أخرى على الحائط، والشعار «يمثل الطور المكتوب للخطاب، والهتاف يمثل الطور المنطوق له، مما يخلق صلة بين مصطلح الشعار والمفهوم اللغوي للهتاف فكأنهما وجهان لعملة واحدة»³، ذلك لأن الهتافات الاحتجاجية لم تكن حاضرة على المستوى اللفظي فقط بل انتقلت إلى الجدران لتأخذ حيزا كبيرا على شكل كتابات ورسومات ورموز تعكس أحوال المجتمعات المتردية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، فيعمد الأفراد انطلاقا من كل هذا للمطالبة بالتغيير وتحسين الأوضاع دون حضورهم الفعلي في المشهد الاحتجاجي، وجعل الحائط يهتف نيابة عنهم باعتباره الحائط وسيلة سهلة ومجانية وجاهزة لإيصال رسائل احتجاجية، وهنا تساهم هذه الحيطان في تجسيد مطالبهم فيكتبونها بعده أشكال ولغات مختلفة هدفها واحد مفادها الأمل في وصولها إلى المعنيين بالأمر، ومن بين مظاهر الممارسة الاحتجاجية التي اتخذت من الكتابة الحائطية وسيلة لذلك ما توفره الصورة التي أمامنا.

¹ - الحبيب أستاذتي زين الدين، الممارسة الاحتجاجية بالمغرب، دينامية الصراع والتحول، مجلة عمران، المجلد 5، العدد 19، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، شتاء 2017، ص157.

² - نور الدين بكيس، قراءة سوسيولوجية في مسار الحركات الاحتجاجية بالمجتمعات العربية، مجلد دراسات اجتماعية، مجلد 5، عدد 3، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات التعليمية، 2013، الجزائر، ص13.

³ - أميمة صبحي خليل، خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية، مقاربة تداولية حجاجية، مجلة كلية الآداب للغويات والثقافات المقارنة، المجلد 15، العدد 2، جمعة الفيوم، مصر، 2020، ص561.



تمثل الصورة 01: تتضمن الصورة كتابة ورسمين ورمزا، مكتوبة بخط كبير تغطي مساحة كبيرة من الحائط الإسمنتي يقع بين بنايات سكنية، والعبارة مكتوبة باللغة الدارجة (نهار لي تسقموها عيطولنا نجو، قيلونا) أي «يوم تصلحونها اتصلوا بنا لنأتي، فقط ابتعدوا عنا» وهي عبارة تتم عن رفض واحتجاج (كي تسقموها) من خلال الدعوة إلى إصلاح الوضع في البلاد ورفضه، واتخاذ شرطاً للمكوث في البلد بعد إصلاحه، وذلك بكلمة (عيطولنا نجو)، أي سنكون هنا في حال توفر هذا الشرط، وكلمة (قيلونا) وتعني دعونا وشأننا، وهي محملة بالمعاني والدلالات عن رسالة مشفرة تجاه السلطات المعنية، دعوتهم بعدم ملاحقتهم وقمعهم.

تضمنت الكتابة الحائطية في الصورة رمزا (قلب منقسم لنصفين)، وهو رمز تعبري له توظيف دلالي عن الشعور بالحزن والحسرة، وربما الإحباط، لكن دلالة القلب المكسور هنا على الحائط كتأكيد على الامتعاض والحزن والاكتئاب من الوضعية التي شعر بها صاحب العبارة مما جعله يختصر كل الرمز التعبيري الذي بات يستعمل أيضا ضمن ما يعرف بـ الإيموجي وهي رسالة مختصرة تستعمل ضمن مواقع التواصل الاجتماعي.

وظف الكاتب كلمة **ASO** وهي اختصار لنادي كرة القدم جمعية أولمبي الشلف، كدلالة على تشجيعه لهذا الفريق الرياضي، لكن إقحام اسم هذا النادي له دلالة أخرى وكأن الكاتب يفصح أن كرة القدم هي المتنفس الذي يجعله راضيا عن وضعه وسط سخطه على الأوضاع الأخرى والواقع الذي يعيشه.

التحليل السيميولوجي: كتبت العبارة بحجم كبير بالنسبة للحائط الذي يحملها وأخذت مساحة كبيرة منه الغرض منها الانتباه لها من خلال حجمها كما أنها كتبت باللون الأبيض، «فاللون يمكن أن ينقل إلينا المعلومات بطرق مختلفة ومتعددة، فإمكانه أن يزيد من الواقعية وقد يزيد من الرمزية وقد يعكس حالة نفسية، أو يكون أختير لسهولة ملاحظته»¹، وربما ينطبق الأمر عند استعمال كتاب العبارة بهذا اللون بالرغم من أنها احتجاجية تعبر عن غضب داخلي إلا أنها كتبت بلون أبيض يرمز لعكس ذلك وقد كان توظيفه بغرض سهولة الملاحظة والرؤية ما يفسر كذلك كتاباها بخط كبير يملأ سطح الحائط، ومن هنا فإن هذه الكتابة جاءت على شاكلة صراخ موجه ضد السلطة وكتعبير عن تردي الأوضاع من خلال تكبير حجم الخط المكتوب، حيث يرى خبراء الخط أن حجم الخط أو الحرف «يعطي فكرة عن مدى الاهتمام الذي يوليه الكاتب لنفسه وللتصرفات التي يسلكها، ويشير حجم الخط أيضا إلى كيفية قيام الكاتب بتطبيع نفسه مع بيئته وإحساسه اللاشعوري بالآخرين»².

وردت لغة العبارة باللغة العامية الدارجة، ولعل سبب الاستعانة بها كان لأن اللغة العامية في مجملها تتوفر على «كلمات عفوية عكس الفصحى إذ تعتمد العامية على الجمل القصيرة نوعا ما عكس

¹ - خالد خالدي & سامية غشير، سيميولوجيا الصورة في الخطاب الفوتوغرافي (قراءة في صور مختارة)، مجلة دراسات فنية، المجلد 8، العدد 1، جامعة تلمسان، 2022، ص208.

² - سلوى المجنوني، بعض عناصر خط اليد (الجرافلوجي) وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طالبات الإعداد التربوي بجامعة أم القرى، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، تخصص إرشاد نفسي، قسم علم النفس، جامع أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011، ص33.

الفصحى، وترتيبها تميل إلى السهولة والبساطة بعيدة عن الغموض»¹، وهذا ما يجعل توظيفها ضرورة عند الكثير ممن يستعملون الحائط بغية إيصال ما يودون قوله أو تدوينه بسهولة وببساطة دون تعقيد، حتى تكون أكثر إقناعا وتأثيرا على القارئ أو المتلقي. كما يعتقد ممارسي الكتابات الحائطية في استعمالهم للغة الدارجة أنها أقرب لغة يمكن يتشاركونها معهم باعتبارها لغة الحديث والتواصل اليومي وأقرب للفهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن التوجه نحو الدارجة عند هؤلاء قد يرجع إلى المستوى التعليمي في الكتابة باللغة العربية الفصحى من حيث المفردات والتراكيب أو اللغات الأخرى كالفرنسية أو الانجليزية، الأمر الذي يجعل الدارجة الأقرب في التعبير والاستعمال.

تضمنت الصورة لغة احتجاجية ولو أنها جاءت بلغة بسيطة إلا أن معانيها قوية ومفعمة بالغضب والرفض والاحتجاج على الوضع، فصوت كاتبها يظهر بين أحرف كلماته الدالة على الغضب والزجر والتدنر والعنف الذي يملأ داخله، ما جعله يستعمل الحائط لإظهار كل هذا وإخراجه على سطحه، فالكتابة على الجدران لها ارتباط تاريخي مع الاحتجاج وليست جديدة على المجتمع الجزائري، تمتد إلى عهد الثورة ضد المستعمر الفرنسي، حيث شكلت وسيلة شبابية مهمة جدا في مواجهة السلطة، فكثيرا ما تنوعت بين كتابة ورسومات تعبر عن روح التمرد ضد الرسمي وضد الدولة، ما جعل الكتابات الحائطية تؤدي دور الإعلام في تعرية الحقائق والكشف عن حقيقة الأوضاع، وفي المقابل فإن الكثير من هذه الكتابات المدونة على الحائط المعبرة عن الاحتجاج قد تتجلى من خلال النبذة الواضحة في الكتابة كما هو الحال في المثال الذي بين أيدينا (الصورة رقم 01) حيث يظهر لقارئها أن صاحب الكتابة رافض وغير قابل للعديد من الأمور المجتمعية والحياتية التي تعكس نظرة ضبابية لما هو آت في حياة هذا المحرر أو المدون للكتابة أو حياة الشباب ككل.

¹ - فوزية طيب عمار، بين الفصحى والعامية مقارنة في المستويات اللغوية، منطقة الشلف أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، مجلد 8، عدد 2، جامعة الشلف، الجزائر، 2022، ص294.

لا يعبر صاحب الصورة بالضرورة عن نفسه بقدر ما يعبر ويكتب أو يدون بصيغة الجمع ويقصد الأفراد في مثل سنه ووضعيته الاجتماعية، وانطلاقاً من هذا فإن الكتابة الحائطية هي ملاذ المهمشين اجتماعياً، أولئك الذين لا يملكون القوة الكافية لفرض أصواتهم في المجتمع وتمير رسائلهم، فيكون الجدار أقرب ملاذ وأسهلها، إضافة إلى الميزة التي تمتلكها الجدران من غياب الفاعل وقت الممارسة الكتابية على الحائط ما يجعل التدوين والتخفي صفتان متلازمتان لا يتحققان إلا من خلال الكتابة الحائطية، هذه الأخيرة التي «تموه المخربون إذ يتشابه المواطن الصالح مع الفنان أو صاحب الكتابة الحائطية بين الجموع وكأن (الكل) يقول ما يقوله الجدار»¹، فلا يعرف صاحب الكتابة أو الخريشة أو الرسم هنا خصوصاً وأن الكتابة تتجهه للاعتراض على السلطة أو الاحتجاج ما يجعل تنفيذها سريعاً وفي أوقات مسطرة من قبل تكون ليلاً أو منتصف النهار أو في الصباح الباكر، حيث تقل حركة المارة.

الكتابات الحائطية «تغفل عمداً اسم صاحبها لأنها غالباً ما تكون منتهكة للأعراف والتقاليد، وكذلك لأن صاحبها لا يمتلك من السلطة أو الثروة أو القوة النفسية ما تجعله يواجه الآخرين، إذ هو في الغالب الأعم واحد من الشباب المهمشين، في حين أن البعض يذكر اسمه وهي محاولة لإثبات الذات في وجه مجتمع يغمطه حقه ولا يلتفت إلى ما لديه من موهبة أو تميز بحسب ما يرى هو ذاته، ولذلك فهو يكتب بحجم كبير لافت للانتباه»²، فيظهر هذا النوع من الكتابات من رحم التهميش والمعاناة لدى الفئات المحرومة، خصوصاً في المدن التي يعتقد فيها هؤلاء أنهم مقصيون من برامج التنمية ومن مركزها إذ يقعون على هامشها مع الكثير من اللامبالاة لذواتهم ووضعياتهم الاجتماعية، ما تجسده العبارات التي يخطها هؤلاء على الحائط مثل «ماراناش حابسين، يتنحوا قاع، دولة ولاد الحرام، يسقط النظام...»

¹ - أنظر: كمال البستاني، الجرافيتي فن ناقد للأحداث السياسية، مجلة الجديد، تاريخ الولوج 2023/06/28. <https://aljadeedmagazine.com>.

² - عادل محلو، مدارات اللغة، اللغة العربية في مدارات العولمة والمعارف والمجتمع، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، لبنان، 2016، ص 76.

يقودنا الحديث سوسيولوجيا إلى ما يسمى التهميش الحضري وهو مصطلح يشير في نظرنا- إلى عدم المشاركة الاجتماعية لكل الأفراد داخل المجال الحضري، وعدم التمتع بكل الحقوق المدنية يعبر عن «ممارسات مجالية وعمرانية وكذا اجتماعية تحدد وتفسر شكل مجالات هامشية معينة، تشوبها العديد من المعوقات (الفقر، عدم الاندماج، التمييز الاجتماعي، الإقصاء، البطالة، العنف... وغيرها)»¹، وانطلاقا من التهميش الحضري الذي قد يمهد الطريق لما يسمى بالعنف الحضري.

ورد في الجانب الأيسر من التدوينة رسم غير مفهوم، وهو ما يميز هذه الممارسة القائمة في كثير من الأحيان على الرمز والرسم المبهم والمتعارف عليه فقط بين فئة معينة على اعتبار أن الكتابة الحائطية ممارسة شبابية بامتياز، فحضور الرمز على الجدار ليس جديدا، بل هو فعل دأب عليه الإنسان منذ قرون، والكائن البشري كان «يختار رموزه استنادا إلى قاعدة عرفية، بعيدة كل البعد عن المنطق والاستدلال العقلي، فالإنسان يعمد إلى الرمز من أجل التعبير عن مجموعة من القيم بطريقة الإيحاء والتمثيل، فهو أداة حاسمة في تنظيم التجربة الإنسانية وذلك لأجل جعلها تجربة عامة ومشاركة بين الجميع»²، ومن هنا فإن الشباب يرى أن الحائط هو من يدعم صوته وتعبيراته ورموزهم التي ينتجونها بينهم، فقد يكون الهدف منها الإفصاح بما في صدورهم أو إيصال ما يتوقون إليه.

في الأخير إن الكتابات الحائطية قد تكون إحدى صيغ الاحتجاج عند الأفراد، ولا يخامرنا الشك أن التعبير على الحائط كوسيلة للاحتجاج قد يعتبرها الكثيرون أقرب وأسهل الوسائل المتاحة أمامهم للتدوينات الاحتجاجية، على اعتبار أن الحائط لطالما كان مغزيا للكثير من الشعارات السياسية

¹ - حموي عبد الهادي، التهميش الحضري، مفهوم معقد ومتشعب، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 2، جامعة قسنطينة 3، ديسمبر 2021، ص 106.

² - كعوان محمد، الرمز والعلامة والإشارة، المفاهيم والمجالات، ورقة مقدمة للملتقى الوطني الرابع السيميائي والنص الأدبي " 28-29 نوفمبر 2006، جامعة بسكرة، الجزائر، ص 5. الرابط: <http://archives.univ-biskra.dz/bitstream/123456789/3235/1/kaaouane.pdf>

والاجتماعية في كثير من مدن العالم، لكنه يطرح في ذات الوقت حمولة خطاب احتجاجي المضمحل بالعنف والحامل لدلالاته وتعبيراته، ما يجعل هذه الممارسات الاحتجاجية وإن غاب فيها الفاعل والمحتج حضوريا إلا أنها مع السياق العنيف الذي يمكن أن تتخذه فأنها تنسلخ من الطابع السلمي الذي يتوجب أن تتحلّى به هذه الممارسات، فضلا عن كونها غير قانونية في كثير من الأحيان، وإن كانت التعبيرات مكتوبة ومرسومة، فإن كانت هذه الأخيرة عنيفة فإنها قد لا تخدم هؤلاء المحتجين لأنها ستتلقى تدخلات من خلال عمليات المحو والطمس لهذه التعبيرات من طرف السلطة، بل التحرك أحيانا للكشف عن كاتبها خصوصا إذا تعلق الأمر بالكتابة ضدها (السلطة).

يمكن للكتابة الحائطية تحريك الرأي العام ما لا يستهان به، ولعل خير دليل ما حدث في شهر رمضان سنة 2023 أين أثارت كتابة جدارية جدلاً كبير في إحدى مشاهد مسلسل درامي عرض على التلفزيون الوطني، أظهرت "في أحد الأسواق بباب الواد بالعاصمة الجزائرية كتابة اسم "MAK"، وهي حركة انفصالية منطقة القبائل، وتصنف كحركة إرهابية، وفي بيان تناقلته وسائل إعلامية جزائرية، قامت "سلطة ضبط السمع والبصر" وهي السلطة المتخصصة في مراقبة جودة المحتوى المعروض على القنوات الجزائرية، بمطالبة إدارة التلفزيون الجزائري الحكومي بتوضيحات حول هذا المشهد، وجاء في البيان: «لقد سجلت سلطة ضبط السمع والبصر، من خلال متابعتها أحد برامج التلفزيون العمومي المتمثل في مسلسل الدامة في أولى حلقاته عند الدقيقة 19:45، مشهداً يظهر فيه جدار مكتوب عليه اسم حركة انفصالية مصنفة إرهابية»¹.

¹ - أنظر: بسبب كلمة "MAK" جدل كبير في الجزائر سببه أحد مشاهد مسلسل "الدامه" الرمضاني، تقرير موقع عربي بوست، <https://arabicpost.net/> ، تاريخ الولوج 2023/6/28.

نجد أن الكثير من الكتابات في مجال الدراسة عمرت لفترة من الزمن بالرغم من حملتها العنيفة من حيث الكلمات والدلالات، في حين تتعرض الكتابات السياسية الموجهة للسلطة مباشرة إلى المحو أو على الأقل بعد فترة قصيرة جداً من كتاباتها في سعي السلطة إلى الحد من الانسياق وراء هذه الكتابات أو التأثير بها، ومن هنا نلمس أن هناك توجيهها غير مباشر لمسالة الكتابة الحائطية وتغيير مسارها وإن لم تكن ضمن وسائل الإعلام الرسمية تحت شعار (أكتب على الحائط ما شئت، مادام لا يمس السلطة...).

يتقاطع فعل الاحتجاج مع ظاهرة الكتابات الحائطية كون «الاحتجاج في شكل التظاهر السلمي للمطالبة بحقوق معينة أو رفض واقع اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي، إذا ما تم في ظروف سلمية فإنه يظل فعلاً قانونياً في نظر القانون تكفله المادة 52 من التعديل الدستوري لسنة 2020»¹، والتي تنص على كون حرية التعبير مضمونة مع حرية الاجتماع وحرية التظاهر السلمي بما يحدده القانون من شروط وكيفيات لممارسة ذلك، لكن التعبير والاحتجاج عن طريق استغلال مساحات الجدران وتدوين الشعارات عليها وخطها على سطوحها يعتبر فعلاً غير قانوني كونه يؤثر على صورة المشهد العمراني للمدينة ويطمس الحيطان مع تخريب الممتلكات العامة والخاصة والتصرف فيها من دون حق، إضافة إلى كون الحائط يسهل تدوين شعارات مرفوضة في أشكال التظاهر الأخرى قد تمس بالدولة والأفراد، بسبب أن مدونها يبقى مجهولاً متصلاً من مسؤولية أفعاله، ما جعل الكثير من العبارات التي تهافت بها المحتجون خصوصاً في فترة الحراك الشعبي تحتضن من طرف الحائط (يتنحوا قاع، دولة مدنية ماشي عسكرية، مكاش انتخابات...).

¹ - المادة 52، التعديل الدستوري لسنة 2020، جريدة رسمية رقم 82، عدد 30 ديسمبر 2020، ص 14، الرابط:

<https://www.joradp.dz/FTP/jo-arabe/2020/A2020082.pdf>

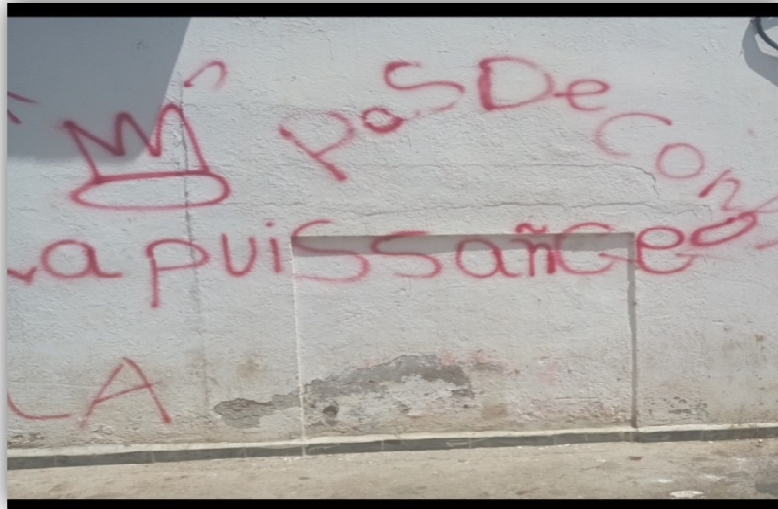
يختار الأفراد طرق عديدة للاحتجاج عن طريق الكتابة والوسيلة غير مكلفة وبسيطة وتقوم بدورها في إيصال رسائلهم حسب اعتقادهم وتفضل ما لا تفعله وسائل إعلامية أخرى في نظرهم، فالحائط يستقبل كل مظاهر الاحتجاجات على اختلاف أشكالها (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، شخصية...) دون قيود ويحتفظ بها لفترة زمنية مفتوحة، يقول أحد المبحوثين في حي الحرية (الفيرم سابقا) أنه «في فترة التسعينات سعت الجماعة الإرهابية على فرض شروط استعمال الفضاء العام على النساء من خلال الكتابات الداعية لتحجيبهن وإلا تعرض للتصفية ما أدى للكثير منهن لإرتداء الحجاب».

تعتبر الكتابة الحائطية وسيلة تواصلية بين الفرد وأفراد آخرين أو بين الأفراد والسلطة فهي الحامل والحاضن لأفكارهم وأهدافهم التي يسعون لتحقيقها، كما تحمل عبارات ذات معاني تسعى للتبليغ عنها لذا يمكن اعتبارها طريقة مجانية في التعبير وعشوائية في كثير من الأحيان ما يجعلها غير مرغوبة في طريقة طرحها، فالكتابة على الحائط ترتبط «تاريخيا بالاحتجاج حيث شكلت وسيلة شبابية مهمة في مواجهة السلطة، إذ تطورت رسوماتها وتنوعت أشكالها كتعبير عن روح التمرد ضد الرسمي والمعياري، جعلتها تؤدي وظائف مهمة وقت الأزمات والإعلام عن حقيقة الأوضاع، والتعبير عن الآمال السياسية»¹، فهي هنا تعري الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من خلال إظهار حقيقتها التي يتركها بعض الأفراد على الحائط، فالمهم عند هؤلاء يكمن في مدى وصول رسائل الاحتجاج إلى المعنيين بالأمر، والاحتجاج هنا قد يحمل مفردات مليئة بالنرفزة ورفض الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي غالبا.

يقود ممارسي الاحتجاج عبر فعل الكتابة إلى توظيف كلمات ورسومات ورموز عنيفة في المضمون والدلالة والرمزية، فالكتابات الحائطية الاحتجاجية كثيرا ما تظهر لقارئها من خلال النبرة

¹- محرز الدريسي، كسر الطوق وتملك هوامش المدينة، الجرافيتي دراسة شعارات الشباب في مسلك السكة الحديدية بتونس الجنوبية، مرجع سابق.

الواضحة في الكتابة والتي تعبر عن الغضب والثورة وعدم التقبل لعديد من الأمور الحياتية التي تعكس رؤية غير واضحة المعالم لما هو آت في حياة هؤلاء الأفراد ما يجعلهم يصعدون لهجتهم باستعمال أعنف التعبيرات على اختلاف أشكالها لتصل إلى جمهور المارة والملاحظين لهذه الكتابات، فتتعدى رسائلهم لتشمل كل الأفراد الآخرين على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم ومكانتهم، فما يتيح الحائط من مساحة واسعة للقراءة غير المنتهية لعدد مختلف من شرائع المجتمع قد يؤثر على أفراد هذا الأخير إذا ما كانت هذه الكتابات الاحتجاجية الحائطية عنيفة ونابية وحاملة لدلالات، وتعبيرات غير مقبولة اجتماعيا، والتي كثيرا ما تحمل في بواطنها معاني وأبعاد سيميائية تجمع بين ثنائية الاحتجاج والعشوائية في الكتابة والطرح.



تحتوي الصورة 02 على كلمتين مكتوبتين بـ اللغة الفرنسية إضافة إلى رسم رمز تاج الملك، فبخصوص الكلمتين فهما كالتالي la puissance وتعني القوة وما يقربها من معاني، أما الكلمة الثانية pas de confiance والتي تعني عدم الثقة، كتبت هذه الكلمات والرسم على دعامة حائط في منطقة تقاطع شارعين رئيسيين في وسط المدينة، ويتميز مكان هذه الكتابة بممر ضيق يتسع إلى شخصين إلى ثلاثة أشخاص على الأكثر في العبور، الأمر الذي يعطي دلالة على تواجد العديد من الكتابات في هذه

المنطقة بالذات وتتسم بخصوصية كونها بعيدة عن أعين المارة وموجودة في مناطق منزوية، حيث يلاحظها الأشخاص الذين يعبرون الممر الضيق نحو الشارع الآخر.

نلاحظ أن الكتابة الحائطية مكتوبة بلغة فرنسية، وهذا لم يأت عبثاً باعتبار هذه اللغة متداولة في الهيئات التعليمية والمؤسساتية، ولها «تأثير قوي على المخيال الثقافي لدى الجزائريين، فهي تعيش على أنها اللغة الرسمية بدون أن تكون كذلك بشكل رسمي، ما جعلها تؤثر على كل البناءات وحتى العقليات إلى يومنا هذا»¹. كما أن الكتابة باللغة الأجنبية والتوجه إليها واختيارها كلفة للاستعمال على حساب اللغة الأم أو اللغة الدارجة له مرجعية تاريخية، فهي لغة المستعمر، الذي حاول طمس الهوية الإسلامية وحارب العربية ونشر لغة المستعمر شكل من أشكال الاستعمار الثقافي للشعب الجزائري.

لا يزال الشارع مغتربا من خلال استعمال اللغة الفرنسية أو الأجنبية عموما يعزیه البعض على أنه مظهر من مظاهر الشعور بالنقص والدونية إضافة إلى «الانهزام النفسي والشعور بالدونية الحضارية الذي يغلب اليوم تجاه الغرب وما نراه من رغبة طاغية لدى الكثيرين في أن يقيموا في كلامهم أو كتاباتهم كلمات أو عبارات أو مصطلحات أعجمية لا تتطلبها مناسبة ولا تقتضيها ضرورة ولا يستدعيها مقام، وإنما هو شعور الضعف الذي سرا فينا واستحوذ علينا»².

إن استعمال اللغة الفرنسية للتعبير في الصورة 2 - حسب رأينا - فإن صاحبها تعمد الكتابة بلغة أجنبية كنوع من الغموض الذي يتركه عادة الممارس لهذه الكتابات، فبالرغم من قدرته على الكتابة باللغة العربية أو الدارجة السهلة القراءة والفهم والتفسير، إلا أنه فضل توظيف الفرنسية ليضفي بعض الغموض

¹ - لمياء مرتاض نفوسي، توظيف الفرنسية في العامية الجزائرية، مجلة جسور المعرفة، المجلد 1، العدد 4، جامعة الشلف، 2015، ص 88.

² - عائشة بن السايح & اسماعيل سيبوكر، مظاهر ومخاطر هيمنة اللغة الفرنسية على اللغة العربية في الجزائر وسبل مواجهتها، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، مجلد 6، عدد 1، جامعة الجلفة، 2021، ص 125.

على ممارسته، فعادة ما تتعدد أساليب الغموض عند هؤلاء وتتنوع حسب الشخص فهناك من يرى في الترميز باسم معين ك شيفرة في نهاية الكتابة طريقة له، كما يتميز آخرون بخطوط معينة في الكتابة ليحبذ آخريين استعمال لغة معينة أو لهجة أو حتى لغة مشفرة كدلالة على حضوره.

التحليل السيمولوجي: تحديدا عن نوعية الخط في الكتابة الحائطية أمامنا فإن هذه الأخيرة كتبت بخط كبير مائل تارة ومستقيم تارة أخرى ما يجعل للخط أهمية في تحليل محتوى الكتابة على الحائط، إذ يرتبط نمط الخط وطريقة الكتابة بالشخص الممارس لها، وفي هذا الصدد يقودنا الدكتور أحمد شراك إلى مسألة دلالة الخط ويؤكد أنه «على صعيد الخط عادة ما يستعمل المغرقت الخط المفخم والكلمات المفخمة على صعيد النص، والتفخيم اللغوي (أي تغليظ الحروف عند النطق بها أو كتابتها، وكلمة تفخيم جاءت مرادفة أيضا لكلمات أخرى مثل التسمين والتعظيم)، فالكتابة الخطية تتماثل مع الكتابة الصوتية، وتغليظ الخط عبر الذهاب والإياب على صعيد الرسم الخطي من أجل الإبراز والإظهار كتعبير عن الصراخ»¹، ولعل المراد من تضخيم الخط في الكتابة الحائطية في الصورة 02 يرجى منه الإظهار والتنبيه على وجود رسائل على الجدار مع تسهيل قراءتها من بعيد خصوصا وأنها كتبت بلون أحمر، وهو مثله مثل الخط له دلالاته هو الآخر في الكتابة لدى الشخص خصوصا، وأن الكتابة احتجاجية بالدرجة الأولى فإن استعمال هذا اللون دون غيره كان له أسبابه لعل أهمها التداخل بين اللون الأحمر والغضب والسخونة فهو لون الدم، وهو اللون الذي يوصف من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة، فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار وأكثرها تضاربا فهو لون البهجة والحزن والعنف" فاللون الأحمر هنا حسب كاتب هذه العبارات يعزز من مضمونها.

¹ - أحمد شراك، مرجع سابق، ص ص160-161.

تضمنت العبارة في الصورة 02 كلمتين ورسم، فالكلمتين اللتان كتبنا فوق بعضهما (القوة واللا ثقة مع رمز تاج الملك) وتتقاطع من خلال التحليل مع أفكار ثقافية لا تزال تمارس سيرانها عبر الحضارات ف «لا ثقة في السلطة»، وكأن صاحبها يريد إيصال رسالة احتجاجية تفيد بعدم قبول ما جاءت به السلطة، وهذه الأخيرة قد تنتسب إلى مفاهيم عديدة، يكون القصد من ورائها النظام السياسي أو السلطات القضائية أو التنفيذية...، فهذه الثلاثية التي اجتمعت في مساحة واحدة على الحائط، قد تقودنا إلى النبذة الرفضية التي قد تفرزها مع دلالات عنيفة على مستوى سيميائية الصورة والمضمون.

يصبح الحائط آلية من آليات التذمر والاحتجاج كاشفا مكامن عدم الاستقرار والتوتر التي يعاني منها الشباب خصوصا ما جعله يتوجه إلى تعنيف أسوار مدينته وتشويهها وهو بداية في نظرنا تخفي قضايا أعمق مثل ممارسة تجارة بالمخدرات والمهلوسات التي تنتشر أحيانا خلف ممارسة نشاط تجاري ظاهر (بيع السجائر، أو بيع الملابس على الأرصفة)، وعادة ما تكون نادرة بفعل الرقابة والضبط الرسمي، ما يجعل فعل الكتابة غير ممكن في كثير من الأحيان إلا في أوقات معينة (في الليل مثلا أو أوقات الظهيرة)، وفي أماكن يسميها أحمد شراك بأمكنة البياض، والمقصود بها تلك الأماكن التي لا تطالها الكتابات نظرا لقربها من أجهزة المراقبة كـ «مراكز الشرطة والدرك وغيرها من أجهزة الضبط الاجتماعي والقانوني».

لاحظنا في مجال الدراسة (شلف مركز) خلو حيطان وأسوار المؤسسات الأمنية من الكتابة أو الخريشة عليها في كثير من الأحيان، وذلك راجع للرقابة المستمرة لأعوان الأمن للمنطقة المحيطة بمؤسساتهم الأمر الذي يجعل التفكير في خطوة الكتابة على حوائطها غير ممكن، وكذلك الأمر بالنسبة إلى جدران بعض المؤسسات الأخرى، والتي وإن وجدت بعض الكتابات التي احتوت على كلمات غير

مفهومة ومتقطعة، وهناك ما كتب باعوجاج من خلال نمط الكتابة من طرف الشخص الذي كان حاضراً، والتي يمكن أن تكون كتابتها في ظروف سريعة خوفاً من أن يُضبط صاحبها.

تحليل الكتابة على جدران المدينة تشويهاً لهذا الفضاء العام ومساراً نحو ممارسة العنف مادي من طرف هؤلاء الممارسين وإن كانت كتاباتهم احتجاجية، فإن هذا لا يغفر بشاعة ما تم تركه من تشويه وطمس لجمالية أحد أهم الأماكن في المدينة ومركزها، وهذا ما يؤكد بول داونتون أن «الكتابة على الجدران لها دائماً جانب غير قانوني وإن وصفت على أنها فن للشارع، لأنها تتعارض مع مبدئين لا يلتقيان: الملكية الخاصة للمنشآت وحرية التعبير، فهذا المبدأ يتعارضان ويظلان دائماً على خلاف بطريقة ما»¹، وفي سياق آخر هناك من يعتبرها «ممارسة ثقافية تهدف إلى إعادة إنتاج أماكن ذات مغزى في المجتمع من خلال تدوين القيم والذكريات والهويات»²، وإثارة استخدام الحائط من مكان للعبور إلى مكان للكتابة والتجريب، ومنه إلى الطمس والتخريب باعتباره فضاء عمومياً.

تصبح الكتابة والخريشة على بعض الجدران والدعائم المختلفة للمدينة في فضاءاتها المختلفة بمثابة دعوة ونداء للآخرين باستعماله وإعادة استغلال هذا الفضاء، وهنا تصبح هذه الممارسات عملية اجتماعية يشارك فيها العديد من الأفراد على حساب المكان وجماليته داخل المدينة، ومن شأنها أن «تشكل شكلاً من الاعتداء على المجال العام الذي يعطيها فسحة للتعبير، ومنه فإنها تتلازم مع شكل من

¹ -Paul Dawnton, *Graffiti on The Path And The Nature of Public Space*, University of Melbourne, <https://www.thenatureofcities.com/2014>.

² - أنظر: دانة حسين ، إعادة قراءة الفضاء العام: التعبير بالغرافيتي في مواجهة العنف المكاني في فلسطين، <https://www.jadaliyya.com/Details/43033> تاريخ الولوج 24-06-2023.

أشكال التدهور الذي يعرفه المجال العام، وعمومية المجال المديني¹، كما قد يشعر المتجول في المدينة بعدم الراحة والأمان لما يشهده من فوضى ونشاز بصري ينتهك خصوصياتهم.

من هذا المنطق في السيطرة والهيمنة تظهر سلطة بعض الشباب الممارس للكتابات الحائطية وتعتبر عن محاولاتهم للانفلات من قبضة الرقابة ووضع حدود التحكم في هذه الفضاءات وبسط سيطرتها عليها، إذ لا يعقل أن تدعو إلى التغيير من أوضاعك إلى الأحسن بتشويه وتعنيف هذه الفضاءات على حساب مصلحتك الشخصية.

3-2. الكتابات الحائطية وخطاب المنع:

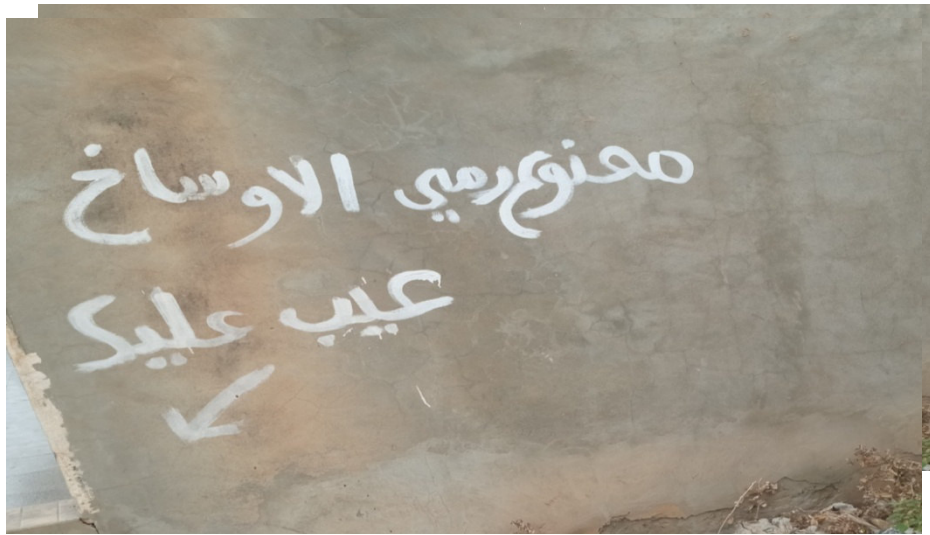
وردت كتابات متضمنة خطاب المنع من القيام بشيء أو سلوك معين، منها خلال دراستنا الميدانية، ومنها: (ممنوع رمي الأوساخ، ممنوع البول، ممنوع الجلوس، ممنوع التعناق،...)، وهي كتابات على الحائط يكون الغرض الأول منها التنبيه على عدم القيام بتصرف غير مقبول في مكان عام أو خاص، وهي تصرفات من طرف أشخاص تم ملاحظاتها الذي جعل البعض يحذر منها باستعمال الحائط، كالمنع من رمي الأوساخ في مكان عام (مدخل مبنى أو عمارة، طريق عام...)، أو المنع من الجلوس، وهي عادة ما تكون عند مداخل العمارات أو المباني الخاصة أو المؤسسات والدعوة على احترام هذه البنايات وأهاليها وخصوصيتها، والمنع من التبول غير أخلاقي ولكنه في ذات الوقت يحيل لعدم وجود فضاءات لقضاء الحاجة.

تدفع علاقات الجوار والتساكن المواطنين الغيرة على ضرورة احترام الفضاءات العامة وحماية عتبات البيوت والأماكن الحميمة التي يتقاسمونها، كونهم شاغلي مساكن أو دكاكين، وبالتالي يدافعون

¹ - هالة محمود المنقاري، مرجع سابق.

عنها أمام الدخلاء (البرانية) وعلى أمنها ونظافتها المادية والمعنوية، كما أنهم المتضررين رقم واحد من السلوكيات غير الأخلاقية التي تشوه الفضاء العام، والذي يمكن أن تجعلها عصابات الأحياء أوكارا للجريمة والانحراف إذا ما تم استنزافها وتهميشها.

حلت كتابات المنع محل اللافتة الإرشادية التي من المفترض أن تضعها السلطات الرسمية في المدينة، وتكون موجهة بشكل مباشر للإرشاد حول سلوكيات معينة أو النهي عن تصرفات للأفراد في أماكن محددة، لكن غياب هذه اللافتات الرسمية وعدم الرقابة، عزز من انتشار هذا النوع من الكتابات على الحوائط هنا وهناك داخل المدينة عجز رجال الأمن السيطرة عليها دون مساعدة من السكان وتعاونهم، ولو أن نية وهدف هؤلاء من النهي عن تصرفات تضر الآخرين أو المكان، إلا أنها قد ساهمت هي الأخرى في تشويه المنظر الجمالي للمدينة، والتي تنمو عن وجود سلوكيات غير حضارية أخرى، ناهيك عن تضرر الحائط بفعل الكتابة والخرشة عليه، وهذا ما توضحه الصور (03، 04، 05، 06).



العبارة الواردة في الصورة 03 (ممنوع رمي الأوساخ، عيب عليك) إرشادية محملة بعتاب للأشخاص المتسببين في رمي الأوساخ في الحي، ربما هذا العتاب ينمو عن محاولات عديدة في التكلم مع هؤلاء الأشخاص حول رمي الأوساخ في المنطقة لكن تواصل هذا الفعل جعل هذا الشخص يدون

كلامه بخط كبير واضح قصد الانتباه له مع التشديد والنرفزة التي تحملها كلمة عيب عليك «فالعيب أو الأمر المعيب لا يلزم أن يكون مذموماً شرعاً، بل قد يكون عيباً. ذوقاً أو مروءة»¹، وبالرغم من أن العيب والحرام يلتقيان في كونهما يزمان سلوكات غير مقبولة إلا أن العمل بالعيب أو ترك الأمور المعيبة أصبح يغلب على تركها كونها حراماً، ومن هنا اختار كاتب هذه العبارة أن يذكر هؤلاء أن التصرف عيب عليهم وغير مقبول بدل تذكيرهم أن أذى المسلم لأخوه المسلم لا يقبله الدين والشرع، لذا فإن «ثقافة العيب والحشومة، هي من وسائل الضبط غير الرسمية شأنها شأن الإشاعة والتخويف من الأولياء والصالحين والتذكير بالأصل الجنيولوجي (بالقول أحشم على أصلك)، حيث تجد صداها في المجتمعات التقليدية».

التحليل السيمولوجي: العبارة كتبت بلون أبيض على الرغم من كونها عبارة ناهية تحمل دلالة النرفزة والغضب والعتاب ولذلك دلالة رمزية خصوصاً وأنها تدعو إلى النظافة وما يقابلها رمزياً بالبياض، «فالغالب على اللون الأبيض أنه رمز الصفاء والنظافة والوضوح فقل عنه: ضعوا إلى جانبه ألواناً أو أشياء غير نظيفة وسنكتشف سريعاً أنه عين الحقيقة»².



¹ -أنظر: الفرق بين العيب والحرام، موقع إسلام واب، <https://www.islamweb.net> تاريخ الولوج 2023/07/02.

² - كلود عبيد ، الألوان، دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيته، ودلالاتها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2013، ص 61.

وردت في الصورة 04 عبارة (ممنوع بول) مع علامة تشير إلى حرف X باللغة الأجنبية، وهي كتابة غرضها إرشادي استعملها صاحبها للتنبيه بعدم استعمال المكان لقضاء الحاجة فيه باعتباره ليس مكان مخصص لذلك، وهي ظاهرة انتشرت بشدة في الكثير من الأماكن تنمو عن سلوك غير حضاري لصاحبها يرجع به إلى قرون سالفة أين كان الإنسان يقضي حاجته أينما وجد، وأحد أسباب هذه السلوكيات من خلال ملاحظتنا الميدانية في مدينة الشلف أو نقص مرافق المراحيض العامة داخل المدينة، على الرغم من كون هذه الأخيرة تستقطب يوميا آلاف الأفراد، إلا أن هناك إشكال كبير حول غياب هذا المرفق الذي يلزم الفرد أحيانا أن يتدارى خلف الأسوار والبنائيات والحيطان لقضاء حاجته، ولو أن السلوك يبقى مرفوض وغير مقبول اجتماعيا وأخلاقيا.

التحليل السيمولوجي: جاءت العبارة بلون أسود على اعتبار أن اللون أحيانا يتحدد بطبيعة المكان ومضمون الكتابة أو ما يتوافر لدى الممارس لهذه الكتابة بين يديه من لون يستعمله بغرض الكتابة، لكن اللون الأسود عادة ما يعبر عن وضع معين يحمل خلل ما، فاختيار الألوان «له دلالاته الثقافية وتكمن خلفها بنية عميقة، تحكي لنا المسكوت عنه في الحياة، معرّية الواقع المأساوي الذي عاشته شريحة واسعة من المجتمع، واضعاً يده على مكان الخلل التي أدت إلى تدهور الوضع وانحدار الأخلاق ومنه إلى شرح مجتمعي كبير»¹.

يمكن الإشارة في موضع آخر من العبارة على أنها خاطئة لغويا لأن صاحبها حذف ألف التعريف من كلمة بول- وهو خطأ لغوي من مجموع الأخطاء التي تظهر على الجدران وهذا راجع إلى تدني المستوى التعليمي لكاتبها خصوصا ما تعلق بالأسلوب اللغوي والنحوي في الكتابة وما يمكن اعتباره

¹ - أنظر: عباس آل مسافر، اللون بوصفه علامة ثقافية، جريدة المدى، تاريخ الولوج 2023/03/14

. <https://almadapaper.net/view.php?cat=230261>

تشويها للغه نفسها من خلال تحريفها شكلا وتراكيبا ونحوا إذ قد يغير صاحبها معنى الكلمة كاملا وهو لا يدري من العبث بزيادة أو إنقاص أحرف معينة.



تحمل الصورة 05 عبارة إرشادية أخرى (ممنوع جلوس) كتبت لمنع الجلوس والركون بالقرب من البنايات الخاصة للأشخاص ما جعل البعض يستاء من هذا التصرف الذي ينموا عن إزعاج، من خلال التحدث بصوت عال وإحداث الفوضى بالقرب من المنازل أو التجمعات أمامها ما جعل صاحب الكتابة يوظف الحائط لإرسال رسالة تنبه هؤلاء من امتعاضه وتضايقه من هذه السلوكات الراضية للتجمعات.

لاحظنا كتابة هذه العبارة ومثيلاتها على جدران العمارات خصوصا الطابق الأول على اعتبار أن ساكنها قريب جدا للشارع ولا يفصله عنه إلا هذا الحائط الذي يحول بين وبين تجمعات هؤلاء الأفراد ما جعله يستعمل نفس الحائط للتعبير عن ذلك، ناهيك عن نمط السكن في هذا النوع (العمارة) والذي يجعل الفرد يعيش جوا من التوتر الذي تخلقه حقوق وواجبات الجيران، «وهذا النمط من السكن جاء لتوفير المأوى لذوي الدخل المحدود والمتوسط، فأغلبهم من الطبقات الفقيرة والمتوسطة التي جاءت من أطراف المدن، مما يشكل الفارق الحضاري بينهم ومجتمع المدينة، ومن هنا قد يكون السكن أو البناء العمودي ركيزة للكثير من المشكلات الاجتماعية، وما يميز هذه السكنات العمودية أيضا ضعف العلاقات

الاجتماعية وتراجع علاقات الجوار للشرائح الاجتماعية الساكنة فيها فضلا عن الضوضاء والضجيج نتيجة احتوائها على أعداد كبيرة من الأسر المتعددة الثقافات إذ تتصف علاقاتهم أيضا بالفتور والبرود»¹.

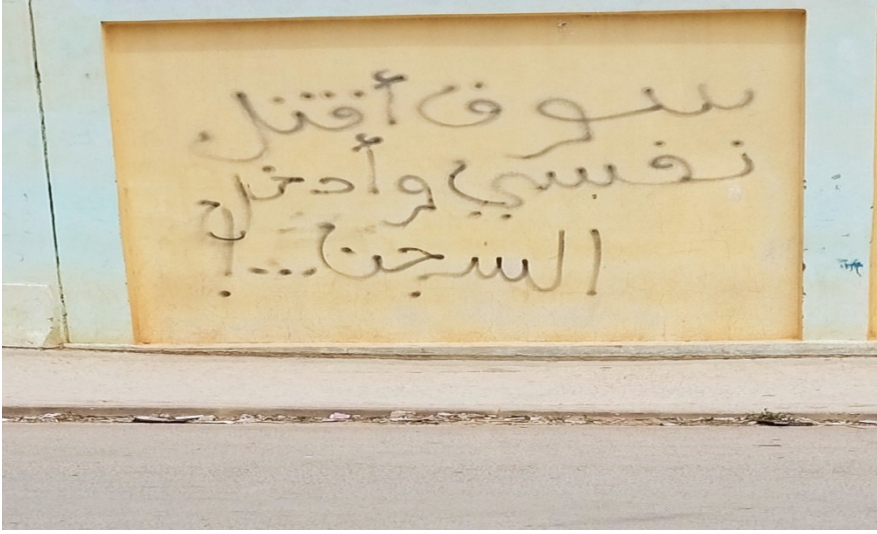
التحليل السيمولوجي: كتبت العبارة بلون فضي يعكس قوة وشدة صاحبها في التنبيه لفحواها إذ قلما يستعمل اللون الفضي في الكتابات الحائطية المنتشرة في المدينة وهو لون يجذب الانتباه ما يجعله يترك تأثيرا واضحا على الآخرين، «فالألوان هي المظاهر الحسية التي تحدث تواترا في الأعصاب وحركة في المشاعر، إنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس»²، وبخصوص الخط الذي كتبت به العبارة، فنلاحظ أن بعض الحروف تم تمديدها ورسمها بشكل لا يشابه الحروف الأخرى وهو ما يفسر تغيير الكلمات عن الشكل الطبيعي، والذي يروونه خبراء الخط أنه "عندما تكون الكتابة عند الشخص في زيادة عن حجمها الطبيعي فإنها تشير إلى رغبة هذا الشخص في أن يحوز على اهتمام الآخرين، وأن يكون معترفا به، وهو شخص لا يحب العزلة"³، والعبارة غير صحيحة لغويا إذ هي الأخرى حذفت منها ألف ولام التعريف الخاصة بكلمة الجلوس ليكتبها صاحبها جلوس ما يفسر معرفته الخاطئة بتراكيب وقواعد اللغة العربية.

¹ - عماد عبيد حمد الجنابي، المشكلات الاجتماعية للسكن العمودي، دراسة ميدانية في محافظة بابل، رسالة ماجستير علم الاجتماع (غير منشورة)، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2016، ص 3-4.

² - نجوى منصور، مرجع سابق، ص 1011.

³ - سلوى المجنوني، مرجع سابق، ص 34.

4. خطابات العنف في الكتابة الحائطية:



العبرة الواردة في الصورة 06 (سوف أقتل نفسي وأدخل السجن) عبارة كتبت باللغة العربية الفصحى بخط كبير واضح على دعامة حائط، هي عبارة تهكمية تحمل دلالات عنيفة على مستوى الكلمات والمعاني، فالعبرة هذه حسب رأينا على قدر ما هي تهكمية ساخرة يرافقها رد فعل يعبر عن استغراب وضحك لقارئها للوهلة الأولى لحظة إبصارها وقراءتها، إلا أننا مفسرها وفق جانبين اثنين، من خلال تقسيم العبارة لمقطعين، المقطع الأول: (سوف أقتل نفسي) وهو تعبير صريح عن رغبة كاتبها في الانتحار، وهو أمر خطير يحمل أشد دلالات العنف درجة خصوصا على المستوى الاجتماعي والأخلاقي والنفسي.

لعل أول وأكثر من قدم تحليلا سوسيولوجيا لمفهوم الانتحار عند اميل دوركهايم «على الرغم من أن البشر يعتبرون أنفسهم أفرادا يتمتعون بالإرادة وحرية الخيار، إلا أن أنماط سلوكهم كثيرا ما يجرى تشكيلها وصياغتها، وتظهر دراسة دوركايم أنه حتى في ما يبدو أنه فعل شخصي محض مثل الإنتحار،

فإن العالم الاجتماعي له أثره¹. كما يمكن تسمية هذا الشطر من العبارة وهذا التصريح الكتابي بما يسمى بالتفكير الذي يسبق محاولة الانتحار، والذي تم التعبير عنه كتابيا فمحاولة الانتحار هنا «هي نداء خافت رمزي يدعو إلى الغوث والمساعدة وإنقاذ الموقف، فالمحاول للانتحار يحاول أن يلفت أنظار محيطيه لمشاكله»²، ومن بين طرائق لفت الأنظار للآخرين وجد هذا الشخص في الحائط الملاذ، لذلك راح يخط العبارة بخط كبير الحروف واضحة الكلمات وبطريقة صريحة ومباشرة، وكأنه إعلان بالرغبة في قتل نفس أمر بسيط، فالفعل الكتابي الحائطي لا ريب أنه سيتترك أثرا نفسيا بالغا لدى الشباب والمراهقين والمارة، وهم يقرؤون بشكل يومي هذا الإقرار بإنهاء الذات، الأمر الذي قد يعزز ويدعم السلوك الانتحاري، وما يزيد خطورة هو مكان هذه الكتابة الحائطية التي كتبت على جدار يقابل مدرسة تربية (ثانوية).

إن خروج المئات من الطلبة، وهم يقرؤون العبارة من شأنه أن يحرك لديهم بعض السلوكيات الانتحارية في ظل تفكك الروابط الاجتماعية أو إرتخائها، خصوصا أمام ما يعاني منه المراهقين من ضعف الاتصال الاجتماعي وسوء التكفل بهم عاطفيا في الأسرة والمجتمع ما يجعل الأمر ممكنا ولو على مستوى جزئية التفكير في هذا الفعل الانتحاري.

يساعد على استفحال الأفكار الانتحارية والتخلي عن الطموحات نحو المستقبل والفشل العاطفي ممثلة في ظاهرة الخرس الأسري التي تعاني منها الأسرة الجزائرية، وهي بمثابة «تعبير عن الصمت والعزلة وغياب الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة»³، والخرس هنا جاء ليعبر عن انعدام الكلام والحوار بين أفراد الأسرة خصوصا المراهقين الذين يبتعد الكثير منهم عن التفاعل مع باقي أفراد الأسرة وعيش عالمهم

¹ - أنتوني غدنز، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 69.

² - وردة بلغازي، سمات الشخصية المميزة لمحاولي الانتحار (عرض لحالة عيادية)، مجلة دراسات في علم النفس الصحة، المجلد 7، العدد 3، جامعة الجزائر 2، 2022، ص 44.

³ - محمد النذير عبد الله ثاني، أثر مواقع التواصل الاجتماعي على الخرس الأسري، دراسة في نظرية الاستخدامات والاشباع موقع الفايبيوك أنموذجا، مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 32، جوان 2018، ص 516.

الخاص في هذه الفترة المليئة بالتفاعلات الجسمية والنفسية والاجتماعية، ومع هذا الخرس الأسري يتجه المراهق إلى البحث عن بدائل للحوار أو التفاعل بدل الأسرة والمجتمع.

تمثل المقطع الثاني في كلمتين (أدخل السجن) تصريح مفاده الرغبة في دخول السجن واختيار هذا المكان الذي تتم فيه عملية سلب حرية الإنسان كعقوبة معينة جراء ارتكاب فعل يخالف القانون في مجتمع ما، فالسجن ذلك المكان الذي لا يستطيع الفرد التحرك خارجه أو تغييره أو الخروج منه بالكامل بإرادته إلا بانتهاء الفترة المحددة في حكمه أو العفو عنه، ورغم كل ما يتميز به السجن في مؤسسة عقابية من صفات تجعل الفرد يتجنب كل السلوكيات التي قد تقوده إلى هذه المؤسسة إلا أنه «توجد فئة من الأفراد تعيش في وسط جد خاص يتميز بالحرمان من الحرية، حيث يفرض عليهم أسلوب حياة جديد مع الخضوع لتهميش المجتمع ولنظام يفرضه القانون»¹، وانطلاقا مما تم ذكره فإن بعض الأفراد يفضل التوجه إلى السجن هروبا من الواقع المعاش معتقدا أنه الحياة في السجن أفضل له من يومياته التي يقضيها داخل مجتمعه، وهذا الاعتقاد يمكن التصريح به على أشكال عديدة والكتابة على الحائط واحدة من هذه الأشكال التي يتبناها هؤلاء الأفراد في عجزه على الاندماج والتموضع في المجتمع.

نلمس من الصورة 06، توجه كاتبها إلى الرغبة في الموت أو دخول السجن مفضلا كلاهما أو أحدهما على المكوث داخل مجتمع لا يراه أفضل من اختياراته التي خطها على الحائط، فالعبرة لها بعد احتجاجي عنيفة من حيث الكلمة والمعنى، فالذي وصل به الأمر إلى تفضيل الموت أو السجن قد وصل لا محالة إلى مرحلة من اللامواجهة إزاء المواقف الحياتية التي نواجهها يوميا، فكثير ما يعاني الشباب اليوم من ضعف الآليات الدفاعية وعدم القدرة على الاحتمال الأمر الذي يجعله يختارون طريق الاستسلام، وفي دراسة جزائرية حول أساليب مواجهة أحداث الحياة الضغطة لدى الشباب أكد صاحبها أن

¹ - يعيش مهدية، تواتي نورة، الحياة في السجن وسياقات التكيف، مجلة حوليات الجزائر 1، المجلد 36، العدد 1، جامعة الجزائر 1، 2022، ص 623.

«هناك من الشباب من ليس لديهم القدرة الجيدة على مواجهة ضغوط الحياة فيتعاملون معها بضعف وسلبية ويقبلون الموقف الاستسلامي في تعاملاتهم مع تلك الأحداث»¹، الأمر الذي يجعلنا ننوه هنا إلى نقطة خطيرة هي الأخرى ويتعلق الأمر هنا بالشخصية الانهزامية عند الشباب، وهي تلك الشخصية المحترفة في إلقاء اللوم على الآخرين والظروف والأوضاع ككل، ويسمى البعض في مجال علم النفس بالانكسار النفسي، فالشخصية الانهزامية والتي عرفها الدكتور محمد السعيد أبو حلاوة على أنها «حالة من الشعور بالعجز وقلة الحيلة وانعدام الفاعلية في الحياة، والتعاسة العامة، وهي دالة في جزء منها لأسباب وظروف نتيجة التنشئة الاجتماعية غير السوية»²، وهنا قد تجر هذه الشخصية صاحبها إلى الاحتجاج بطريقة انهزامية ومنكسرة وبائية وعنيفة في بعض الأحيان مثلما هو الحال في طريقة التعبير على الحائط، فيترك هذا الشخص أثرا سلبيا على الآخرين من خلال مواقفه ونظراته للحياة.

التحليل السيمولوجي: كتبت العبارة باللون الأسود الذي له دلالة يتوافق نوعا ما مع مضمونها فالألوان لها الكثير من الدلالات النفسية والاجتماعية عند الأفراد والمجتمعات وكثيرا ما ترتبط بمواضيع معينة ارتباطا وثيقا فيدل لون معين واستخدامه على موضوع لصيق به في المخيال الاجتماعي للأفراد فمثلا " لم يأت ارتباط التشاؤم باللون الأسود عبثا، وإنما نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات والمواقف الحزينة أو غير البهيجة، فقد اعتاد الناس لبس السواد عند الحزن فربطوا السواد بالموت وشاع بينهم الخوف من الظلام وما يحمله من مجهول فربطوا الخوف من المجهول بالسواد»³.

¹ - عبد الله عبد الله، أساليب مواجهة أحداث الحياة الضغطة لدى الشباب، دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجزائري، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، المجلد 1، العدد 2، المركز الجامعي إليزي، 2020، ص 419.

² - محمد السعيد عبد الجواد أبو حلاوة، الهزيمة النفسية، ماهيتها، مؤثراتها، محدثاتها، تداعياتها، والوقاية منها، دراسة في بناء المفهوم، مجلة كلية التربية، المجلد 4، العدد 3، جامعة دمنهور، مصر، 2012، ص 189.

³ - أحمد مختار، اللغة واللون، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص 201.

إن دلالة الألوان ورمزيتها لها تأثير كبير على توجه الشخص الممارس للكتابة الحائطية والتي تفرض عليه استخدام لون معين في هذه العملية إذا ما استثنينا في ذلك الكتابة التي تكون عبر النقش أو الحفر فإن الأنماط الأخرى للكتابة يحتاج صاحبها إلى اختيار لون معين للخط أو الرسم على الحائط، «فالألوان تمتلك قدرة ممزوجة من التأثيرات الوظيفية التعبيرية والجمالية وانطباعات عاطفية ونفسية إن وُظفت أصبحت قادرة على كشف ملامح شخصية الفرد وفق ممارسة لون ما»¹، فكتابة العبارة على الحائط باللون الأسود لها دلالة على التشاؤم والخوف من المجهول وذكر الموت في نظر كاتبها ومن هنا كان لابد من أن يكتب باللون الأسود لا بغيره حسب اعتقاده، ومن جهة أخرى قد يحضر اللون الأسود في كثير من الكتابات، لأنه ملفت وواضح على خلفية بيضاء أو صفراء وهذه هي طبيعة ألوان الخلفيات الإسمنتية في كثير من الأماكن خصوصا ما تعلق بالأماكن والفضاءات العامة، فقلما نجد مبنى أو مؤسسة حكومية أو عامة مطلية بطلاء لا يقترب من هذان اللونين (الأبيض والأصفر) وما يقربهما، من هنا فإن الممارس للفعل الكتابي الحائطي يمكن أن يفكر بالدرجة الأولى في نوعية الخط الذي يتوافق في الظهور للقارئ فيجد أمامه اللون الأسود سيدا في حضوره على هكذا دعائم ذات خلفية مطلية باللونين المذكورين آنفاً، وكأن هذا الشخص يريد أن يضع صورة أمامنا بعد تحضيرها مهما كان محتواها (كتابة، رسم، خريشات، رموز...) ويقدمها لنا، فالكتابة على الحائط هي صورة يقف عندها المتلقي أو المشاهد لها ليدرك من خلال الصورة (الكتابة الحائطية هنا) أشياء ورسائل معينة فالصورة على العموم «يتم إنتاجها عمدا فهي مصممة ومعدة كي تنتقل مدركات ومضامين وتأثيرات أولية، فالصورة هنا هي مصدر تأثيرات نفسية»².

¹ - لبنى فتيحة، مرجع سابق، ص 215.

² - جاك أومون، الصورة، تر: ريتا الخوري، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص 131.

وردت الكتابة في الصورة 06 بخط كبير الحجم واضح يملأ تقريبا المساحة الكلية للجدار المختار للكتابة عليه، وحجم الخط الكبير له دلالة بلفت الانتباه والحضور، كما يشير هذا كذلك ضمن ما يسمى بعلم الجرافولوجيا الذي يعرفه الدكتور محمد عبد السلام على أنه «محاولة منظمة لفحص خط اليد وتحليله بغرض الاستدلال من خصائص خط اليد على شخصية كاتبه إجمالاً، أو على الحالات النفسية التي صاحبت عملية الكتابة أو بغرض الكشف عن جوانب في أعماق شخصية الكاتب»¹، والكتابة بخط كبير من «منظور الجرافولوجيا تشير إلى أن صاحبها أكثر نشاطا وديناميكية وأكثر انطلاقا نحو العالم الخارجي»²، وبخصوص «الانحناء الحاد الذي يميز بعض الحروف في الكلمات يشير إلى أن هذا الشخص ينتقد ويعاقب نفسه لدرجة كبيرة»³، ولعل هذا ما تبرزه الكتابة الحائطية من انحناءات حادة في الحروف والبيت تعبر عن الانتقاد المفرط لكتابتها لذاته والتي وصلت للموت حسب كلماته على الحائط.

أنهى الفاعل نهاية العبارة برسم علامة التعجب مرفقة بنقاط ثلاث في الأخير، وعلامة التعجب التي «تستخدم للدلالة على الدهشة في الغالب، لكن البعض يفضل تسميتها بعلامة التأثر، إذ يمكن أن تأتي نهاية الجمل التي تدخل على تأثر وجداني شديد كالحنين...، وهذه العلامة تشير إلى التطرف في المشاعر على وجه العموم من تعجب وخوف وقلق واضطراب وسعادة وحنين»⁴، وربما هذه المشاعر ما جعلت كاتب العبارة يوظف علامة التعجب آخر كتابته دلالة على تأثره وتعبيرا عن وضعيته، إلا أنه وفي الجانب اللغوي «يجب أن نشير إلى أن علامة التعجب أو التأثر تأتي في نهاية الجملة، أي أنها علامة على انتهاء الجملة، ولهذا فلا يمكن معها أن نضع نقطة أو نقاط، إذ يحتوي رسمها بالفعل على نقطة

¹ -محمد عبد السلام، علم الجرافولوجي، منشورات مكتبة نور، 2020، ص20.

² -المرجع نفسه، ص40.

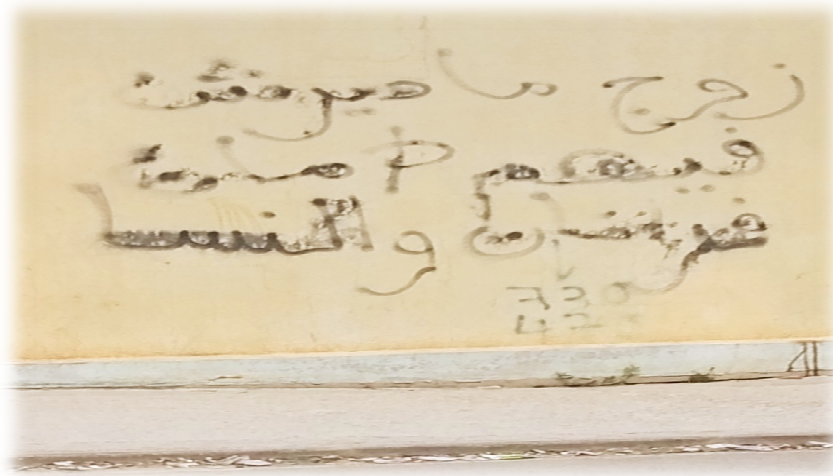
³ -المرجع نفسه، ص50.

⁴ -محمود عبد الرزاق جمعة، الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية، ط3، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2012، ص ص336-337.

تحت الخط الرأسي»¹، وهذه من بين الأخطاء اللغوية والتراكيبية التي تمس اللغة العربية ما يعتر عفا ضد اللغة نفسها يمارسه كاتبها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

5. العنف ضد المرأة من خلال الكتابات الحائطية:

1-5. ظاهرة التشهير:



مضمون الصورة 07 (زوج ما ديرش فيهم لمان، فرانات والنسا) أي «اثنان لا ثقة فيهما المكابح والنساء» هذه الكتابة التي كتبت على شاكلة مثل شعبي جزائري بلغة عامية وليست فصحي، فالعامية كما قيل عنها في سبب تداول الأمثال الشعبية بها «يجد فيها كل أفراد الشعب ضالته فيندفع إليها متلقيا ومتذوقا»²، واللغة العامية التي تحمل هذه الأمثال الشعبية «قادرة على أن توصل معانيه ومضامينه بسلاسة وعذوبة، فالعامية لها قوة حيوية موضوعية في التصوير تفوق فيها اللغة الأدبية ذات الطابع العام

¹ - المرجع السابق، ص337.

² - بوزيد رحمون، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة موضوعاتية جمالية، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة المسيلة، (غير منشورة)، 2016، ص10.

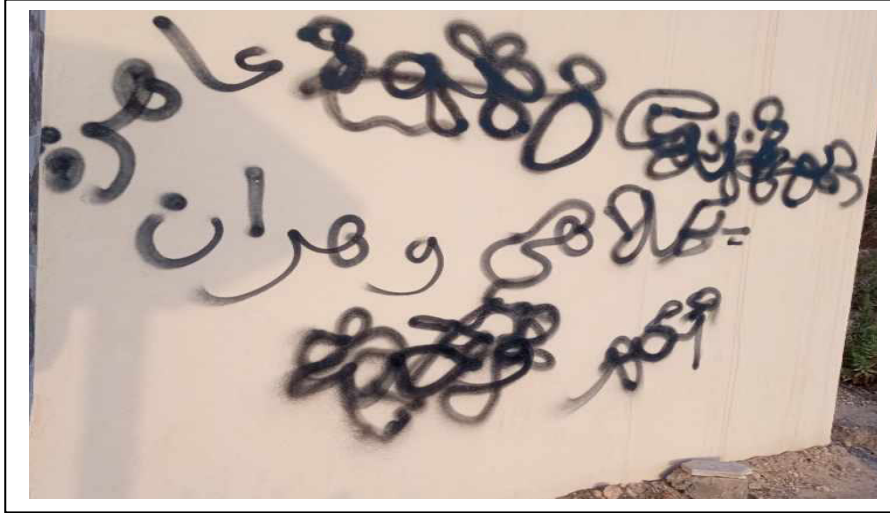
الفني العلمي، فهي لغة تخاطب وتواصل داخل المجتمع»¹، والخاصية الأخيرة هي ما دفعت كاتب هذه العبارة التي اختار لها أسلوب المثل الشعبي لإيصالها ومخاطبة الآخرين مشبها فيها المرأة بخطورة المكابح في السيارة والتي إن قدر وتعطلت فإنها تؤدي إلى الهلاك لذا وجب التأكد من سلامتها دائما قبل الإقلاع.

تحمل الثقافة الشعبية المرأة الكثير من المآسي التي يعرفها الرجل فلا يجب الثقة فيها أبدا، لأنها مقترنة بالغواية والخطيئة، فصاحب هذه الكتابة الحائطية يمارس فعل العنف الرمزي على المرأة من خلال فعل آخر ألا وهو الكتابة أمام أنظار الآخرين والمارين في الشارع، والذين يصادفون يوميا هذه العبارة مسطرة بشكل كبير ظاهر مقروء للعيان تقرأه المرأة والرجل على حد سواء، فالكثير من الأمثال الشعبية هي تعبير عن خطاب ذكوري يؤسس عبر آليات وأساليب متعددة أهمها التنشئة الاجتماعية بكافة مؤسساتها، هذا الخطاب الذي يعلي من شأن الرجل ويحط في المقابل من قيمة المرأة والذي يتوارث من جيل لآخر عبر رمزية المثل الشعبي فيلقى في المجالس ويردد على شفاه المتحدثين ويقع في آذان السامعين ويكتب على صفحات الكتب وسطوح الجدران.

التحليل السيمولوجي: جاءت الكتابة باللون الأسود وهو لون جاء في مكان لون آخر طالما كان معبرا عن مواضيع المرأة والحديث هنا عن اللون الأحمر، لكن كاتبها فضل اللون الأسود والذي يعبر في العادة عن «السلبية المطلقة وهو لون الحداد، ولون العقوبة والإدانة»²، فتأكيد صاحب الكتابة هنا على هذا اللون يعكس الشعور المقيت تجاه المرأة التي فضل أن يكتب لها بالسواد بدل أي لون آخر.

¹ - بوزيد رحمون. المرجع السابق، ص11.

² - كلود عبيد، مرجع سابق، ص64.



تشير الصورة 08 إلى كتابة على سطح جدار إسمنتي (فلانة xxxx بنت xxx عاهرة بملاهي وهران، أكرمكم الله) وعبارة الأخرى تم تشويهها عمدا تشير في الغالب إلى اسم شخص معين حسب مدلول العبارة، وهي كتابة كتبت خصيصا لأنثى أراد صاحبها أن يشهر بها لأسباب مجهولة، بالإضافة إلى تشويه الجدار أراد الفاعل هنا أيضا تشويه سمعة المعنية والتشهير بها، وهو فعل مخالف للقانون الجزائري والعديد من القوانين في المجتمعات، فالتشهير هو «الجرائم التي ينشر فيها المعتدي أسانيد جارحة تنال من شرف المعتدي عليه وكرامته وتعرضه لكره الناس»¹، وله آثار نفسية قاهرة وصعبة في حياة الفرد المشهر به، مما قد يحوله إلى شخص غير مرغوب فيه اجتماعيا وأسريرا بالدرجة الأولى، وتتنوع أساليب التشهير عند الأفراد. كما يحددها المفهوم القانوني لهذه الظاهرة والذي يتلخص في «إقدام شخص طبيعي أو معنوي على إصدار كلام مكتوب باليد أو مطبوع بالآلة يتضمن تهجما على أحد الأشخاص أو إحدى المؤسسات يمس سمعتها بهدف تشويهها والتشهير بها»²، علما أن الكثير من قضايا التشهير حسب مجتمع البحث «أدت إلى هجرة عائلات وشردهم بسبب الفضيحة والعار الذي ألحقته بها

¹ - بن دعاس لمياء، جريمة التشهير بالأشخاص بالإعتداء على حياتهم الخاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي في التشريع الجزائري، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، مجلد9، عدد1، جامعة باتنة، 2022، ص758.

² - المرجع نفسه، ص760.

كما سجلنا حالة هروب لزوجات بسبب اتهامها بالخيانة الزوجية وانتحار أخرى بسبب تسريب صور وفيديوهات لها والتشهير بها في وسائل التواصل الاجتماعي وعبر الكتابات على جدران الحي الذي تقطن به».

ورد في سنة 2010 أن الجهات الأمنية «فتحت تحقيقات حول بعض الكتابات الحائطية التي أصبحت تنتشر... على جدار البنايات والمؤسسات العمومية، وهذا بعد رواج أرقام هواتف لأشخاص تمس بحرياتهم وحياتهم الشخصية، حيث أقدم الكثير من المجهولين على كتابة أرقام هواتف الفتيات وبعض الأشخاص المعروفين في الأماكن العمومية وعلى اللافتات والحائط والواجهات، كما انتشرت الرسومات الخادشة للحياء في محطات النقل وأمام المساجد. تمكنت مصالح الأمن في الفترات السابقة من توقيف بعض الشباب الذين يدعون للصعود إلى الجبال والانضمام للجماعات الإرهابية عن طريق الكتابات في الحائط وأحيانا داخل المسجد، على سبيل المثال الشاب الذي أوقف السنة الماضية ببراقى بعد التوصل إليه اثر فتح تحقيق حول كتابات وجدت على حائط مسجد بالمنطقة تدعو للالتحاق بالجماعات المسلحة، وتسبب الدولة»¹.

إن لجوء الأفراد في المجتمع الجزائري لفعل التشهير بأي شخص مهما كان يلقي عقوبات حددها «قانون العقوبات الجزائري في المادة 303 مكرر والتي يأتي نصها كالتالي: المادة 303 مكرر: يعاقب بالحبس من ستة (6) أشهر إلى ثلاث (3) سنوات وبغرامة من 50.000 دج إلى 300.000 دج، كل من تعمد المساس بحرمة الحياة الخاصة للأشخاص، بأية تقنية كانت وذلك:

1. بالتقاط أو تسجيل أو نقل مكالمات أو أحاديث خاصة أو سرية، بغير إذن صاحبها أو رضاه.

¹ - تحقيق أمني حول ظاهرة عرفت انحرافات في حق مواطنين ومسؤولين السجن للمتورطين في الكتابات الحائطية المسيئة للمسؤولين والهيئات والأشخاص، الشروق أون لاين، 2010/11/19

2. بالتقاط أو تسجيل أو نقل صورة لشخص في مكان خاص، بغير إذن صاحبها أو رضاه، أو

يعاقب على الشروع في ارتكاب الجنحة المنصوص عليها في هذه المادة بالعقوبات ذاتها

المقررة للجريمة التامة ويضع صفح الضحية حدا للمتابعة الجزائية»¹.

إن التشهير باسم شخص وربطه بمكان لا يليق بامرأة يعتبر من أشد أنواع التشهير تأثيراً على الضحية خصوصاً إذا تعلق الأمر بالمرأة، والتي يصبح هنا فعل التشهير ملازماً للعنف ضدها ولو أنه يقع ضمن العنف الرمزي اللغوي، فاستعمال الحائط هنا يفسر قوة التأثير التي قد يتركها هذا الأخير في نقل عبارات القذف والتشهير والانتقام من الأفراد، فالحيطان منابر شعبية تصل إلى كل الشرائع المجتمعية على حد سواء، ما يجعل التأثير عميقاً وعلى فترة طويلة، ما يلحق الضرر بالضحية وأقربائها، مثلما توضح العبارة هنا والتي طمست أجواء منها يتبين إلى حد بعيد أنها تعود لاسم الضحية أو لقبها العائلي أو معلومات شخصية أخرى.

التحليل السيمولوجي: جاءت العبارة بلون أسود يفسر مدى العنف والحقد الذي كتبت به العبارة إذ صاحبها لم يجد أمامه إلا اللون الأسود الذي يعبر عن فحوى رسالته التشهيرية ربما لاعتقاد منه بسواد أعمال المعنية وربطها بالعمل في الملاهي والبلغاء ونعتها بالعهر، الأمر الذي جعله يعبر عنها بهذا اللون، أو بسبب سطح الجدار الأبيض الذي أثار فيه استعمال الأسود كأكثر الألوان وضوحاً على هكذا خلفية، ولأن «لكل لون أبعاده الإيحائية ودلالاته الرمزية التي تعلل وجوده في سياق بعينه دون غيره، أين يصبح الفضاء اللوني هنا علامة وبنية كثيفة بأبعاد رمزية، فيتعدى كونه مجرد فضاء لوني إلى موضوع

¹ - قانون العقوبات، الأمانة العامة للحكومة، رئاسة الجمهورية، الجزائر، المادة 303 مكرر، الصيغة المعدلة لعام 2015، ص113.

دلالي مشبع بأبعاد جندرية واضحة لها خلفية اجتماعية وثقافية، كما يشير رولان بارث في أن اللون في حد ذاته لغة ناطقة»¹، واللون هنا واختياره قد يمثل عبارة منطوقة من طرف صاحبها.

وردت لغة الكتابة باللغة الفصحى بالرغم من توفر مصطلحات عامية خادشة تقابل العبارة المكتوبة إلى أن الفاعل فضل التدوين بالفصحى ربما لقوتها ورسميتها وإيماننا منه بأحقيتها بين كل اللغات الأخرى في الحضور وتمثيل رسالته، أما بخصوص الخط فقد جاء سميكاً في الحجم، الأمر الذي يعزیه خبراء تحليل خط اليد إلى أن «الشخص على قدر كبير من الانغماس في الشهوات الحسية والفسوق كما يشير سمك الخط أيضاً إلى ميل الهوى والقسوة والانفعال الجنسي»².

من هنا يمكن أن تأخذ بعض الجرائم طابعا له صلة بالكتابة الحائطية بل وقد يعاقب عليها لأنها تمت على سطوحه كحالة التشهير التي لا تقل أهمية عن أساليب التشهير الحديثة التي ينتهجها البعض على وسائل التواصل الاجتماعي، فالحيطان يمكن لها أن تحمل ما تحمله وتنتشره هذه الوسائل الحديثة، على غرار حائط الفايسبوك الذي يحمل هو الآخر عبارات التشهير والقذف للعديد من الأفراد، بل وقد يكون ما يدون على هذه الجدران قاعدة ومعلومة تنقل إلى وسائل التواصل الاجتماعي، ففي دراسة قام بها الباحث جون ليون (J, Lenon) يوضح أن «الكتابة الحائطية تسمح للأشخاص بوضع تدوين رغباتهم ليراهها الجميع، فتصبح الأماكن العامة والجدران مساحة للخطاب العام، وهنا يسحب الناس في هذه المواقع هواتفهم الذكية لتصوير هذه الكتابات ومشاركة الصور على وسائل التواصل الاجتماعي، ونظرا للوقت القصير لهذه الكتابات على الحائط جراء محوها وإزالتها فإن وسائل التواصل الاجتماعي هذه قد وفرت

¹ - مراد سهلي، مرجع سابق، ص 62.

² - سلوى المجنوني، مرجع سابق، ص ص 45-46.

وسيلة للحفاظ عليها حتى بعد إتلافها»¹، ومن هنا تنتقل هذه الكتابات من الحائط الفيزيقي المنتجة عليه إلى الفضاء الإلكتروني الافتراضي لتدوم طويلا ويتناقلها الأفراد من خلال حساباتهم الشخصية ومشاركتها على الصفحات والمواقع الأخرى، ليصبح التأثير أعمق هنا خصوصا إذا تعلق الأمر بمضمون يحمل تشهيرا لشخص معين.

6. نماذج من الكتابات الحائطية والقضايا الاجتماعية:

6-1. ظاهرة الهجرة غير الشرعية (الحرقة):



تعتبر الصورة 09 في الكتابة الحائطية المدونة (Vive Haraga Espagne) (تحيا الحرقة، إسبانيا) على إحدى القضايا الاجتماعية الأكثر حضورا على الحائط بخصوص تدوينات وكتابات الشباب لدى استخدامهم للحائط وهي قضية أو موضوع "الحرقة"، وهي كلمة عامية مرادفة لمصطلح الهجرة غير الشرعية، والحرقة «كلمة مشتقة من الحرق، تعني أولئك الذين يهاجرون إلى الدول الأجنبية (الأوروبية

¹-John Lenon , 'Conflict Graffiti' And The Artists That Use Public Spaces For Public Discourse, Newspaper Popmatters, 16 January 2023.
<https://www.popmatters.com/conflict-graffiti-john-lennon-2022>

والأمريكية)، وهؤلاء الحراقة عادة ما يقومون بحرق الأوراق التي تثبت هويتهم أو يتركونها وراءهم حيث لا أمل للرجوع إلى الوراء، وهذا معطى آخر يزكي الأصل الانشقاقي لمفهوم الحرق، وقيل أن سبب التسمية يعود إلى أن الحراق عندما يقرر السفر إنما يحرق وثائقه التي تربطه ببلده الأصلي، بل يحرق ماضيه كله رغبة في واقع جديد¹.

تبقى الحرق أو الهجرة من البلد الأم من أكثر القضايا التي يتداولها الشباب في كلامهم ونقاشاتهم اليومية سواء بين أقرانهم أو بين الآخرين، بل هناك من يدعو ويحرض الشباب إلى الهجرة عن طريق الحرق التي تتلخص في الجزائر برحلة عبر البحر في قوارب مجهزة كانت تقتصر في الماضي على قوارب صيد أو قوارب بإمكانيات متواضعة فكانت نسبة نجاح هذه الرحلات غير القانونية قليلة جدا فموت مئات الآلاف في البحر لأسباب عديدة تتعلق بالتقلبات الجوية أو نفاذ الوقود الخاص بمحركات القوارب أو أسباب أخرى تبقى دفيئة مع أصحابها في البحر، الأمر الذي جعل المهربين في البحر يستعينون بقوارب حديثة بها وسائل متطورة أو ما تعرف بين أوساط الشباب باسم **السريع** مكنت من ارتفاع نسبة نجاح ركابها في الوصول إلى الضفة الأخرى ما جعل تكلفة الإبحار عليها ترتفع هي الأخرى، فأصبحت تختلف من منطقة إلى أخرى وتصل إلى مئات الملايين من الأموال.

تعد إسبانيا من أكثر الوجهات التي يختارها المهاجرين غير الشرعيين في الجزائر، وفقا لما رصده الاتحاد الوطني للجزائريين في المهجر (منظمة معتمدة لدى وزارة الداخلية والجماعات المحلية تهتم بشؤون المهاجرين)، وارتفعت إحصائيات الهجرة غير الشرعية نحو إسبانيا بنسبة 50 % خلال العام الماضي، بسبب ما أعقب فيروس كورونا من تسريح للعمال وتراجع للأحوال المعيشية، ومن بين إجمالي 30 ألف مهاجر، سجلت السلطات الإسبانية 6500 جزائري دخل بطريقة غير شرعية بحسب بيانات وزارة الداخلية

¹ - محمد زغو، المعالجة التشريعية لظاهرة الهجرة غير الشرعية في الجزائر، مجلة دراسات قانونية، المجلد 10، العدد 21، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، 2010، الجزائر، ص77.

الإسبانية، كما يقول رئيس الاتحاد الوطني للجزائريين بالمهجر سعيد بن رقية، مؤكداً في إفادة لـ"العربي الجديد" أنه خلال النصف الأول من عام 2021 تم تسجيل دخول 400 قارب هجرة غير شرعية، تحمل 1700 جزائري نزلوا بجزر البليار والكناري الإسبانية، فيما وصل آخرون إلى بقية السواحل على غرار أليكانتي وفالنسيا، وتم اكتشاف 60 جثة خلال نفس الفترة، بينما بقي 400 مهاجر غير شرعي مفقودين حتى 27 نوفمبر 2021»¹.

تعكس ظاهرة الحرقة واقع الشباب الذي يفضل العيش خارج الوطن للتخلص من الهشاشة، التهميش، الإقصاء الاجتماعي والبطالة...، وهذا ما يدل على محنة الشباب (lagatère) التي تمثل المفهوم الغامض والمبهم الذي يوحي بالتناقض بالنسبة لوضعية الفرد التي يظهر فيها كعنصر فاعل وتائه، غير مدرك للوقت، عالق بين التطلعات والانشطار، فهذه المحنة التي يحاول الشاب الجزائري مواجهتها من خلال الحرقة هي شكل من أشكال النزاع والاعتراض الجماعي²، ما جعل هؤلاء الشباب يستعينون بالحائط من أجل إظهار رغبتهم بالحرقة خارج الوطن والتشجيع عليها ودفع بقية الشباب من أجل الالتحاق بركب المغادرين ما جعل قضية الحرقة تتربع على عرش المواضيع الأكثر تداولاً وحضوراً على دعائم الحوائط، فالحرقة من المواضيع التي تعبر عن التهميش الاجتماعي الذي يطال هذه الفئة فتلجأ من خلال سطوح الجدران إلى التوعد والتنبيه بالرحيل عن هذا الوطن والمجتمع الذي لم يملك فيه هؤلاء ما يستحقون حسبهم، «ومن هنا تنفجر طاقة هؤلاء الشباب عبر الجدران المختلفة أين تعبر بشكل أو بآخر عن أزمنة وجود بلغة الفضح والتعرية اللفظية الرمزية والانفلات عن سائر المألوف، فتأتي أهمية

¹ -أنظر: إيمان الطيّب، تجارة قوارب الموت استغلال أحلام الحارقة الجزائريين، تقرير مجلة العربي الجديد <https://www.alaraby.co.uk> تاريخ الولوج 2023/06/14.

² -سيواني لطفي، رواق عبلة، العوامل المؤدية إلى الهجرة غير الشرعية (الحرقة) لدى الشباب الجزائري، مجلة مخبر التحليل السيرورات الاجتماعية والمؤسسية lapsi، مجلد 17، عدد 01، جامعة قسنطينة 2، 2020، صص 50-51.

هذا الخطاب أولاً من خلال تأكيد ممارسيه على تواجدهم الرمزي، النفسي، الإقناعي والثقافي عبر سلوك يحاكي الواقع اليومي له على صيغ توثيق شخصي يستهدف المكان والزمان والحال، ثم أهمية هذه المساحة غير الرسمية كهامش للتعبير لا يمكن لأي حال من الأحوال تجاوزه أو تجاهله»¹.

تعد الهجرة غير الشرعية في بعدها القانوني جريمة يعاقب عليها القانون خصوصاً جريمة تهريب المهاجرين خارج البلد وهو ما تنص عليه المادة 303 مكرر «يعد تهريباً للمهاجرين القيام بتدبير الخروج غير المشروع من التراب الوطني لشخص أو عدة أشخاص من أجل الحصول، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على منفعة مالية أو أي منفعة أخرى"، ويعاقب على تهريب المهاجرين بالحبس من ثلاث (3) سنوات إلى خمس (5) سنوات وبغرامة من 300.000 دج إلى 500.000 دج»²، هذا إضافة إلى المخاطر التي تنتج عن عملية تهريب المهاجرين والحالة النفسية ولحظات الذعر التي يواجهها هؤلاء المهاجرين في البحر مع إمكانية فقدان حياتهم في أي لحظة.

التحليل السيمولوجي: وردت العبارة بلغة أجنبية (فرنسية) كتعبير عن الموضوع على الحائط الذي يمجّد الحرقة لهذا البلد والهجرة نحو أوروبا لقرب سواحل إسبانيا من الجزائر، فاستعمال الفرنسية عند الفرد الجزائري لم يأت من فراغ، إذ نجد أن هناك صراع لغوي عند الجزائريين في تعاملاتهم وكتاباتهم وتعبيراتهم المختلفة داخل المجتمع، فالفرنسية تركبة ثقافية من المستعمر الفرنسي للجزائر لا تزال حاضرة إلى الآن ما يجعل التحرر من هذه اللغة صعباً للغاية بالنسبة للجزائريين، بالرغم مما يقال عنها كلغة لفرنسا الاستعمارية إلا أنها لم تكن إلى الآن محاولات جدية مثمرة للتخلي عنها نهائياً في التعامل اللغوي اليومي في الجزائر، واللغة الفرنسية في الجزائر ليست مجرد لغة بل هي حالة اجتماعية وثقافية تعيش وتحيا بين أوساط المجتمع الجزائري منذ وقت طويل، لكن في النهاية إن استعمال لغة فيكتور هوغو

¹ - فتية لبنى، مرجع سابق، ص 399.

² - قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 303 مكرر، الصيغة المعدلة لعام 2012.

وفولتير من طرف الشباب الجزائري ليس حبا لفرنسا بقدر ما هو هروب من الواقع الاجتماعي والاقتصادي لبلدهم الذي لم يوفر لهم تلك الحياة الكريمة التي يحلمون بها، ليرمي هؤلاء أحلامهم إلى مكان آخر وراء البحر وما الحرقه إلا وسيلة لتحقيق ذلك مثلما تحكيه جدران بلدهم هنا وهناك.

فضل كاتب العبارة هذه اللون الأسود في كتابته فهذا اللون «يتحد مع الفراغ بحيث لا يمكن الفصل بينهما، فالأسود رمز الليل، والتعارض أبيض/ أسود يرمز للتعارض بين الحياة/ الموت»¹، فالليل هنا كأنه يشير إلى أكثر الأوقات التي تفلح فيها قوارب الحرقه ، إضافة ثنائية الحياة أو الموت التي تشوب تلك اللحظات أثناء الإبحار، فكثيرا ما يتبنى هؤلاء الشباب شعار الموت في البحر أفضل من الحياة في هذا الوطن .



تحمل الصورة 10 نصا رئيسا باللغة العربية ومقاطع بلغة أجنبية وخريشات أخرى تدل على ترميز لأسماء وألقاب لأشخاص ولربما تعود للكاتب نفسه والذي أراد أن يخلف ورائه إسمه المشفر كدلالة على حضوره وممارسته هذه، فالنص الرئيسي جاء بعبارة (إذهبوا إلى بريطانيا)، وهي دعوة صريحة بالهجرة إلى بريطانيا وهي إحدى الوجهات الأوروبية التي أصبح الشباب اليوم يختارها بعد أن كان الأمر

¹ - فليب سيرنج، مرجع سابق، ص429.

مقتصرًا على الهجرة نحو فرنسا وإسبانيا كأثر البلدان تفضيلاً عند الشباب في الحرق، وبخصوص بريطانيا فكاتب العبارة هنا يقصد إنجلترا والتي يتم الخلط بينها وبين بريطانيا عند الكثير من الناس، وعليه فإن بريطانيا العظمى أو بريطانيا تعرف بالعظمى لأنها جزيرة تحتل أكبر مساحة من مساحات الجزر البريطانية، وتشمل بريطانيا العظمى كل من إنجلترا واسكتلندا وويلز، وهناك أيضاً المملكة المتحدة وهي دولة ذات نظام ملكي دستوري، وتعدّ دولة اتحادية بموجب قرار سنة 1800 تتكون من أربع أقاليم وهي: إنجلترا وأيرلندا الشمالية واسكتلندا وويلز. يحكمها نظام برلماني وتتمركز الحكومة في العاصمة لندن، وكما أسلفنا فكاتب العبارة يدعو الشباب إلى وجهة أخرى غير معتاد عليها في عمليات الحرق عند الشباب، أو لأن فرنسا لم تعد تلك البلد الذي يوفر كل السبل السهلة للعيش الكريم خصوصاً بعد الأحداث الفوضوية التي شهدتها الشوارع هناك، إضافة إلى غلاء الأسعار هنا وهي معلومات يستقيها الشباب من أقرانهم وأفراد عوائلهم المقيمين هناك أو من الأخبار المنتشرة على وسائل الإعلام، فالهدف عندهم هو البحث عن رغد العيش وتلبية احتياجاتهم إذ لا يهم البلد الذي سيهجرون إليه، إضافة إلى تظاهرات التحضر التي يرونها في أبناء هته البلدان من لباس وهندام وسيارة وكلام لبق ومظهر وشخصية مهذبة، ففي اعتقادهم أنهم سيالون كل هذا بمجرد العيش هناك الأمر الذي يجعل الحرق أهم أحلامهم.

التحليل السميولوجي: كتبت العبارة باللون الذهبي لربما دلالة على فخامة اسم البلد المشار إليه للهجرة والدعوة إلى الحرق إليه، ولأهمية الموضوع المشار إليه عند كاتب العبارة، والذي يرى أن أنسب لون يمكن أن يعبر عنه هو لون الذهب، إضافة إلى الخط الذي جاء بصورة معقدة من خلال الصورة ويسمى هذا بالكتابة المعقدة في مجال علم الخط أو الجرافولوجي والذي يشير إلى «أن الكتابة التي يوجد بها إضافات كتوسيع وتكبير أجزاء الكلمة والحروف المكونة لها، إلى كاتب يكره الحقيقة المرتبطة به وبكل

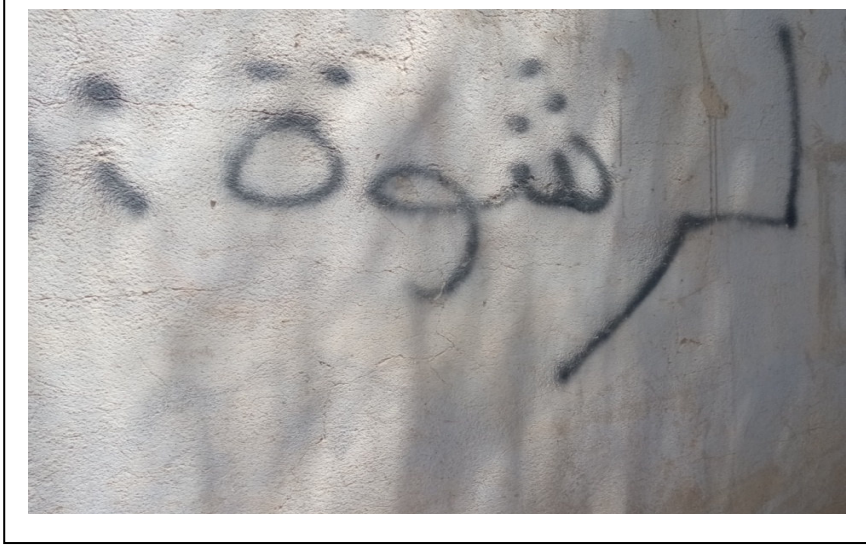
ما هو ضروري، كما تدل المبالغة في التعقيدات على ذوق سيء ومبتذل، فهو شخص مشغول بالصعوبات ولديه نقص في إدراك الواقعية، ويميل إلى تعقيد الأفكار»¹.

تقع الهجرة غير الشرعية ضمن الجرائم التي يعاقب عليها القانون الجزائري فيما أسماها جريمة مغادرة الإقليم الوطني بصفة غير شرعية حيث جاء في المادة 175 مكرر 1 أنه «دون الإخلال بالأحكام التشريعية الأخرى السارية المفعول، يعاقب بالحبس من شهرين (2) إلى ستة (6) أشهر وبغرامة من 20.000 دج إلى 60.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل جزائري أو أجنبي مقيم يغادر الإقليم الوطني بصفة غير شرعية، أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية أو الجوية، وذلك بانتحاله هوية أو باستعماله وثائق مزورة أو أي وسيلة احتيالية أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة أو من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول، وتطبق نفس العقوبة على كل شخص يغادر الإقليم الوطني عبر منافذ أو أماكن غير مراكز الحدود»²، ومن هنا فإن ظاهرة الحرق والتحريض عليها باستخدام الكتابة على الحائط يتقاطع في سلوكيات وأفعال غير مقبولة قانونيا فيصبح الفاعل هنا في خضم الإقدام على فعلين غير قانونيين (التحريض على مغادرة تراب الوطن بصفة غير قانونية، والكتابة وتشويه الحائط).

¹ - سلوى المجنوني، مرجع سابق، ص 57.

² - عبد الحليم بن مشري & شرون حسينة، جريمة مغادرة الإقليم الوطني بصفة غير شرعية، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، المجلد 6، العدد 1، جامعة الأغواط، 2020، ص 03.

6-2. ظاهرة الرشوة:



تعبّر الصورة 11 عن ظاهرة اجتماعية تعرفها مجتمعات العالم الثالث، فقد جاء في الكتابة الحائطية هذه كلمة «الرشوة»، وهي تعبير عن «ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد نفسية عديدة ومتشابكة يعتمد إليها طرفان أحدهما الراشي والآخر المرتشي، وقد تشترك فيها ثلاث أطراف حين يتخل طرف ثالث وسيط لتسهيل وقوع فعل الرشوة، الذي يتضمن القيام أو الامتناع عن أداء عمل من الأعمال لتحقيق منفعة شخصية لفرد أو جماعة نظير الحصول على المال»¹، فالرشوة تعبير عن فساد مالي في المجتمع بين الأشخاص لها آثار متعددة وخطيرة، فمن خلال نظرية اللامعيارية عند دوركايم «تظهر حالة اللاتوازن التي يعيشها المجتمع وفقدان المعايير والقيم، وهذا ما يسمى حسب النظرية بالأنوميا، وهنا يصبح المجتمع يعاني حالة من الاختلال وعدم التوازن في أنساقه ونظمه الاجتماعية، وبالتالي يضعف دور الضبط الاجتماعي كرادع للمجتمع، وهذا ما ينتج عنه سلوكيات غير سوية وانحرافية تخرج عن الأطر والمعايير

¹-أكرم زيدان، سيكولوجية المال هوس الثراء وأمراض الثروة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008، ص62.

الاجتماعية وتؤدي سلوكيات شاذة ومخالفة للقواعد المتعارف عليها اجتماعيا، هذا ما يبرز في شتى أنواع الانحراف والجريمة ومختلف أشكال الفساد الذي يؤثر على المجتمع في بنائه واستقراره»¹.

نجد تلك القضايا المرتبطة بالواقع المعيشي للفرد من أكثر القضايا بدفع عمولات وهدايا (للحصول على وظيفة أو منصب، لتجاوز امتحان ما، للحصول على سكن، لولوج سلك عسكري...) ويسميتها البعض «قهوة» ويقول البعض داعيا إليها «إدهن السير يسير» وغيرها من العبارات، التي أخذت حيزا كبيرا على الحائط في الأحياء المدروسة، ولعل أهمها موضوع الرشوة الذي طغى على الكثير من التعاملات والذي يفسر عدم التكافؤ في الفرص بين الأفراد، إذ يحصل البعض على ما يريد بمجرد تقديم المال لأصحاب النفوذ وتلعب العلاقات الزبونية دورا في تقديم حلول لمشاكلهم عن طريق المال والوجاهة (الشكارة والمعريفة)، «ووفقا لنظرية ميرتون في البناء الاجتماعي والثقافي للسلوك الإجرامي، يمكن أن نفسر سلوك الرشوة، من حيث إن المجتمع لا يتيح لكل الأفراد تحقيق أهدافهم بالوسائل المشروعة، وبالتالي يلجأ الأفراد الذين لا تتاح لهم الوسائل المشروعة إلى وسائل غير مشروعة من بينها سلوك الرشوة»²، هذا السلوك الذي تم التعبير عليه والإشارة له على الحائط كتأكيد على حضوره في تعاملات أهل المدينة فطالما كان الحائط بمثابة صحيفة للإخبار، وإيصال صوت القضايا خصوصا الاجتماعية منها وتلك المتعلقة منها بتجسيد الواقع اليومي لهم.

عدّ المشرع الجزائري الرشوة جريمة يعاقب عليها القانون في ما تضمنه قانون العقوبات الجزائري والذي «بموجب الأمر الصادر رقم 155/66 بخصوص القواعد التي تجرم الصور المختلفة للرشوة وتكفل حماية الوظيفة العامة، مما يمكن أن يلحق بها من خلل أو فساد، غير أن أحكام قانون

¹ -محمد علي سلامي، عبد الحميد جفال، قراءة سوسيولوجية لظاهرة الفساد المالي في المجتمع الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 7، جامعة ورقلة، 2020، ص31

² -أكرم زيدان، مرجع سابق، ص66.

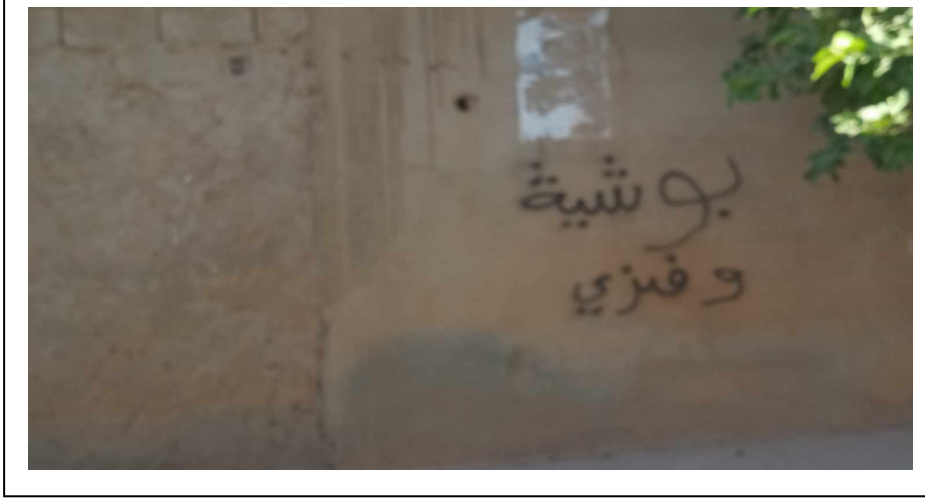
العقوبات الجزائي أصبحت غير كافية لمكافحة ظاهرة الرشوة، ذلك ما جعل المشرع الجزائري يتدخل بسن قانون خاص يعيد تنظيم تجريم هذه الجريمة بما يتوافق والتطورات الحاصلة في جميع الميادين، وهذا بمقتضى القانون رقم 01/06 المؤرخ في 20/02/2006 والمتعلقة بالوقاية من الفساد ومكافحته»¹.

التحليل السيمولوجي: كتبت الكلمة على الحائط في الوسط بخط كبير إذ يرى خبراء تحليل خطوط اليد عن أن «الشخص الذي يكتب عادة في منطقة متوسطة يشار إليه على أنه شخص غير متزن انفعاليا، ويفقد أعصابه بسهولة، ومتناقض في استجاباته مع الآخرين والبيئة المحيطة به»². كما ظهر اللون الأسود في الكتابة كدلالة على الإيضاح والتنبيه وما عزز ذلك هو الحجم الكبير للكلمة في خطها وكأن الكتاب مزج بين دلالة الخط واللون لغرض التوضيح والتنبيه والبوح بما يراه بخصوص هذه المشكلة (الرشوة).

¹-سامية قايدى، جريمة الرشوة في الوظيفة العامة ومكافحتها في القانون الجزائري،مجلة دراسات في الوظيفة العامة، عدد 03، المركز الجامعي البيضا، الجزائر، 2015، ص58.

²- سلوى المجنوني، مرجع سابق، ص34.

6-3. ظاهرة الإرهاب والتهديد:



تعرض الصورة 12 كلمتين تشير إلى نوعين من الأسلحة يتم استخدامها في عمليات العنف المسلح كتبتا على دعامة حائط في أحد جدران الأبنية الخاصة على مرأى من الناس وبشكل واضح، الكلمة الأولى «بوشية» وهي من السكاكين الكبيرة الحجم مما يجعلها سلاحا أبيض مشهر به، والذي يستخدم في العادة في عمليات التعرض للآخرين والتهديد الذي يصل إلى الطعن في كثير من الأحيان، والكلمة الثانية التي تمثل «فيزي»، وهي نوع من البنادق اليدوية، وتسمى كذلك بندقية البابم أكشن Pump Action، وهي سلاح ناري يعتبر حيازته دون ترخيص جريمة في القانون الجزائري، «وذلك من خلال مجموعة من النصوص القانونية أهمها المرسوم التنفيذي 94-65 و 98-96 والقرارات الوزارية المشتركة المؤرخة في 6 جانفي 2001، مما يبين أهمية السلاح وضرورة الحصول على ترخيص لحمله ذلك أن هذه الرخص تمثل خروجاً على الأصل العام المتمثل في احتكار الدولة لهذا المجال، وذلك في حالات معينة بشروط وإجراءات جدية وصارمة حددها القانون مسبقاً»¹.

¹-مرغني حيزوم بدر الدين، النظام القانوني لتراخيص حمل السلاح في القانون الجزائري، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، المجلد 11، العدد 2 (عدد خاص)، جامعة بجاية، 2020، ص523.

كتبت العبارة بخط أسود واضح وبلغة دارجة يسعى صاحبها إلى توصيل ما يريد، فالإشارة إلى أسماء أسلحة على الحائط يحلينا إلى تفسيرات عديدة منها وجود عصابات داخل هذه الأحياء أو التشجيع على العنف بين أوساط الشباب، فتمجيد الأسلحة ومسمياتها يفضي إلى سلوكيات غير سوية تمارس في هذا الفضاء الذي كتبت فيه أو قابلة للممارسة انطلاقا من إشهار هكذا كلمات وعبارات، فانتقال هذه العبارات التي تشير إلى أدوات وآلات القتل والتدمير والعنف لا يفضي إلى نتائج مبشرة بالأمان والسلام في المنطقة.

4-6. ظاهرة سب السلطات العليا:



تشير الصورة 13 إلى عبارة سب وشتم موجهة للأشخاص وتحديدًا الرئيس (رئيس الجمهورية)، وهذه الإساءة جريمة يعاقب عليها القانون وفق ما تنص عليه المادة 144 مكرر من قانون العقوبات الجزائري حيث «يعاقب بالحبس من ثلاثة (3) أشهر إلى اثني عشر (12) شهرا وبغرامة من 50.000 دج إلى 250.000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط كل من أساء إلى رئيس الجمهورية بعبارات تتضمن إهانة أو سبا أو قذفا سواء كان ذلك عن طريق الكتابة أو الرسم أو التصريح أو بأية آلية لبث الصوت

أو الصورة أو بأية وسيلة إلكترونية أو معلوماتية أو إعلامية أخرى، تبأشر النيابة العامة إجراءات المتابعة الجزائية تلقائيا، في حالة العود، تضاعف عقوبات الحبس والغرامة المنصوص عليها في هذه المادة»¹، ومع ذلك نجد عبارات لشتتم رجال الأمن والشرطة والمسؤولين بسبب تحميلهم تقصير في إحلال الأمن أو تقصيرهم في فتح ملفات الفساد المالي والإداري وتبييد المال العام.

كتبت العبارة باللغة الانجليزية (*Fuck President*) بخط كبير ولون أبيض متوسط الوضوح، وقلما وجدت عبارات بهذه اللغة التي تعتبر لغة ثانوية في التحدث أو الاستعمال من طرف أفراد المجتمع المدروس، لكن يمكن أن يكون الغرض من استعمال هذه اللغة أن هذا الفرد يحبذ استخدام الانجليزية على حساب الفرنسية أو العربية أو الدراجة، من خلال التأثر بالثقافة الانجليزية والأمريكية التي تنقلها وسائل التواصل الاجتماعي والأفلام والموسيقى، كما يريد بعض الشباب الذين يرسمون على الحائط أن يكونوا مخالفين لما يكتب عادة على الحائط سواء في الشكل أو الرمز أو حتى اللغة، فيسعون للتمييز من خلال فعلهم هذا. ويعمد الكثير من الممارسين إلى إتباع أساليب غامضة على مستوى الشكل واللغة والمضمون في تعبيراتهم الحائطية.

¹ - قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 144 مكرر، الصيغة المعدلة لعام 2012.

5-6. ظاهرة الإخلال بالأمن الوطني والنظام العام



تحتل الصورة 14 كتابة حائطية لعبارة ترددت كثيرا في فترة الحراك وما بعده، فالشعار السياسي «دولة مدنية ما تشي عسكرية» يمثل تجازبا بين أفراد المجتمع الجزائري في حضورهم أثناء الحراك الشعبي ومفاده دعوة بعض المحتجين إلى فصل وإبعاد المؤسسة العسكرية عن تسيير شؤون البلاد مؤكدين أن الجزائر دولة مدنية تستمد شرعيتها من الشعب وليست دولة ذات حكم عسكري، أين يشيرون على ضرورة «تمدين الدولة الجزائرية في حين ترى فئة أخرى عكس ذلك وترفض الشعار، وتيار وسطي يراعي السياقات التاريخية والمحطات السياسية التي جعلت من المكون العسكري جزءا هاما من منظومة الحكم في الجزائر»¹، هذا الشعار الذي حملته الجدران داخل المدينة يدخل ضمن الشعارات والتعبيرات الاحتجاجية الداعية إلى التغيير السياسي طرحت بقوة إشكالية غياب التنمية والعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة واحتجت على الإقصاء والتهميش إلا أنها بقيت أسيرة الأوضاع الاجتماعية.

¹-أنظر: عمار لشموت، دولة مدنية ما تشي عسكرية خلفيات الصراع على الحكم والسلطة في الجزائر، <https://ultraalgeria.ultrasawt.com> تاريخ الولوج 2024/02/17.

يأتي تنديد المحتجين من خلال شعار (دولة مدنية ماشي عسكرية) كضرورة لتطبيق المادتين السابعة والثامنة من الدستور الجزائري، واللذان تؤكدان أن الشعب مصدر كل سلطة، والسيادة الوطنية ملك للشعب وحده ، والسلطة التأسيسية ملك للشعب، من هنا جاءت فكرة التأكيد على مدنية الدولة من طرف المحتجين الذين رسموا الشعار بخطوط كبيرة على الحائط، فالشعار يترجم بالنسبة للداعين إليه والهاتفين به سواء على مستوى التلفظ أو الكتابة والتدوين على الحائط، مدى خطورة زرع المؤسسة العسكرية في الحياة المدنية داخل المجتمع الجزائري حسبهم، الأمر الذي يدفعهم إلى إطلاق الشعار على أكثر من شكل، فالهتاف لا يكفي بالنسبة لهم، إذ يريدون لهذه الشعارات أن تعيش أكثر وتصل إلى ما يراد بها، ليكون هنا الحائط حسب رأيهم أفضل من يتكفل بنقل شعاراتهم هذه ويرافقهم في إعلانها وتوصيلها، فيهدف الحائط بطريقته مكان ألسنة المحتجين.

6-6. الاحتجاج على السلطة القائمة



مثلت صورة الصورة 16 عبارة (لا للعهد الخامسة) تدوينة احتجاجية ضد العهد الخامسة للرئيس بوتفليقة وقد تعرضت للمحو مباشرة بعد كتابتها، ولم يتم ضبط أصحابها حسب السلطات المحلية في مكان كتابتها بـ **حي السلام (البقعة سابقا)** أمام مقر جامعة الشلف السابق، والتي تزامنت مع مرض الرئيس وشبه الفراغ السياسي الذي عانى منه المواطن مع تنامي اللامساواة والعدالة بسبب استيلاء حاشية الرئيس على دواليب السلطة، حيث أن توظف تدوينات وشعارات «مثال على ذلك سرعة انتشار شعار "الشعب يريد إسقاط النظام" في المجتمعات العربية لدرجة أصبح نوع الفلكلور الشعبي، يوظف كتعبير عن المطالب حتى في الجوانب التي لا تستلزم فعل احتجاجي مثل التعليق الهزلي على أي شكل من أشكال المنع والحرمان، فإن كان تسويق أي مادة إعلانية يتطلب إيجاد شعار قادر على تحقيق رواج للسلع ورفع نسب المبيعات، فإن الحركات الاحتجاجية استطاعت أن تستلهم من ذلك شعارات أعطت دفعا قويا للفعل الاحتجاجي يتجاوز حدوده الإقليمية والمحلية وحتى الفتوية، كما يجلب الكثير من التعاطف والمساندة والدعم»¹.

مناقشة النتائج:

تحمل تعبيرات الأفراد من خلال ممارسة الكتابة الحائطية العديد من مواضيع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية...، لكن المشاركة في إنتاج هذه التعبيرات داخل الفضاءات الحضرية لا يتبناها الجميع ولا يتوجه لها كل أعضاء المجتمع، فتبقى مقتصرة على فئة محددة غير معروفة تنتهج سلوك الكتابة على الجدران، والذي يتسم أحيانا بالخروج عن المعايير التي سطرته المنظومة الاجتماعية والأخلاقية والقانونية للأفراد، الأمر الذي يستدعي التوقف عن طبيعة التنشئة الاجتماعية لهؤلاء، هذه العملية التي تعد أكثر العمليات الاجتماعية تأثيرا في حياة الفرد، فهي الأساس في تكوين شخصيته

¹ - نور الدين بكيس، مرجع سابق، ص ص 69-70

واكتساب عادات وتقاليده مجتمعه وتشرب قيمه التي يتبناها ويؤطر أعضائه عليها، حيث أن أي خروج عليها يعبر عن خلل في أحد أنماط التنشئة الاجتماعية ككل، وعلى اعتبار أن الكتابات الحائطية أحد السلوكيات غير السوية، والتي لا تتوافق وتلك المعايير الاجتماعية المسطرة من طرف المجتمع اجتماعيا وأخلاقيا وقانونيا لكن الكتابة على الجدران في ذات الأمر ظاهرة موضوعية سليمة.

إن التنشئة الاجتماعية عملية غاية في التعقيد تشترك فيها مؤسسات مختلفة، لها أدوار متميزة، حيث يتضح دور كل مؤسسة من خلال عملية إخضاع الفرد لمنظومة القيم والمعايير التي يشكلها المجتمع وتكفلها مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتحافظ عليها، فالتوجه نحو الحائط والكتابة عليه وتشويه سطوحه والعبث بالملامح الخاصة والعامة وإشهار جنح وجرائم متعددة على الحيطان، لهو دليل ضعف واختلال أحد الأدوار المنوطة بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، والتي يفترض بها أن تنتج فردا سويا منصهرا داخل النظام الاجتماعي داخل المجتمع الذي يعيش فيه، وإتيان سلوكيات مثل الكتابة الحائطية يمكن أن يعبر عن خلل في أنماط تنشئة هؤلاء الأفراد، وإلا ما الذي يجعل فردا يتجه للكتابة على الحائط في حين يمتنع آخر عن ذلك؟ ، من هنا قد يخلق الجدار من خلال ممارسة الكتابة عليه عدة سلوكيات عند الأفراد منها السلوك الإجرامي الذي يعد «سلوك معقد كونه لا يعبر فقط عن إرادة فاعله بل عن علاقة قائمة بين الفاعل ومحيطه، ومنه فإن مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة قد تساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إنتاج السلوك الإجرامي باعتبار أن شخصية الفرد مرآة لمحيطه الاجتماعي ونوعية التنشئة التي يتلقاها من هذا المحيط»¹، وعليه يعتبر أي خلل في أنماط التنشئة الاجتماعية للأفراد هو بمثابة إنتاج لسلوكيات خارجة عن منظومة القيم والضوابط التي يفترض أن ينشأ عليها هؤلاء، وبالتالي فإن نمط التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد له علاقة بالتوجه نحو ممارسة الكتابة الحائطية.

¹- محمد سعدي، التنشئة الاجتماعية وأثرها على الإقبال على السلوك الإجرامي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلد 5، عدد 3، جامعة البليدة 2، 2012، ص 09.

تحمل الكتابات الحائطية بين طياتها عنف رمزيا يتجلى عبر اللغة المكتوبة والمنتجة على سطوح الجدران باختلاف أشكالها سواء تعلق الأمر بالكتابة الخطية أو الرسم أو الرمز، ومن هنا يمكن للعنف الرمزي أن يظهر من خلال ممارسة الكتابة الحائطية كرد فعل، يتوزع على مخارج عديدة أهمها العنف الرمزي القائم على التعبيرات الجنسية، وهنا تنتقل التعبيرات الحائطية من المستوى العاطفي إلى المستوى والشكل الجنسي لتؤثر على المتلقي خصوصا وأن هذا النوع من العنف يمكن أن يقع على الشكل الكتابي ومن خلال الإشارات والتي من شأنها أن تلحق الأذى بالآخرين على مستويات عديدة، وعليه فإن الكتابات الحائطية وارتباطها بالتعبيرات الموحية للجنس تمثل أحد إفرازات مرحلة الشباب المتعلقة بالفراغ العاطفي، تلك المرحلة التي قد تؤدي إلى انحلال أخلاقي قيمي في المجتمع المحلي خصوصا وطبيعة المجتمع في مدينة الشلف الذي لا يزال متمسكا ومحافظا إلى حد بعيد فيما يتعلق بالأخلاقيات العامة وقيم الحشمة والدين وغيرها، وغياب ثقافة الحوار واحتضان الشباب على مستوى مؤسسة الأسرة والمدرسة كمؤسستين هامتين في التنشئة الاجتماعية يفرز حالة عدم الشعور بالانتماء الأسري والمجتمعي بالنسبة لهؤلاء الشباب فيلجؤون إلى التعبير عن كل هذه العقد والحرمان عبر أساليب لتأكيد وجودهم ضمن السياق الاجتماعي والواقع المعاش على وقع «نحن هنا جزء من حياتكم ننتمي إلى هذا المجتمع»، ولعل أقرب الآليات للتعبير عن هذه الشريحة الهامة من المجتمع هو استعمال الحائط كوسيلة للتعبير، ومن جهة أخرى إن الممارس لهذه الكتابات الحائطية والكاتب على الجدار لا يهتم إن كان ما يكتبه مقبولا أو مرفوضا على مستوى الأفراد أو المجتمع ككل، بل الأهم في نظره هو التعبير وإيصال ما يريد حتى ولو على حساب قيم المجتمع الذي ينتمي إليه، ومن جهة أخرى فإن بعض الكتابات الحائطية المشينة والجنسية وتلك التي تحمل عبارات السب والشتم قد تبقى مطولا وكأنها تبقى بتواطؤ أفراد المجتمع.

يظهر العنف الرمزي أيضا من خلال الدلالات والكتابات المناهضة للمرأة والعنف ضدها، حيث حضرت المرأة جسداً، وكيانا كأحد أكثر المواضيع التي يتخللها طابع العنف والشتم والتصوير الإباحي على الحائط، ما يفسر انتقال الهيمنة الذكورية وسطوعها على سطح الحائط من خلال رغبة في الحفاظ على ذات الثقافة التي أقصت المرأة على مر التاريخ والحضارات، فالعنف الرمزي قد يتخذ عدة أشكال لعل أهمها الشتائم والكلمات النابية والعارية والتي تجسد بشكل كبير عنف اللغة الذي يعيش على الحائط متخذاً إياه حاملاً لهذا النوع من العنف والذي بدوره قد ينتقل إلى مستويات أعلى من العنف.

من أوجه هذا النوع من العنف كذلك كتابات العنف الرمزي القائم على إقصاء الآخر والعنصرية والتأثير عليه نفسياً وتحطيمه معنوياً، هذه الكتابات والرسومات التي تتخذ تعنيف الآخر وإقصائه وتجسيد نماذج حية على الجدران من الكتابات العنصرية المسيئة للآخر في صراع معه، ف «الكتابة على الجدران شكل من أشكال العنف الرمزي، فأغلب هذه الكتابات كما يؤكد تعكس الرغبة في جعل الآخر موضع سخرية، والرغبة في إثبات تفوق الذات على الآخر»¹.

يتجلى العنف الرمزي أحيانا من خلال شكل العنف التسلطي الذي يختار طرق تعبيرية أو رمزية على الحائط، فما لا يتم قوله أو فعله يتم ممارسته كتابيا على الحائط وهنا يقع العنف الرمزي متخذاً الممارسة التعبيرية الكتابية على الجدران آلية له، فاستخدام الحائط ومختلف الدعائم المرتبطة به لإنتاج تعبيرات كتابية ورمزية تحمل عنفا بذريعة أن الجدار ملك عام ويحق لأي كان الكتابة عليه، وهنا يتأذى المتلقي ممارسا عليه عنفا رمزيا يتشربه من خلال الجدار وباستعمال اللغة.

¹ - أنظر: جعفر حسين، ظاهرة الكتابة على الجدران، بحث تحليلي متعدد الأبعاد، صحيفة القدس العربي، يومية سياسية مستقلة، نسخة إلكترونية، العدد 6961، ص 12.

إن للحائط دور كبير كحمولة رمزية في مسائل عدة منها الاحتجاج، والذي أسلفنا سابقا أنه قد يكون مضمرا بعبارات وكلمات ودلالات عنيفة، فالاحتجاج واستعمالاته الاجتماعية والدلالية من خلال دوره في المطالبة بالحقوق وعدم تقبل أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية... وغيرها، فالحائط هنا قد يكون فاعلا رئيسا في التغيير الاجتماعي والحركة السياسية والاقتصادية باعتباره وسيلة للتعبير، إذ تترجم الكثير من الدوافع الذاتية والاجتماعية على سطوح الجدران فتكتب وتخط عبارات الرفض وتعنون المطالب وينطق الحائط بدل كاتبه وينخرط هو الآخر في العملية الاحتجاجية من خلال خطابات عديدة بل ويصبح شريكا مهما كما هو الحال في الثورات العربية الأخيرة على غرار الحراك الشعبي في الجزائر، الذي حمل الجدار عباراته الشهيرة مساهما في شهرتها ورمزيتها وإيصالها إلى السلطة أنذلك ولعل أبرزها عبارة «يتحاور قاع» التي اتخذت وتم تبنيها كشعار من أجل إلغاء فكرة التوريث في الحكم في الجزائر، هذا المصطلح الجزائري المحض الذي يقصد به الكل أو الجميع، والذي انبثق من ثقافة الرفض والنقد المترسخة في عقلية الفرد الجزائري الذي يسعى دائما إلى رفض ونقد كل شيء، هذا الشعار وشعارات أخرى مثل «دولة ولاد الحرام يسقط النظام، ماراناش حابسين، جزائر الشهداء باعوها الخونة، دولة مدنية ماشي عسكرية... وغيرها»، والتي ما لبثت أن انتشرت على جدران مدينة الشلف مساهمة بقوة بحضورها في وقفات للحراك، مصاحبة لهتافات المتحجين، فما تهتف به الأفواه تكتبه الأنامل على الجدران، فيسكت المحتجون عن الهتاف بعدها لتعيش وتبقى الكلمة المدونة على الحائط.

الكتابات الحائطية في مظهرها الكتابي عبارة عن خطاب شفوي كما جاء في كتابات أحمد شراك¹ والتي وصفها بأنها نوع من الشفوية المكتوبة، ومن هنا جاء اعتبارنا لها على أنها كتابات حاملة لعنف رمزي كلامي مكتوب وموثق على الحائط وموجها لأفراد معينين تاركا فيها أثرا بليغا يتلقونه من خلال

¹ -أنظر: أحمد شراك، مرجع سابق، ص 126.

الحوائط كل يوم هنا وهناك، فالكتابة الحائطية وإن حظرت في شكلها المكتوب فإنها تبقى قريبة من الشفوية منها إلى الكتابية، وقد تحضر كنوع من التسجيل فقط أو كنقل من الشفوي إلى الكتابي، فعموم الكتابات الحائطية المتواجدة على الجدران ما هي إلا عبارات وكلمات شفوية متداولة على الألسن فتحضر على الحائط كتسجيل أو تأكيد لها، إذ نجد أن الكثير من الأقاويل والأمثال المتداولة لفظيا بين أعضاء المجتمع هي نفسها الحاضرة والمدونة على الحائط، فما يلفظ يعاد كتابته وإنتاجه على الحائط، وبناء على هذه النتائج والتحليلات يمكننا القول أخيرا أن هناك عنفا رمزيا تتضمنه الكتابات الحائطية داخل مدينة الشلف يتجلى من خلال اللغة.

تتجه تعبيرات وكتابات الأفراد على الحائط إلى عبارات تعد في نظر القانون جنح وجرائم يعاقب عليها وهذا ما لمسناه في دراستنا، حيث تضمنت الكثير من الكتابات الحائطية عبارات السب والشتم للأفراد والمؤسسات وحتى لشخص رئيس الجمهورية، وكلها كتابات تدخل ضمن النص المكتوب أو الوسيلة التي يستعمل فيها الجاني نصا مكتوبا في عملية السب أو القذف لبعض الأشخاص، إضافة إلى تعبيرات التهديد والتي لا يتساهل معها المشرع الجزائري إذ نص عليها عقوبة هي الأخرى لمن يرتكبها ولو كان التهديد كتابيا في شكله، إذ يعتبر سطح الحائط وسيلة لنشر عبارات التهديد، كما حملت الجدران أيضا في كتاباتها جريمة التشهير بالأشخاص وبمعلوماتهم الشخصية والجهر ببعض المشاكل على الملأ، إضافة إلى فعل التخريب والتشويه الذي يطال الجدران كفضاءات عامة والتي يعاقب عليها القانون كذلك.

من جملة النتائج المتوصل إليها أيضا من خلال الدراسة أن الكثير من الكتابات الحائطية تتخذ في ممارساتها من طرف الأفراد داخل المدينة فعل التشويه والطمس للجدران، ويأتي ذلك من خلال مظهرات أنماط الحياة المدنية وما تحمله من قيم اجتماعية وثقافية وهي ما تبرز من خلال سلوكيات الفاعلين والممارسين لفعل الكتابة على الحائط وما ينتج عنه من عنف تجاه الفضاء العمومي والذي

يتجلى من خلال اعتقاد هؤلاء الفاعلين بأحقيتهم في استعمال هذه الفضاءات باعتبارها عمومية ولا تخص أحداً، الأمر الذي يخلف تشويه لل عمران في المدينة ككل، فمن خلال الامتلاك الرمزي للفضاء العمومي والمجال الذي تمارس فيه الكتابة الحائطية تتضح معاني القوة والعنف والسيطرة على المكان والفضاء العام من طرف أفراد يرون أنهم انتمائهم لمنطقة ما يقودهم إلى امتلاكها وبالتالي العبث بها كيف ما شاؤوا ومن ضمنها الجدران التي ترسم وتدون عليها كل الكتابات على اختلاف أنواعها.

إن تشويه الفضاء العمومي والعنف المادي الذي يخلف الأفراد الممارسين للكتابة الحائطية عليه يظهر بوضوح من خلال طبيعة المكان، ومدى تواجد هذه الكتابات في الفضاء العام، إذ حسب نظرية النوافذ المكسورة، فإن تواجد الكتابة الحائطية بشكل كبير علامة من علامات التخريب التي تطل المكان وتشجع الفوضى وتزيد من احتمالية الجريمة في المكان نفسه، في حين أن البيئة التي يتم الاعتناء بها ومحو وإزالة الكتابات الحائطية منها عند كتابتها ترسل إشارة إلى الأفراد بأن المكان مراقب حاملا دلالة عدم التسامح مع العنف والجريمة فيه بدأ من الخريشة على الحائط، لذا يرى أصحاب النظرية أن تواجد نافذة واحدة مكسورة فترة من الزمن ينبئ بأن المكان غير مملوك وغير مستعمل ما يجعل اقتحامه والسطو عليه وارد.

ينطبق على الكتابة الحائطية التي يعزى البعض تواجدها الكثيف إلى ضعف الرقابة الأمنية في المكان، وبالتالي يسهل السيطرة عليه ما يدفع بالبعض بالتوجه نحو بعض السلوكيات العنيفة، وعليه فإن ظهور كتابة حائطية واحدة يجذب المزيد من الكتابات الأخرى على بقية الجدران الأخرى، فتأخذ مع مرور الوقت هذه الكتابات طابعا مختلفا يرتبط بدوافع ذاتية واجتماعية وانتقامية لممارسي هذه الكتابة. كما يشير تواجد هذه الأخيرة على الحيطان إلى فشل السلطة في السيطرة على هؤلاء الأفراد، ومما لاحظناه أيضا بخصوص الأحياء الشعبية أن الجدران التي تتركز عليها الكتابات والرسومات والخريشات بكثرة تكون

معرضة لرمي القمامة أمامها بشكل متزايد وغير نظيفة، وهو اعتقاد من الفاعلين أن المكان منسي وغير مراقب من خلال حجم الكتابات التي يحملها، فضلا عن انعدام النظافة، الأمر الذي يفتح المجال إلى انتهاك معايير أخرى في نفس المكان من خلال غياب التحكم والرقابة به، فضلا على أن انتهاك المكان وتشويهه يقع ضمن جريمة العبث بالممتلكات العامة والخاصة والتي يعاقب عليها القانون الجزائري.

خاتمة

تُعد الكتابات الحائطية موضوعًا غنيًا وشيقًا من الناحية السوسيولوجية، حيث تركز على فهم السلوكيات التي يعبر عنها الأفراد في المجتمع. يثير هذا الموضوع الرغبة في البحث من جوانب متعددة، إذ أصبح الحائط اليوم من أهم المنابر الإعلامية غير الرسمية، بل وتُفوق على غيره في سهولة الوصول وكثافة الإنتاج وقوة التأثير، وهذا الواقع يعزز إنتاج خطابات متنوعة لا تقتصر على الأفراد ذوي المستوى العلمي العالي أو الاختصاص في مجالات معينة، بل تتيح الفرصة لكل أفراد المجتمع للتعبير عن أفكارهم على الجدران، ما يؤدي إلى تداخل العديد من الدلالات والرؤى، وقد يحتوي أحيانًا على عنف كامن. وبهذا، تصبح الكتابات الحائطية محطة مهمة لإنتاج أشكال جديدة من العنف بين أفراد المدينة، وتُسهم في تغيير قناعاتهم وخلق تصورات جديدة لديهم.

يبحث موضوع الكتابة الحائطية في عدة محاور، مثل العنف والجريمة والانحراف، حيث تقع هذه الممارسة ضمن السلوكيات المنحرفة والإجرامية. ويجب تسليط الضوء عليها كظاهرة موضوعية وسن قوانين لضبطها ومعالجتها. في هذه الدراسة، حاولنا كشف أبعاد الظاهرة، بالإضافة إلى كونها تعبيرات حائطية يومية، تعكس سلوكيات منحرفة وجرائم قد تشمل أنواعًا مختلفة من العنف (اللفظي، والجسدي، والرمزي) وتأثيرها على الأفراد. لذلك، يجب على المشرع الجزائري سن عقوبات واضحة للمخالفين، لاسيما في الحالات التي تؤدي إلى التشويه أو تتضمن تعبيرات تنتهك القانون الجزائري وقواعد النظام الاجتماعي. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تكون الكتابات الحائطية دليلاً على جرائم أخرى وتُستخدم لإدانة مرتكبيها بناءً على محتواها

تختلف تحليلات وتفسيرات ظاهرة الكتابات الحائطية بشكل كبير من مدينة لأخرى ومن منطقة لأخرى في الجزائر، مما يدعو الباحثين الجزائريين لتكثيف الدراسات والأبحاث حول هذه الظاهرة في مناطق ومدن وبيئات متنوعة، في مجال السوسيولوجيا، ونأمل أن يعتمد الباحثون على الاختصاصات الدقيقة ويربطوا مسألة الكتابات الحائطية بمدخل مختلفة، مثل سوسيولوجيا الشباب، وسوسيولوجيا العنف والانحراف، وسوسيولوجيا الحركات الاجتماعية... وغيرها، حيث نعتقد أن تقاطع المعارف والاختصاصات بمقدوره أن يتيح فهماً أعمق للظواهر وتوفير رؤى أكثر دقة حول الظاهرة المدروسة، وإلى تجسير الطرق لربط هذه المداخل العلمية في الدراسة، ووضعها في أطر متنوعة، باستخدام مقاربات نظرية ومنهجية.

توصلنا في الختام للنتائج محاولة الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات فالفرعية كما يلي:

1. يمكن أن يؤدي عنف اللغة في الكتابات الحائطية إلى زيادة التوترات والصراعات داخل المجتمع المحلي، مما يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية والسلم الاجتماعي. إليك بعض الأسباب التي تدعم هذه الرؤية:

- ✓ **زيادة التوترات والصراعات:** عندما تحتوي الكتابات الحائطية على رسائل عدائية أو عنيفة، فإنها قد تثير ردود فعل سلبية من الأفراد أو الجماعات المستهدفة. هذا يمكن أن يؤدي إلى تصاعد التوترات والصراعات بين الفئات المختلفة في المجتمع.
- ✓ **تدهور العلاقات الاجتماعية:** عندما يتم استخدام اللغة العدائية أو العنيفة في الكتابات الحائطية، فإنها قد تؤدي إلى تدهور العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والمجموعات داخل المجتمع. يمكن أن تزيد هذه الظاهرة من الانقسامات وتقسيم المجتمعات.
- ✓ **انعكاسات سلبية على السلم الاجتماعي:** الكتابات الحائطية التي تحمل رسائل عنيفة قد تؤدي إلى انعكاسات سلبية على السلم الاجتماعي، حيث يمكن أن تتسبب في تشكيل مواقف متشددة وعنيفة بين أفراد المجتمع، مما يعرقل السلم والاستقرار الاجتماعي.

2. نعم، يمكن أن يؤثر العنف اللغوي المتمثل في الكتابات الحائطية العدوانية على الأفراد الذين يعيشون في بيئة مليئة بتلك الكتابات بعدة طرق، وقد يكون لهذا التأثير تأثير سلبي على صحتهم النفسية وعلى جودة حياتهم بشكل عام. إليك بعض الطرق التي يمكن أن يؤثر فيها العنف اللغوي على الأفراد:

- ✓ يمكن أن يؤدي إلى زيادة مستويات الضغط النفسي والقلق لدى الأفراد، خاصة إذا كانوا يشعرون بالتهديد أو الإحراج نتيجة للكتابات العدوانية التي تحيط بهم.
- ✓ قد تؤثر على شعور الأفراد بالأمان والأمان في بيئتهم، مما قد يجعلهم يشعرون بالتهديد والخوف من العنف اللفظي أو الجسدي.
- ✓ قد يؤدي العنف اللغوي إلى تدهور العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع، حيث يمكن أن يزيد من الانعزالية والتباعد بين الأفراد نتيجة للتوتر والضغط النفسي.

✓ يمكن أن ينعكس العنف اللغوي على ثقة الأفراد بأنفسهم، حيث يمكن أن يشعروا بالإحراج أو الضغط النفسي نتيجة للتهديدات أو الإساءة التي يواجهونها من خلال الكتابات الحائطية العدوانية.

3. نعم تؤثر لكتابات الحائطية العنيفة بشكل كبير على صورة المدينة وتضر بالسياحة والاقتصاد المحلي بعدة طرق:

- تشويه الجمال البصري: تلك الكتابات العنيفة على الجدران تشوه المظهر الجمالي للمدينة وتجعلها تبدو غير مرغوبة وغير جذابة بالنسبة للزوار. يمكن أن تكون هذه الكتابات مصدر إزعاج واستياء للزوار وتقلل من رغبتهم في استكشاف المدينة.
- التأثير على الأمان والاستقرار: الكتابات العنيفة قد تعطي صورة عن المدينة بأنها غير آمنة أو تحمل أعراض الفوضى والجريمة، مما يثير قلق السكان المحليين ويبعدهم عن التواجد في الأماكن المتضررة.
- تأثير على السمعة العامة: يمكن أن تؤدي الكتابات العنيفة إلى تلطيخ سمعة المدينة وإشاعة صورة سلبية عنها في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، مما يؤثر سلباً على تصور الناس للمدينة ويقلل من شهرتها الإيجابية.

4. نعم، يمكن أن تثير الكتابات الحائطية العنيفة قضايا قانونية وأخلاقية بشكل كبير، خاصة إذا كانت تحتوي على مضامين تحرض على العنف أو تنتهك حقوق الأفراد. إليك بعض النقاط التي توضح هذا الأمر:

- التحريض على العنف: إذا احتوت الكتابات الحائطية على مضامين تحرض على العنف أو التمييز العنصري أو الكراهية (جنسي، إثني، ديني...)، فقد تكون هذه الكتابات مخالفة للقوانين الخاصة بحرية التعبير والحقوق الإنسانية. يمكن أن تتعرض الأفراد أو المجتمعات المتضررة للتهديدات أو الضرر النفسي أو الجسدي نتيجة لتلك المضامين.
- انتهاك حقوق الأفراد: إذا كانت الكتابات الحائطية تنتهك حقوق الأفراد، مثل: القذف أو الشتم أو الاعتداء على الشخصية، فقد تكون موضوعاً للمسائلة القانونية. حيث

يحظر القانون في كثير من البلدان الكتابات التي تنتهك حقوق الأفراد أو تسيء إلى سمعتهم.

- **المخالفات البيئية:** في بعض الحالات، يمكن أن تكون الكتابات الحائطية غير قانونية بسبب مخالفات بيئية، خاصة إذا كانت تتسبب في تلوث بصري أو تضر بمظهر المدينة بشكل عام.

لمواجهة هذه المشكلة، ينبغي على السلطات المحلية تطبيق القوانين بشكل صارم لمنع الكتابات الحائطية العنيفة التي تنتهك القوانين القائمة وحقوق الأفراد. ينبغي أيضاً تشجيع المجتمع على الإبلاغ عن الكتابات الحائطية غير القانونية والعنيفة والتعاون مع السلطات للقضاء عليها.

نختتم هذه الدراسة المتواضعة بكون عنف اللغة من خلال الكتابات الحائطية يشكل تحدياً جسيماً يؤثر على الصحة الاجتماعية للأفراد ويخل بسلامة المجتمعات. كما يتطلب التصدي لهذه الظاهرة جهوداً مشتركة بين الحكومات والمجتمعات المحلية لتطبيق القوانين بصرامة وتشجيع الوعي بأهمية الاحترام والتسامح. إن التصدي لعنف اللغة في الكتابات الحائطية يسهم في بناء بيئة مجتمعية آمنة ومتعددة الثقافات تعزز التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع.

المصادر والمراجع

1.المصادر:

1. ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 6، دار صادر، لبنان، 1968.

2.المراجع باللغة العربية:

2. أبراش إبراهيم، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

3. إبراهيم أحمد حسن، العنف من الطبيعة إلى الثقافة دراسة أفقية، ط1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، 2009.

4. إبراهيم خليل خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1984.

5. إبراهيمي كمال، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، (تر: محمد البشير شنيني، رشيد بوروبة)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

6. أبو شامة عبد المحمود عباس، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية، ط1، منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2003.

7. أبو الغار إبراهيم، علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق، مصر.

8. أبو عليان بسام محمد، الانحراف الاجتماعي والجريمة، ط 3، منشورات أ. كتب، فلسطين، 2016.

9. أسعد وطفة علي، العنف والعدوانية في التحليل النفسي، مكاشفات بنوية في سيكولوجية العدوانية عند فرويد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، 2008.

10. أقرورو سميرة، الوجيز في أسس علم الإجرام وأهم مدارسه، صوماديل للنشر، المغرب، 2015.

11. أوزي أحمد، سيكولوجية العنف، عنف المؤسسة ومأسسة العنف، ط1، منشورات مجلة علوم التربية، المغرب، 2014.

12. أومون جاك، الصورة، (تر: ريتا الخوري)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.

13. بركات حليم، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2006.

14. بلفيز عبد الإله وآخرون، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014.

15. بن عبد الرحمان بن محمد الذيب سليمان، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2007.
16. بن فارس أحمد ، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1979.
17. بورديو بيار، الهيمنة الذكورية، (تر: سلمان قعفراني)، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009.
18. بوسعدية مسعود ، ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
19. بوعزة الطيب وآخرون، العنف، قضايا وإشكالات، ط1، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب، 2018.
20. بوعزيزي محسن، السيميولوجيا الاجتماعية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010.
21. بينيت طوني وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، ط1، منشورات المنظمة العربية للترجمة، مركز الوحدة العربية، لبنان، 2010.
22. توفيق إبراهيم حسين، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، منشورات مركز دراسة الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1999.
23. جاك لوسر كل جان، عنف اللغة، (تر: محمد بدوي)، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
24. جمعة محمود عبد الرزاق، الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية، ط3، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2012.
25. جنزيرج موريس، علم الاجتماع، تر: فؤاد زكريا، منشورات مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
26. جيجيك سلافوي، العنف تأملات في وجوه الستة، (تر: فاضل جكتر)، ط1، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2017.
27. حجاج كلود، إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، (تر: رضوان ظاظا)، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، (د س).
28. حجازي مصطفى، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط9، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

29. حسين السطالي نرمين، سيكولوجية العنف وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء، ط1، السعيد للنشر والتوزيع، مصر، 2018.
30. الحيدري ابراهيم، سوسيولوجيا العنف والارهاب، ط1، دار الساقى، لبنان، 2015.
31. الخطيب محمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، ط1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا، 2005.
32. خلف عبد الجواد مصطفى، نظرية علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2009.
33. خليل العمر معن، التنشئة الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
34. خليل النجار فخري، الأسس الفنية للكتابة والتعبير، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
35. الخواطره ابتسام، تحليل خطاب الجداريات في مدينة عمان دراسة سيميائية، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 2022.
36. خياط سلام، صناعة الكتابة وأسرار اللغة، ط1، شركة رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، 1999.
37. الدر ابراهيم فريد، الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1983.
38. دليو فضيل، البحوث الكيفية، إجراءات تطبيقية، ط1، دار ألفا للوثائق، الجزائر، 2023.
39. رشدي القواسمة وآخرون، مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2012.
40. روجيرز فرنسيس، قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصخرة المطبوعة، (تر: أحمد حسين الصاوي)، المكتبة الأنجلو مصرية للطباعة والنشر، مصر، 1969.
41. ريتز جورج، ستينسكي جيفري، النظريات الحديثة في علم الاجتماع، (تر: ذيب بن محمد الدوسري وآخرون)، ط1، منشورات مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، 2021.
42. زعيمي مراد، مؤسسة التنشئة الاجتماعية، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
43. زيان محمد وآخرون، الجداريات والكتابات الحائطية في المجتمعات العربية، التحليلات والتأويلات، ط1، منشورات دار فيتامين الفكر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

قائمة المصادر والمراجع

44. زيدان أكرم، سيكولوجية المال هوس الثراء وأمراض الثروة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008.
45. سارانتاكوس سوتيريوس، البحث الاجتماعي، (تر: شحدة فارغ)، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017.
46. سالم العواودة أمل، العنف ضد المرأة العاملة في القطاع الصحي، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
47. سبيلا محمد، الهرموزي نوح، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، ط1، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2017.
48. سبيلا محمد، مدارات الحداثة، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2009.
49. السعداوي نوال، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1990.
50. سعيد الخولي محمد، العنف المدرسي، الأسباب وسبل المواجهة، ط1، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، 2008.
51. سعيد فرج محمد، ما علم الاجتماع، منشأة المعارف، مصر، 2012.
52. سكوت جون، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، (تر: محمد عثمان)، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2009.
53. سلام محمد، ثقافة العنف لدى طلبة المدارس الثانوية، الأزمة والمواجهة، ط1، دار الكتب المصرية، مصر، 2012.
54. السمري إبراهيم عبد العزيز، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 2011.
55. السمري عدلي محمود، علم الاجتماع الجنائي، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2011.
56. سمكوك علي، إشكالية في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسيولوجية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، 2006.
57. سهلي مراد، العنف القائم على أساس النوع الاجتماعي، تعنيف المرأة أنموذجا، ط1، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021.
58. السيد علي شتا، علم الاجتماع اللغوي، مؤسسة شباب الجامعة، 1996، الإسكندرية، 1996.

59. شاهين توفيق محمد، علم اللغة العام، ط1، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1980.
60. شبل مالك، الجنس والحريم، روح السراري، السلوكيات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، (تر: عبد الله زارو)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
61. شراك أحمد، الكتابة على الجدران المدرسية، مقدمات في سوسيولوجيا الشباب والهامش والمنع والكتابة، ط1، منشورات دار التوحيد للنشر والتوزيع ووسائل الاتصال، الرباط، المغرب، 2009.
62. صالح حسين، العنف الاجتماعي والسياسي والإعلامي من منظور علم النفس الاجتماعي، ط1، دار الكتاب الحديث، مصر، 2014.
63. الصالح مصلح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999.
64. طريه مأمون، علم الاجتماع في الحياة اليومية، قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2011.
65. عامر طارق عبد الرؤوف & عيسى المصري إيهاب، العنف ضد المرأة مفهومه، أسبابه، أشكاله، ط1، منشورات مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، مصر، 2014.
66. عبد الجواد درويش عبد الحفيظ وآخرون، الفصحى والعامية في وسائل الإعلام، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، 2016.
67. عبد الستار عثمان محمد، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، دون طبعة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.
68. عبد السلام محمد، علم الجغرافولوجي، منشورات مكتبة نور، 2020.
69. عبد اللطيف عماد، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2013.
70. عبده محجوب حمد & مرسى عبد بدر يحيى، العنف السياسي والاجتماعي، قراءات ودراسات انثروبولوجية، ط1، دار الثقافة العلمية، مصر، 2005.
71. عبيد كلود، الألوان، دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2013.
72. العزاوي رحيم يونس كرو، مقدمة في منهج البحث العلمي، ط1، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، 2008.

73. العلوي توفيق، نحو الشارع غرافمار، في رحيل النحو نحو الشارع، دار محمد علي للنشر، تونس، 2021.
74. عناقة علي، الشباب مشكلاته الاجتماعية في المدن الجزائرية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
75. غانم أسامة، سرديات الجسد والايروتيكا، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2019.
76. غانم عبد الله عبد الغني، جرائم العنف وسبل المواجهة، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
77. الغدامي عبد الله، المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.
78. الغرابوي ماجد، تحديات العنف، ط1، العارف للمطبوعات، لبنان، 2009.
79. غيدنز أنتوني، علم الاجتماع مع مداخلات عربية، (تر: فايز الصياغ)، ط4، منشورات المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009.
80. فرحان علي الفرمان ريم وآخرون، مدلولات كتابات طلبة جامعة الطفيلية التقنية على جدران ومرافق الجامعة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة، فلسطين، المجلد 30، العدد 03، 2022.
81. قاسيمي ناصر، التحليل السوسيولوجي، نماذج تطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017.
82. قاسيمي ناصر، مصطلحات أساسية في علم اجتماع الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017.
83. قلعجي محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996.
84. كريسز أمال، الممارسات الثقافية في التربية والتعليم، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2018.
85. كريستال ديفيد، مختصر تاريخ اللغة، (تر: أحمد الزبيدي)، ط1، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2018.
86. لالاند اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، (تر: خليل أحمد خليل)، ط2، مج1، منشورات عويدات، لبنان، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

- 87.مبارك فاتن، أغلالو ياسين، التعبيرات الشبابية والديمقراطية الثقافية، دراسة مقارنة لموسيقى الشارع بعد 2011 بين المغرب وتونس، منشورات كلمات عابرة، جمعية نشاز، المركز العربي للعلوم الاجتماعية، لبنان، 2019.
- 88.محلو عادل، مدارات اللغة، اللغة العربية في مدارات العولمة والمعارف والمجتمع، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، لبنان، 2016.
- 89.محمد الحسن إحسان، علم اجتماع الجريمة، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2008.
- 90.محمد الزيود اسماعيل، العنف المجتمعي، إطلالة نظرية، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
- 91.محمد بن عبد الرحمان عبد الله، علم الاجتماع، النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.
- 92.محمد عباس منال، العنف الأسري، رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د س).
- 93.مختار أحمد، اللغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997.
- 94.المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، (تر: فاطمة الزهراء أزرويل)، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
- 95.معتوق جمال، مدخل إلى سوسيولوجيا العنف، ط1، دار الكتاب الحديث، مصر، 2013.
- 96.معمر عبد المؤمن علي، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، الأساسيات والتقنيات والأساليب، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، 2008.
- 97.مكي طيارة رجاء، مقارنة نفس اجتماعية للمجال السكني، دراسة ميدانية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1995.
- 98.ملحس استينية دلال & موسى سرحان عمر، المشكلات الاجتماعية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
- 99.مهدي زيتون علي، في مدار النقد الأدبي، الثقافة، المكان، القص، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2011.
- 100.نجيب عبد الله، محمد عبد الحميد صلاح، ثقافة العشوائيات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، س).
- 101.نخبة من أساتذة علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د، س).

102. وحيد دويدري رجاء، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2000.
 103. وهبة مراد، المعجم الفلسفي، ط 5، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007.
 104. وهبه مراد، العنف والمقدس، ط1، دار الثقافة، مصر، 1996.
 105. ويلسون كولون، أصول الدافع الجنسي، (تر: يوسف شرورو سمير)، ط3، منشورات دار الآداب، لبنان، 1986.
 106. يوسف تمار، أصول تحليل المضمون وتقنياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018.
 107. يونس بحري منى & عبد الحليم قطيشات نازك، العنف الأسري، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
- 3.المجلات والدوريات بالعربية:
1. أحمد الزليطي نجا، سيكولوجية العدوان والنظريات المفسرة له، المجلة الجامعة، العدد 16، المجلد 4، جامعة الزاوية، ليبيا، 2014.
 2. أحمد عبد الله حمدي وآخرون، الأبعاد التعبيرية في رسوم جرافيتي ثورة 25 يناير 2011 كمدخل لإثراء التصوير المعاصر، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، عدد 4، جامعة المنوفية، مصر، 2015.
 3. أستاذتي زين الدين الحبيب، الممارسة الاحتجاجية بالمغرب، دينامية الصراع والتحول، مجلة عمران، المجلد 5، العدد 19، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، شتاء 2017.
 4. أسعد وطفة علي، المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية، بحث في إشكالية القمع التربوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد 2، 1998.
 5. آيت خليفة مبارك، سوسيولوجيا التحضر، مقارنة نظرية تحليلية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد9، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2019.
 6. باللموشي عبد الرزاق & جلول أحمد ، التفسير النفسي والبيولوجي لظاهرة العنف في المجتمع، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، العدد6، جامعة المسيلة، 2017.
 7. باي بوعلام ، الوظيفة الأخرى للطاولة التعليمية، مقارنة سوسيولوجية لظاهرة الكتابات الجرافيتية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

8. باي بوعلام ، فاعلية الغرافيتيا الثورية في استنهاض الوعي الاجتماعي، غرافيتيا الثورة الجزائرية أنموذجا، مجلة كان التاريخية، عدد 42، السنة 11، 2018.
9. باي بوعلام، قصور الاجتهادات للحد من ظاهرة الغرافيتي بالفضاءات الحضرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 06، المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية والاقتصادية، برلين، 2018.
10. البحيري زهير & أصبان محمد ، الهامشية الحضرية ومشكلة الاندماج الاجتماعي للشباب بأكادير، مجموعة الألتراس أنموذجا، المجلة المغربية للبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 1، عدد 2، جامعة محمد الخامس، المغرب، 2022.
11. بعيطيش عبد الحميد، علاقة إنسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في العصر النيوليتي، دراسة من خلال مشاهد الرسومات الصخرية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 4، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013.
12. بكداش نادين & سقسوق عبير ، (بمساهمة رنا جربوع)، الغرافيتي في الثوارت العربية، المصالحة مع الجدران، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 23، العدد 89، 2012.
13. بكيس نور الدين، قراءة سوسيولوجية في مسار الحركات الاحتجاجية بالمجتمعات العربية، مجلد دراسات اجتماعية، مجلد 5، عدد 3، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات التعليمية، الجزائر، 2013.
14. بلعيساوي الطاهر & بوحنيكة نذير، المداخل النظرية لظاهرة العنف لدى الشباب، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، مجلد 03، عدد 04، جامعة جيجل، 2020.
15. بلغازي ورده ، سمات الشخصية المميزة لمحاولي الانتحار (عرض لحالة عيادية)، مجلة دراسات في علم النفس الصحة، المجلد 7، العدد 3، جامعة الجزائر 2، 2022.
16. بن السايح عائشة & سيبوكر اسماعيل، مظاهر ومخاطر هيمنة اللغة الفرنسية على اللغة العربية في الجزائر وسبل مواجهتها، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، مجلد 6، عدد 1، جامعة الجلفة، 2021.
17. بن الشريف نعيمة، العنف الرمزي وعنف اللغة الاجتماعي والثقافي وعلاقته بأفعال الكلام مقارنة تداولية ثقافية، مجلة الأسرة والمجتمع، جامعة الجزائر 02، المجلد 09، العدد 01، 2021.
18. بن دعاس لمياء، جريمة التشهير بالأشخاص بالإعتداء على حياتهم الخاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي في التشريع الجزائري، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، مجلد 9، عدد 1، جامعة باتنة، 2022.

19. بن زيان مليكة، العنف والمقاربات النظرية المفسرة له، مجلة الخلدونية في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 12، جامعة تيارت، الجزائر، 2020.
20. بن طبة محمد البشير، تحليل المحتوى في بحوث الاتصال، مقاربات في الإشكاليات والصعوبات، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 13/14، جامعة الوادي، الجزائر، 2015.
21. بن مشري عبد الحليم & شرون حسينة، جريمة مغادرة الإقليم الوطني بصفة غير شرعية، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، المجلد 6، العدد 1، جامعة الأغواط، 2020.
22. بوشخي علي، العنف المفهوم، أنواعه وأشكاله والنظريات الاجتماعية لهذا المفهوم، المجلة المغربية للدراسات التاريخية، المجلد 06، العدد 01، جامعة سيدي بلعباس، 2009.
23. بوطاجين عادل، النظام الاجتماعي التقليدي كعائق أمام التغيير الاجتماعي، قراءة في كتاب سليمان مظهر العنف الاجتماعي في الجزائر، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد 4، العدد 2، جامعة الأغواط، الجزائر، 2022.
24. بوعدة حسينة، أشكال التعبيرات الثقافية، مقارنة نظرية استطلاعية لأغاني الرباب والغرافيتيا، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 7، العدد 2، جامعة مستغانم، 2018.
25. بوقشور محمد & هذاج العيد، العنف اللفظي عند الشباب في الوسط المدرسي وعلاقته بالعوامل السوسيوثقافية: دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ التعليم الثانوي لولاية سطيف، جامعة جيجل، المجلد 03، العدد 04، 2020.
26. تونيل ستيفان، سوسيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة، (تر: إدريس القزواني)، مجلة إضافات، العدد 46، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، 2019.
27. جامع صبرينة، الضبط الاجتماعي، منظور نظري، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 47، جامعة بسكرة، الجزائر، 2017.
28. جبار كنزة، سايحي سليمة، تحليل مضمون الكتابات الجدارية (غرافيتي) عند تلاميذ المرحلة الثانوية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، المجلد 8، العدد 1، 2023.
29. جمال عبد الحسيب & محمد رجب، ظاهرة الكتابة على الجدران لدى طلاب جامعة الأزهر، دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، العدد 165، ج 1، مج 34، جامعة الأزهر، مصر، 2015.
30. الحاج الأمين عباس، عنف اللغة ولغة العنف في المشهد السياسي في السودان ملامح من تجلياتها ورؤى بشأن مآلاتها المستقبلية، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، دولية محكمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 15، 2016.

31. حداد صونية، ظاهرة العنف المدرسي، العوامل، الآثار، سبل الوقاية، مجلة المجتمع والرياضة، جامعة الوادي، المجلد 01، العدد 02، ديسمبر 2018.
32. حذمر زينب ، بودرهم طيب، ظاهرة العنف في المجتمع العنف الرياضي أنموذجا، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، المجلد 03، العدد 04، ديسمبر 2020.
33. حرمة الله حسن، محاولة في التأصيل السوسولوجي لمفهوم العنف، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 76، مركز جيل البحث العلمي، 2021.
34. حمداوي عمر & بوجراف بلال، العنف اللفظي في المجتمع الجزائري، دراسة سيوسيو أنثروبولوجية بمدينة خنشلة، مجلة المعيار، مجلد 26، عدد 04، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2022.
35. حمداوي محمد، وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي، مجلة إنسانيات، المجلد 4، العدد 10، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2000.
36. حميد كاظم الطائي مصطفى، النظريات المفسرة للعنف وخطاب الكراهية في وسائل الإعلام، المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19، العدد 02، جامعة الجزائر 03، 2020.
37. حيزوم بدر الدين مرغني ، النظام القانوني لتراخيص حمل السلاح في القانون الجزائري، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، المجلد 11، العدد 2 (عدد خاص)، جامعة بجاية، 2020.
38. خالدي خالد & غشير سامية، سيمولوجيا الصورة في الخطاب الفوتوغرافي (قراءة في صور مختارة)، مجلة دراسات فنية، المجلد 8، العدد 1، جامعة تلمسان، 2022.
39. خضار سماحية ، الأنثى والقلم أي عهد؟: قراءة في كتاب المرأة واللغة لعبد الله الغدامي، مجلة إشكالات في اللغو والأدب، مجلد 10، عدد 3، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021.
40. خلوي شميصة ، الحب والجمال في الكتابات الجدارية وأبعادهما التراثية في الأدب الشعبي، نماذج جزائرية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، المجلد 10، العدد 4، 2021.
41. خليل الجبريني ماجد & أحمد أبو زنيد سمير، الكتابة على جدران مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية، الدوافع والسلوك، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الرابع، العدد التاسع، 2020.
42. خوجيلي خالد & خوجيلي ابراهيم ، التصوير الجداري المعاصر وارتباطه بالعمارة، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 3، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلة 18، السودان، 2017.
43. دنوني نادية & بوزار حبيبة ، رمزية التصوير الجداري في الفن التشكيلي الجزائري، مجلة النص، المجلد 8، العدد 03، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2021.

- 44.الراجي أحمد ، ديناميكية المجالات الحضرية وإشكالية العنف الرمزي من خلال الكتابات الجدرانية، دراسة حالة مدينة الدار البيضاء، مجلة رهانات، العدد42، مركز مدى للدراسات والأبحاث الإنسانية، المغرب، 2017.
- 45.رازقي محمد، ميكرو الفعل الاحتجاجي وفاعله الاجتماعي خلال الثورة التونسية 17 ديسمبر، 14 جانفي 2011، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 7، عدد 1، جامعة الجزائر3، 2019.
- 46.رزقي عبد القادر، السياسة اللغوية في الجزائر الواقع والتحديات، مجلة اللغة الوظيفية، المجلد10، العدد1، جامعة الشلف، 2023.
- 47.رشيد السعيد & فلاح كريمة، سوسيولوجيا العنف الحضري في خطاب المدارس الفكرية الحضرية، مقاربة نظرية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد1، جامعة الأغواط، 2021.
- 48.رشيد علاء، خصائص فن الغرافيتي السوري منذ عام 2011، العمل الفني من الفضاء العام إلى وعي المتلقي، مجلة قلمون، العدد 15، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قطر، 2021.
- 49.رقيع عبد الحكيم، التعدد اللغوي مظاهره وانعكاساته في الواقع اللغوي الجزائري، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، 2017.
- 50.زاهد سويلمي منى، المكان كأداة للوصل والفصل، تحليل ثقافي في جدلية التشكيل المعاصر للحياة الاجتماعية، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد8، عدد1، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2022.
- 51.زرقين الزهراء & عماد الدين خواني أحمد، مستويات تحليل الصورة من العتبات السيمولوجية إلى المقاربات السوسيولوجية، مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، العدد 6، 2020.
- 52.زغو محمد، المعالجة التشريعية لظاهرة الهجرة غير الشرعية في الجزائر، مجلة دراسات قانونية، المجلد 10، العدد 21، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، 2010.
- 53.زنائرة ريمة ، سهام وناسي، العنف الرمزي والشباب الجزائري، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 04، العدد 01، جامعة جيجل، 2021.
- 54.زيان محمد، مفهوم الرجولة ونزعة العنف ضد المرأة في الجزائر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد6، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.
- 55.زياني فتيحة & حسان هشام، الواقع السوسيولوجي في الجزائر في ضوء هيمنة اللغو الفرنسية، مقاربة بورديورية، مجلة تاريخ العلوم، العدد 10، جامعة الجلفة، 2017.

- 56.سعدي محمد ، التنشئة الاجتماعية وأثرها على الإقبال على السلوك الإجرامي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلد 5، عدد 3، جامعة البليدة 2، 2012.
- 57.سعيد سبعون & وداد دريوش ، العنف الحضري في الجزائر، دراسة تحليلية سوسيولوجية، حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 32، الجزء 07، جامعة الجزائر 1، 2018.
- 58.سليمان بوزيدي، المدينة بوتقة لاكتساب الثقافة الاجرامية، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 5، العدد9، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019.
- 59.سواكري الطاهر، إسهامات نظرية النواذ المكسرة في تفسير الجريمة والانحراف، مجلة حوليات، العدد 29، جامعة الجزائر 1، 2016.
- 60.سوالمية نورية ، المدينة والحضرية في الجزائر، مقاربة نظرية، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، عدد15، جامعة البليدة2، الجزائر، 2018.
- 61.سويسي أحمد، دور المنهج العلمي في تفسير الظاهرة الاجتماعية، المنهج التاريخي أنموذجا، مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 5، عدد 1، 2023.
- 62.سيحان محمد أبو أنعير نذير، ظاهرة العنف الجامعي ودور الجامعات في الحد من انتشارها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية، مجلة دراسات للعلوم التربوية، الجامعة الأردنية، المجلد43، العدد 01، 2016.
- 63.سيواني لطفي، رواق عبلة، العوامل المؤدية إلى الهجرة غير الشرعية (الحرق) لدى الشباب الجزائري، مجلة مخبر التحليل السيرورات الاجتماعية والمؤسسية lapsi، مجلد 17، عدد 01، جامعة قسنطينة 2، 2020.
- 64.شعلان حسام الدين & مسعودي أحمد ، الفضاء العام وتطبيقاته الاجتماعية، مقاربة نظرية وتاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد1، جامعة الشلف، 2021.
- 65.صبيحي خليل أميمية، خطاب الاحتجاج في الشعارات الثورية، مقاربة تداولية حاجية، مجلة كلية الآداب للغويات والثقافات المقارنة، المجلد15، العدد2، جمعة الفيوم ، مصر، 2020.
- 66.طبيب عمارة فوزية، بين الفصحى والعامية مقاربة في المستويات اللغوية، منطقة الشلف أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، مجلد 8، عدد 2، جامعة الشلف، الجزائر، 2022.
- 67.طبيبي غماري، الغرافيتي من أدب للغرباء إلى فن للاغتراب، مجلة عالم الفكر، مجلد 43، عدد03، الكويت، 2015.

68. عامر نورة ، الكتابات الجدارية في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، المجلد 08، العدد 01، 2020.
69. عايد محمد & بوزيان خير الدين، العنف لدى الشباب في الوسط الحضري، عوامله والنظريات المفسرة له، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة المسيلة، العدد 02، 2016.
70. عبد الجواد أبو حلاوة محمد السعيد، الهزيمة النفسية، ماهيتها، مؤشرات، محدداتها، تداعياتها، والوقاية منها، دراسة في بناء المفهوم، مجلة كلية التربية، المجلد 4، العدد 3، جامعة دمنهور، مصر، 2012.
71. عبد اللطيف تامر & ندا مي علي & محمد فوزي رنا، استخدام فن الشارع كوسيلة إعلانية موجهة للطفل، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مجلد 6، عدد 29، مصر، 2021.
72. عبد الله ثاني محمد النذير، أثر مواقع التواصل الاجتماعي على الخرس الأسري، دراسة في نظرية الاستخدامات والاشباع موقع الفايسبوك أنموذجا، مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 32، جوان 2018.
73. عبد الله عبد الله، أساليب مواجهة أحداث الحياة الضغطة لدى الشباب، دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجزائري، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، المجلد 1، العدد 2، المركز الجامعي إيزي، 2020.
74. عبد الله غنية، الإعلام والعنف: منظور سوسيولوجي، مجلة دفاتر البحوث العلمية، المجلد 09، العدد 01، المركز الجامعي تيبازة، 2021.
75. عبد الهادي حموي، التهميش الحضري، مفهوم معقد ومتشعب، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 2، جامعة قسنطينة 3، ديسمبر 2021.
76. عتيق عمر، القدس في صورة الكاريكاتير، دراسة أسلوبية على الثقافة البصرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 8، 2010.
77. عراب مريم ، جريمة التهديد والابتزاز الالكتروني، مجلة الدراسات القانونية المقارنة، مجلد 7، عدد، جامعة الشلف، الجزائر، 2021.
78. عزوز فاطمة الزهراء ، دور الرسوم الصخرية في التعريف بالحياة الدينية في الجزائر في التاريخ القديم، مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد 1، عدد 2، جامعة الجزائر 2، 2015.
79. عطية محمد عبد الرؤوف، تحليل المضمون بين النظرية والتطبيق، ط 1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، مصر، 2022.

80. علي سلامي محمد ، جفال عبد الحميد، قراءة سوسيولوجية لظاهرة الفساد المالي في المجتمع الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 7، جامعة ورقلة، 2020.
81. عليوة علي، قراءة في العلاقات الأسرية داخل الأسرة الجزائرية في ظل التدين والهيمنة الذكورية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 9، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 2019.
82. العود البهلول هادية، العنف ضد المرأة، قراءة سوسيولوجية في ضوء مؤشرات إحصائية، المجتمع التونسي أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 02، جامعة الوادي، الجزائر، 2016.
83. العياري محمد العربي، الفضاء العمومي وسؤال الحرية جدل هابرماس وهونيث وفريزر، مجلة تبين، عدد 44، مجلد 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2023.
84. غواظني مليكة ، قراءة نظرية توثيقية في أشكال التعبير الثقافية، الكتابة على الجدران أنموذجا، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 3، العدد 4، جامعة مستغانم، 2016.
85. فارس الزهرة & العمري عبد الوهاب، العنف الطلابي في الوسط الجامعي، مقارنة نفسية اجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 31، العدد 01، 2020، جامعة قسنطينة 01.
86. فهمي حسين ميادة، رضوان المومني واصف، جماليات الفن الجرافيتي في الفراغ الداخلي المعاصر، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 10، عدد 01، جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، الأردن، 2017.
87. فؤاد غريالي، سوسيولوجيا المعاناة من خلال المعيش اليومي لشباب الأحياء الشعبية، شباب أحياء مدينة صفاقس مثالا، مجلة عمران، عدد 16، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2016.
88. قاسم مهدي رنا، مقدمة تاريخية عن الجداريات عبر العصور، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، العراق، 2015.
89. قاضي حسين، ظاهرة الغريب في اللهجات المحكية (العامة الجزائرية أنموذجا)، مجلة دراسات معاصرة، المجلد 07، العدد 01، جامعة تيسمسيلت، 2023.
90. قايد سامية، جريمة الرشوة في الوظيفة العامة ومكافحتها في القانون الجزائري، مجلة دراسات في الوظيفة العامة، عدد 03، المركز الجامعي البيض، الجزائر، 2015.

قائمة المصادر والمراجع

91. كداي عبد اللطيف، الشباب والعنف الحضري: مقارنة سوسيولوجية، منشورات مجلة علوم التربية، عدد 48، دورية مغربية فصلية متخصصة، المغرب، 2011.
92. كوسة نور الدين، الدلالات الرمزية لحضور الجسد الأنثوي ضمن الخطاب الذكوري في المجتمع الجزائري، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 2، المجلد 4، العدد 1، 2011.
93. كينه كيلوده & غانية البشير، العنف الرمزي، دراسة نظرية في مفهومه وآلياته، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 02، 2022.
94. لبرارة هالة، العنف ضد المرأة، المفهوم والدلالات النظرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، جامعة تبسة، 2017.
95. لصلح عائشة، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، قراءة في بعض صور العنف عبر الفايبروبوك، سلسلة أبحاث ودراسات، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب 2017.
96. مادن سهام، بين العامة والفصحى، مجلة الصراط، عدد 10، جامعة الجزائر 1، 2004.
97. محمد الحنفي مراح، بن تامي رضا، الفضاء العمومي الجماعاتي وإعادة إنتاج التدبير القبلي للمجال المحلي: دراسة ميدانية للجمعية الدينية لزواوية أحمد المجدوب، مجلة البحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد 18، العدد 01، جامعة معسكر، 2022.
98. محمد بدير & أحمد بن عزة، التصوير الجداري وآليات الممارسة الإنسانية في الوطن العربي، قراءة في البعد الجمالي والسوسيولوجي، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 15، ألمانيا، 2020.
99. محمد عبد العزيز خيرية، المضامين الفكرية لجداريات الأسوار العازلة كمدخل لمواجهة العنف، المجلة العلمية لجمعية أميسيا، مجلد 3، عدد 11، جمعية أميسيا، مصر، 2017.
100. محمد غربي & ابراهيم قلاو، النظرية البنائية الوظيفية، نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية، مجلة التمكين الاجتماعي، مجلد 1، عدد 3، جامعة الأغواط، الجزائر، 2019.
101. محمود الهجان عبد المنعم وآخرون، فن الجداريات، أصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، العدد 28، يناير 2013.
102. محمود الهجان عبد المنعم وآخرون، فن الجداريات، أصوله وتقنياته، مجلة بحوث التربية النوعية، العدد 28، جامعة المنصورة، مصر، 2013.
103. مرتاض نفوسي لمياء، توظيف الفرنسية في العامة الجزائرية، مجلة جسور المعرفة، المجلد 1، العدد 4، جامعة الشلف، 2015.

104. مشري زبيدة & شرفة لياس، النماذج النظرية المفسرة للضبط الاجتماعي، مجلة آفاق العلوم، العدد7، جامعة الجلفة، الجزائر، 2017.
105. مصطفى بحر محمد & زيان محمد، سوسيولوجيا الكتابات الحائطية في الفضاء الجامعي: دراسة ميدانية بجامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، مجلة آفاق فكرية، مجلد11، عدد1، جامعة سيدي بلعباس، 2023.
106. معتوق محمد لمين، الوضع اللغوي في الجزائر بين تنوع الاستعمال وطرح الإشكال، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقي، المجلد 03، العدد 06، جامعة المسيلة، 2020.
107. نوال عبيد الله العلوي & مها محمد ناصر السديري، الأسلوب الجرافيتي في التصوير التشكيلي السعودي المعاصر، المجلة العربية للنشر العلمي، عدد31، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية الرماح، الأردن، 2021.
108. نوال لوصيف، الأملاك العامة للدولة بين الاستعمال العام والاستعمال الخاص، مجلة تشريعات التعمير والبناء، العدد 3، جامعة تيارت، 2017.
109. نور الدين كوسة، الدلالات الرمزية لحضور الجسد الأنثوي ضمن الخطاب الذكوري في المجتمع الجزائري، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 2، مجلد 4، عدد1، 2011.
110. وناسي سهام، العنف الأشكال والعوامل والنظريات المفسرة له، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد 09، 2017.
111. يعيش مهدية، تواتي نورة، الحياة في السجن وسياقات التكيف، مجلة حوليات الجزائر 1، المجلد 36، العدد1، جامعة الجزائر 1، 2022.
112. يوسف تاج الدين & حاج ابراهيم مجدي، رؤية الإسلام تجاه العنف اللغوي، مجلة الرسالة، السنة التاسعة، العدد9، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2009.
113. يونس سمير، إسهامات منظور الضبط الاجتماعي في دراسة الجريمة، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مجلد 5، عدد 3، جامعة جيجل، الجزائر، 2022.

4.المجلات والدوريات باللغة الأجنبية:

- 1) Belhamideche Hadjer, Ouras Karim, Les Inscription Murales et Leurs Fonctions Dans La Ville De Mostaganem, Insaniyat, Ruvue Algérienne d Anthropologie et de Science Sociales –crasc, vol 85-86, 2019.

- 2) Ignatius Wambugu Rukwaro and Samuel M. Maina, *Graffiti Artists in East Africa*, *Africa Habitat Review Journal* Volume 14, Issue 2, July 2020, University of Nairobi, Kenya.
- 3) Ouaras Karim, *Les graffiti de la ville d'Alger : Carrefour De Langues, De Signes et de Discours. Les murs Parlent... »*, *Insaniyat / إنسانيات* 44-45 | 2009.
- 4) White Ashant, *From Primitive to Integral: The Evolution of Graffiti Art*, *journal of conscious evolution, california institute of integral studies*, volume 11, issue 11, 2018, p p 2-6. <https://core.ac.uk/download/pdf/217368401.pdf>.

5. الأطروحات والرسائل:

1. باي بوعلام، هوية الطالب الجامعي الجزائري من خلال الكتابات الغرافيتية، جامعة تلمسان أنموذجا، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع (غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2013.
2. بغريش ياسمين، تخطيط المدن التوابع، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الحضري، (غير منشورة)، جامعة قسنطينة 2، 2013.
3. جبار كنزة، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين بجامعة الحاج لخضر بباتنة، رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، (غير منشورة)، جامعة باتنة، 2014.
4. الجنابي عماد عبيد حمد، المشكلات الاجتماعية للسكن العمودي، دراسة ميدانية في محافظة بابل، رسالة ماجستير علم الاجتماع غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2016.
5. جوزه عبد الله، الاغتراب الحضاري والعنف الاجتماعي، دراسة نظرية نقدية لواقع العالم العربي الراهن، أطروحة دكتوراه في اختصاص علم اجتماع التنظيم والعمل، (غير منشورة)، جامعة باتنة، الجزائر، 2013.
6. دكاكن ابتسام، النظام التربوي للأسرة وعلاقته بالسلوك العنيف لدى المراهق، دراسة ميدانية بثنائية مصطفى بن بولعيد بباتنة، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التربية، (غير منشورة)، جامعة بسكرة، 2017-2018.
7. رادف أمال، أشكال العنف في مدينة قسنطينة، دراسة ميدانية بالمدينة الجديدة علي منجلي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، (غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2007.

8. رحاب مختار، العوامل السوسيوثقافية لظاهرة العنف لدى الشباب الجامعي، حالة الإقامات الجامعية بقسنطينة، دراسة سوسيوأنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، (غير منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة، 2010.
9. رحمون بوزيد، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة موضوعاتية جمالية، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة المسيلة، (غير منشورة)، 2016.
10. رياض قسام أدهم، تصميم فن الجرافيتي وتوظيفه في فنون الاتصالات البصرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة دمشق، سوريا، 2016.
11. زناتي جلول، النمو الحضاري وانعكاساته على المحيط العمراني، دراسة حالة مدينة الجلفة، رسالة ماجستير في التهيئة العمرانية والإقليمية، (غير منشورة)، جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا، 2012.
12. زيان محمد، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر، مقارنة سوسيو ثقافية، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع (غير منشورة)، جامعة وهران، الجزائر، 2013.
13. شعبان أميمة، التحولات الحضرية والإستراتيجية التربوية للأسرة النووية في الوسط الحضري، دراسة ميدانية على عينة من الأمهات في مدينة الجزائر وضواحيها، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الحضري، (غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، 2018.
14. الطيار بن علي فهد، العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية دراسة ميدانية لمدارس شرق الرياض، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2005.
15. عامر نورة، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، (غير منشورة)، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006.
16. عباسي عبد الجبار، الكتابات الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي نازجر، رسالة ماجستير في علم الآثار، (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2005.
17. العصماني عبد الله بن ابراهيم، العنف المدرسي وعلاقته بالنمو الأخلاقي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بتعليم محافظة الليث، رسالة ماجستير في الارشاد النفسي، (غير منشورة)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2013.

18. كريم محمد، الكتابات الجدارية دراسة سوسيولوجية بمستغانم، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الاتصال، (غير منشورة)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2013.
19. لبنى فتيحة، الجرافيتا والهوية في الجزائر دراسة سوسيوتحليلية لبعض الكتابات الجدارية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، (غير منشورة)، جامعة الجزائر 02، 2017.
20. المجنوني سلوى، بعض عناصر خط اليد (الجرافولوجي) وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طالبات الإعداد التربوي بجامعة أم القرى، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، تخصص إرشاد نفسي، قسم علم النفس، جامع أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2011.
21. محمد عبد الهادي دحلان أحمد، العلاقة بين مشاهدة بعض برامج التلفاز والسلوك العدواني لدى الأطفال بمحافظات غزة، رسالة ماجستير في علم النفس (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2003.
22. مقلاتي سامي، تفسير ظاهرة العنف في الجامعات الجزائرية من طرف هيئة التدريس، دراسة ميدانية بجامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، أطروحة دكتوراه في علم النفس الاجتماعي (غير منشورة)، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2017.
23. ناجي ليلي، دور التنشئة الأسرية في الحد من ظاهرة العنف لدى التلاميذ، دراسة ميدانية بثانويات بلدية تبسة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي، (غير منشورة)، جامعة بسكرة، الجزائر، 2018.
24. نسيبة فاطمة الزهراء، العنف ضد الأصول في الأسرة الجزائرية المعاصرة، دراسة ميدانية وطنية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الجنائي، (غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، 2014.

6. الأطروحات والرسائل باللغة الأجنبية:

1. Alba Griffin, *Reading the Walls in Bogotá: Imaginaries of Violence in the Urban Visual Landscap*, Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy, School of Modern Languages, Newcastle University, July 2019.
2. Ouaras Karim, *les graffiti de la ville d'Alger entre langues, signes et discours*, Doctorat en sciences de langage sous la direction : Asselah Rahal Safia, département de langue latines, Université d'Oran, 2012.
3. Nicolas Mensch, *L'art Transgressif Du Graffiti, Pratiques et Contrôle sociale*, Thèse en vue de l'obtention du titre de Docteur en Sociologie, Université de Franche-Comté, 2013.

7. مقالات باللغة الأجنبية

1. Allison Meier, *The Activism of Buenos Aires Street Art*, February 14, 2013 voir le site <https://hyperallergic.com/65223/the-activism-of-buenos-aires-street-art/>
2. Ernesto Londoño, *Good for the Soul': Giant Murals Turn São Paulo Into Open Air Gallery*, Article on the American New York Times, May 30, 2021, voire le site <https://www.nytimes.com> .
3. <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/sous-culture/73798>
4. John Lenon , *Conflict Graffiti' and the Artists That Use Public Spaces for Public Discourse*, newspaper popmatters, 16 January 2023, <https://www.popmatters.com/conflict-graffiti-john-lennon-2022>
5. *L'historie du Street Art a Berlin –Lieu de Refuge du Graffiti* <https://berlinstreetart.com/fr/l-histoire-du-street-art-berlin> 2022-02-16
6. Nicolas Mensh, *L'art Transgressif du Graffiti : Pratiques et Contrôle Socia*, vu le <https://preo.u-bourgogne.fr/shc/index.php?id=371>
7. Paul Dawnton, *Graffiti on The Path And The Nature of Public Space*, University of Melbourne, <https://www.thenatureofcities.com/2014>.
8. Scott h Daker, Elen D.cury, *Graffiti Art*, <https://www.britannica.com/art/graffiti-art>
9. *Tipos de graffiti.conoce tados los estilos.* www.degraffits.com /tipos de graffiti/ tipos-de- graffiti vue le 2022 -11-27
10. Ulrich Blanché, *Street Art and Related terms – Discussion and Working Definition*, *Journal of Methodologies for Research*, V1-N1, Lisbon, November 2015. https://www.academia.edu/20012147/Street_Art_and_related_terms_discussion_and_attempt_of_a_definition_2015

8. الملتقيات والمؤتمرات:

1. خاوة نادية، الاشتغال السيمولوجي للألوان وأبعادها الظاهرية في ديوان "البرزخ والسكين" للشاعر عبد الله حمادي، ورقة بحثية مقدمة للملتقى الثالث: السيمياء في النص الأدبي، 19-20 أبريل 2004، جامعة بسكرة، الجزائر.
2. الدريسي محرز، كسر الطوق وتملك هوامش المدينة، الغرافيتي دراسة شعارات الشباب في مسلك السكة الحديدية بتونس الجنوبية، ورقة مقدمة لأعمال المؤتمر الدولي " الجيل والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي، يومي 22-24، سبتمبر 2017، تونس، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، <https://www.youtube.com/watch?v=9ZZ53qi39rY&t=1428s>

قائمة المصادر والمراجع

3. شعلال باهية، مشكلات المدن الجزائرية من المنظور السوسيولوجي، مقارنة واقع مشكلات المدينة الجزائرية ودراسات مدرسة شيكاغو، ورقة مقدمة لأشغال الملتقى الوطني: المدينة الجزائرية الواقع والتحديات، يومي 28 و 29 أكتوبر 2019، جامعة تيزي وزو، الجزائر.
4. كعوان محمد، الرمز والعلامة والإشارة، المفاهيم والمجالات، ورقة مقدمة للملتقى الوطني الرابع السيميائي والنص الأدبي 28-29 نوفمبر 2006، جامعة بسكرة، الجزائر، الرابط: <http://archives.univ-biskra.dz/bitstream/123456789/3235/1/kaaouane.pdf>
5. يطو إيمان، كويبي معاشو معاشو، العنف اللفظي للزوج على الزوجة، ورقة مقدمة لأعمال الملتقى العلمي الأول قضايا المجتمع الجزائري المعاصر، مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية بالجزائر بجامعة الشلف، بالتنسيق مع مؤسسة حوافز للدراسات والأبحاث، ط1، دار فيتامين الفكر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

النصوص القانونية:

1. التعديل الدستوري لسنة 2020، المادة 52، 2020، جريدة رسمية رقم 82، عدد 30 ديسمبر 2020، الجزائر، ص 14،
2. الجريدة الرسمية، القانون رقم 06/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006، المتضمن للقانون التوجيهي للمدينة، الفصل الثاني، التعاريف والتصنيف، العدد 15، الصادر في 12 مارس 2006، الجزائر.
3. قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 144 مكرر، الصيغة المعدلة لعام 2012.
4. قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 264، الصيغة المعدلة لعام 2012.
5. قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 284، الصيغة المعدلة لعام 2012.
6. قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 296، الصيغة المعدلة لعام 2012.
7. قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 371 (معدلة)، الصيغة المعدلة لعام 2015.
8. قانون العقوبات الجزائري، رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، المادة 450 معدلة، الصيغة المعدلة لعام 2015.

قائمة المصادر والمراجع

9. قانون العقوبات المصري، طبقاً لأحدث التعديلات بالقانون 95 لسنة 2003، القانون رقم 58 لسنة 1937.

10. قانون العقوبات، الأمانة العامة للحكومة، رئاسة الجمهورية، الجزائر، المادة 303 مكرر، الصيغة المعدلة لعام 2015.

المحاضرات:

1. مجناح جمال، جدل المفاهيم في موضوعية التهميش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، محاضرة إلكترونية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2017، الرابط: <https://elearning.univ-msila.dz/moodle> تاريخ الولوج 2023/06/12.

2. ندى عايد يوسف، فن الجدرانيات، محاضرات قسم التربية الفنية، كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، العراق، 2020.

الجرائد واليوميات:

1. حسين جعفر، ظاهرة الكتابة على الجدران، بحث تحليلي متعدد الأبعاد، صحيفة القدس العربي، يومية سياسية مستقلة، نسخة إلكترونية، العدد 6961.

2. إبراهيم نصار، العنف اللغوي: أنت كافر، أنت إرهابي أنت امرأة؟، صحيفة البناء، يومية لبنانية

3. أبي زيد منير، من برلين إلى فلسطين رمزية الحائط عبر التاريخ، جريدة السفير، يومية لبنانية، <http://assafir.com/Article/255562>.

4. أشيندن سامانثا، العنف في فلسفة اللغة عند هابرماس، (تر: حسن أحجيج)، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، أنظر:

5. الأكحل هشام، الغرافيتي في البرازيل، وسيلة للتعبير وكابوس يؤرق أصحاب المباني، موقع هسبورت. <https://www.hesport.com>

6. آل مسافر عباس، اللون بوصفه علامة ثقافية، جريدة المدى، <https://almadapaper.net/view.php?cat=230261>

7. البحيري مصطفى، الخطأ في خطاب الجدران: من الخضوع إلى الإخضاع، دراسة أنثروبوفنية، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهن، المقال موجود كاملاً على

موقع المؤسسة. <https://www.mominoun.com/articles/7481>.

قائمة المصادر والمراجع

8. البستاني كمال، الغرافيتي فن ناقد للأحداث السياسية، مجلة الجديد، <https://aljadeedmagazine.com>.
9. بن خليفة ريم، الغرافيتي في تونس: صوت الثورة لم يزل حيا؟، الموقع الرسمي لقناة الميادين العربية، <https://www.almayadeen.net/investigation>.
10. بوسالمي ضياء، غرافيتي الشارع التونسي: المقاومة على طريقة "مررنا من هنا"، موقع منشور، <https://manshoor.com/arts-and-culture/graffiti-art-in-tunis>.
11. بوكبة عبد الرزاق، الكتابات الحائطية في الجزائر..مرايا مهمة، مقالات الترا صوت، <https://www.ultrasawt.com/>.
12. تعريف الطباعة بالإستنسل وأنواعها، <https://www.almrsal.com/post/1188531>.
13. التميمي جنان، اللغة، منبع العنف وعلاجه، صحيفة الاقتصادية تصدر عن شركة السعودية للأبحاث والنشر، المملكة العربية السعودية، الرابط: https://www.aleqt.com/2018/03/08/article_1345606.html.
14. تونس خريشات الشارع : مواقف سياسية واجتماعية، <https://akhbarak.net/news>.
15. الجراح حيدر، عنف اللغة، منشورات مجلة النبأ، www.anabaa.org.
16. جوايرة منذر، الفن الجداري المجتمعي قوة التعبير: موقع مؤسسة عبد المحسن القطان <http://qattanfoundation.org/ar/RT-61-SDC6>.
17. جودت صالح مصطفى، دلالات الالوان ورمزيتها عند تصميم المحتوى التعليمي، موقع بوابة تكنولوجيا التعليم، <https://drgawdat.edutech-portal.net/archives/16197>.
18. حسن جمال، الغرافيتي توثق البطولة على جدران المدن، مجلة العربي الجديد، الموقع الرسمي <https://www.alaraby.co.uk>.
19. حظر الكتابة على الجدران دون ترخيص في أبوظبي، صحيفة الإمارات اليوم، عدد 09 سبتمبر 2018، <https://www.emaratalyoum.com>.
20. دانة حسين، إعادة قراءة الفضاء العام: التعبير بالغرافيتي في مواجهة العنف المكاني في فلسطين، <https://www.jadaliyya.com/Details/43033>.
21. الرفاعي مهيب، تلفيق الغرافيتي تخريب للمكان، <http://www.iss-foundation.com/home/eventsdet/MzA4MA>.
22. الزاهي فريد، الغرافيتي من الاحتجاج إلى مفارقات الاعتراف الفني تعبير عن المهمش والغامض، مجلة الفصيل، الرياض، <https://www.alfaisalmag.com/?p=7030>.

قائمة المصادر والمراجع

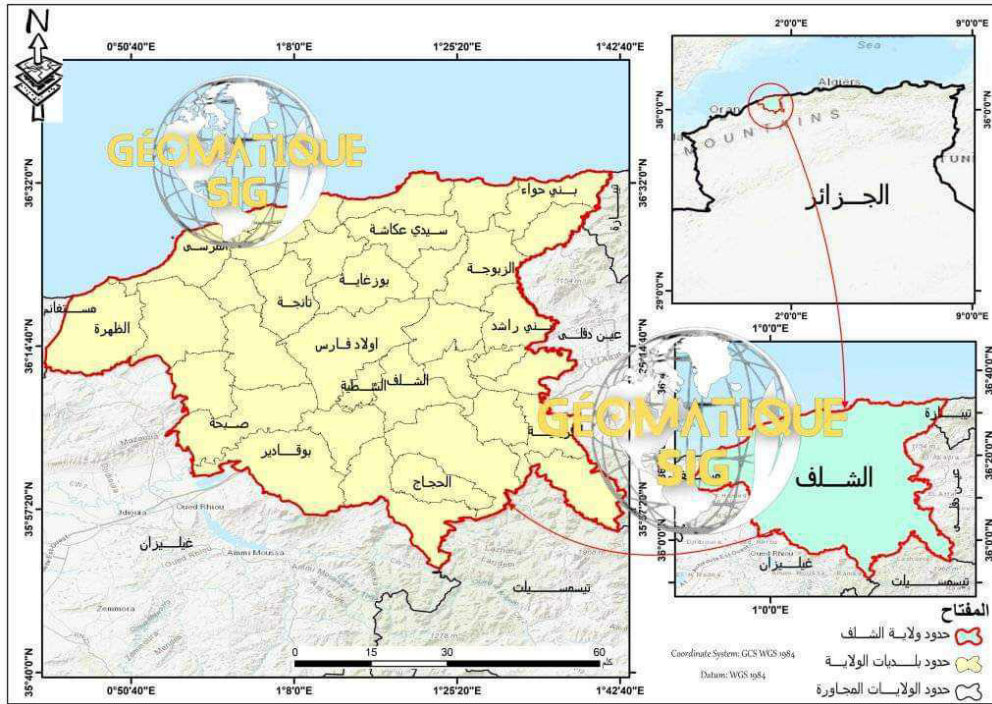
23. سعداوي أحمد ، عن البورنوغرافيا والإيروتيكا والأدب والفن، تاريخ الولوج 27-05-2023.
<https://www.almodon.com> .
24. شريف ابراهيم، الفن سلاح ضد تخريب الشارع في الأرجنتين، صحيفة اليوم السابع المصرية، عدد الأربعاء، 05 أغسطس 2015، <https://www.youm7.com> تاريخ الولوج 15-04-2023.
25. الشمري براء ، العراق: تجريم المتورطين بالكتابة على الجدران ومعاملتهم مثل "الإرهابيين"، صحيفة العربي الجديد ، <https://www.alaraby.co.uk> تاريخ الولوج 22-06-2023.
26. صفحة مجلس القضاء الأعلى، العراق، تفسير مادة قانونية (قانون المرور النافذ) تاريخ الولوج 20-06-2023.
[/https://www.sjc.iq/view.68806](https://www.sjc.iq/view.68806)
27. الطيّب إيمان، تجارة قوارب الموت... استغلال أحلام "الحراقة" الجزائريين، تقرير مجلة العربي الجديد
<https://www.alaraby.co.uk> .
28. عبد الرؤوف مصطفى ، الجرافيتي في مصر . شباب محتج وجدران ناطقة، موقع سودراس الإخباري
<https://www.sudaress.com> .
29. عبد السلام عمر، قرب اندثار الكتابة على الجدران في المغرب، جريدة الشرق الأوسط،
<https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=11700&article=554680#.YgqvWprjLIU>
30. عبد الله هبة، الغرافيتي (Graffiti) والحق في المدينة، عمل تخريبي أم حق في تشكيل شوارع المدينة، موقع الباحثون السوريون، www.sye-res.com/article/24118.html
31. العشري عبير ، الكتابة على الجدران.. من معابد مصر القديمة إلى التكاتك، صحيفة الأهرام المصرية، الموقع الرسمي <https://gate.ahram.org.eg> .
32. الغرافيتي نافذة أمل لشباب السنغال، جريدة الرياض، الموقع الرسمي
<https://www.alriyadh.com/2012246> .
33. الفرق بين العيب والحرام ، موقع إسلام واب، <https://www.islamweb.net>
34. قاموس المعاني الجامع، www.almaany.com
35. قروق كركيش محمد، العنف الرمزي: نحو تفكيك استراتيجي للسلطة والقهر والهيمنة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 4802، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=467430> .
36. الكتابة الجدارية في التجربة والممارسة الإنسانية المركز الفلسطيني للإعلام:
<http://www.vahdet.info.tr/arsiv02/493.html>

قائمة المصادر والمراجع

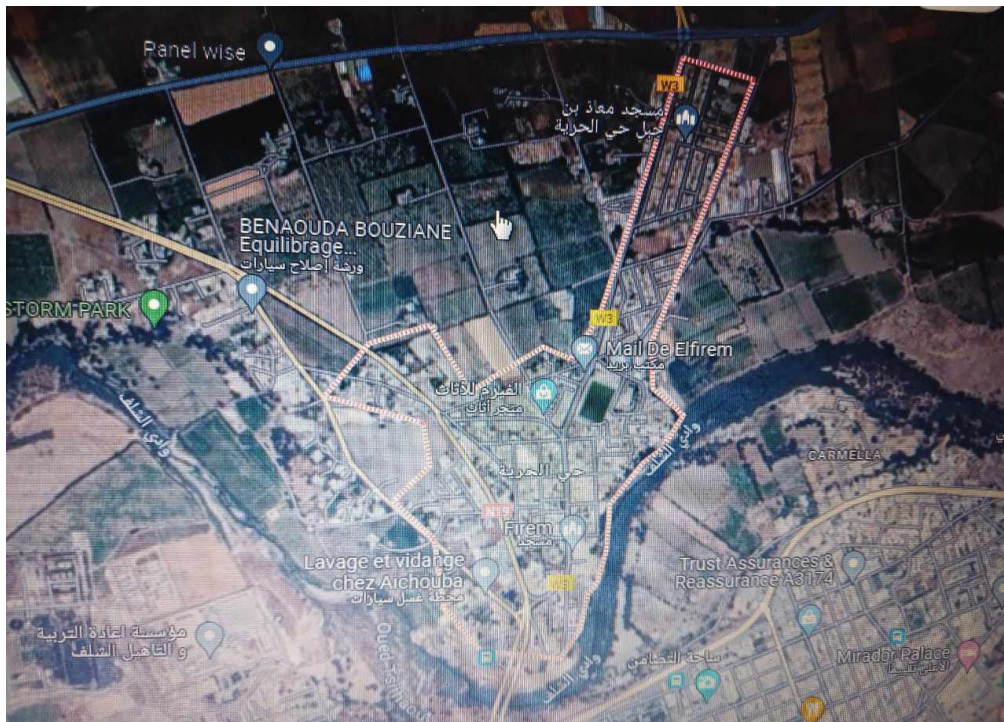
37. الكتابة على الجدران جريمة يعاقب عليها القانون، صحيفة الأيام البحرينية، العدد 8574،
<https://www.alayam.com/alayam/Variety/187845/News.html>
38. كريم هلا، الغرافيتي مرآة أزمات المجتمع والفوضى الخلاقة، صحيفة اندبندت العربية،
<https://www.independentarabia.com>
39. لشموت عمار، "دولة مدنية ماشي عسكرية" خلفيات الصراع على الحكم والسلطة في الجزائر،
<https://ultraalgeria.ultrasawt.com>
40. متلازمة القلب المكسور حالة نفسية أم وعكة صحية، موقع بوابة أخبار اليوم، الموقع الرسمي:
<https://akhbarelyom.com/news>
41. مجلة القافلة، الجدار، مؤسسة أرامكو السعودية، <https://qafilah.com/ar>، تاريخ
الولوج 2021/12/26
42. محمود منقاري هالة، جداريات مدينة طرابلس: قراءة أنثروبولوجية لدلالاتها، مجلة أوراق ثقافية، السنة
الثانية، عدد 10، 2020، الموقع الرسمي <http://www.awraqthaqafya.com>
43. المعموري نجاح، ذاكرة الكهوف تمظهر للطبيعة، الموقع الرسمي لوكالة الأنباء العراقية،
www.ina.iq/127529.
44. منصور محمد، هتاف الصامتين بمصر، من جرافيتي الثورة إلى جدران المراحيض، مدونة الجزيرة
نت، <https://www.aljazeera.net>
45. موقع المعرفة، مادة الجدار. <https://www.marefa.org>
46. موقع عربي بوست بسبب كلمة .. "MAK" جدل كبير في الجزائر سببه أحد مشاهد مسلسل "الدامه"
الرمضاني، <https://arabicpost.net>
47. اليحياوي شهاب، نحو تدقيق مفاهيمي سوسيولوجي للعنف، بحث محكم، قسم الفلسفة والعلوم
الإنسانية، منشورات مؤمنون بلا حدود، 2019، الموقع الرسمي
<https://www.mominoun.com/>
48. تحقيق أمني حول ظاهرة عرفت انحرافات في حق مواطنين ومسؤولين السجن للمتورطين في الكتابات
الحائطية المسيئة للمسؤولين والهيئات والأشخاص، الشروق أون لاين، 2010/11/19.

الملاحق

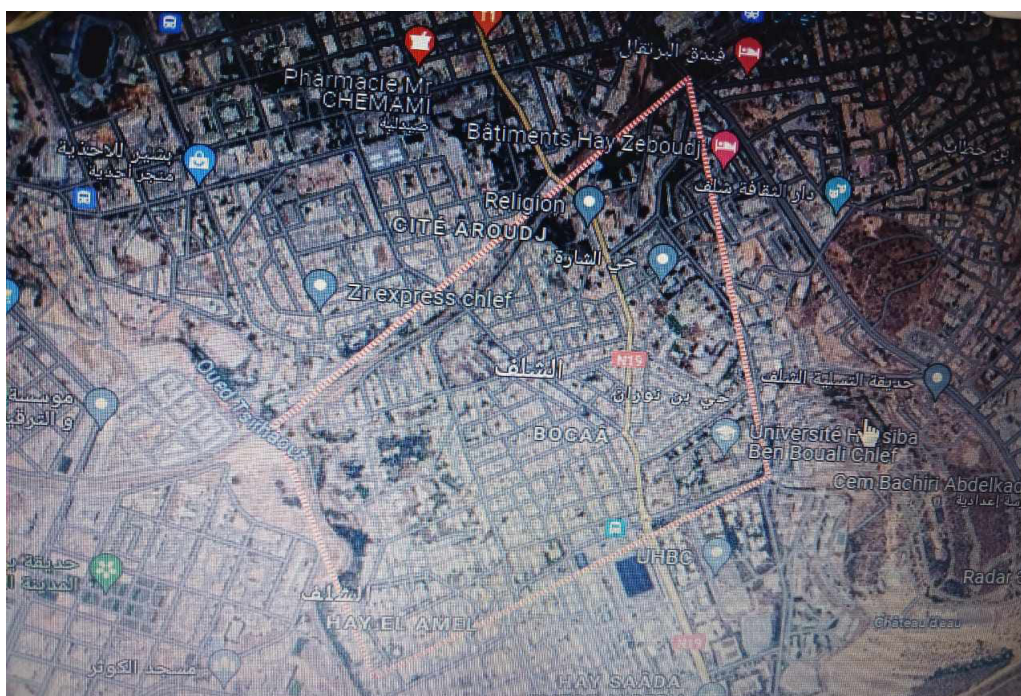
1- صور خريطة ولاية الشلف والأحياء محل الدراسة :



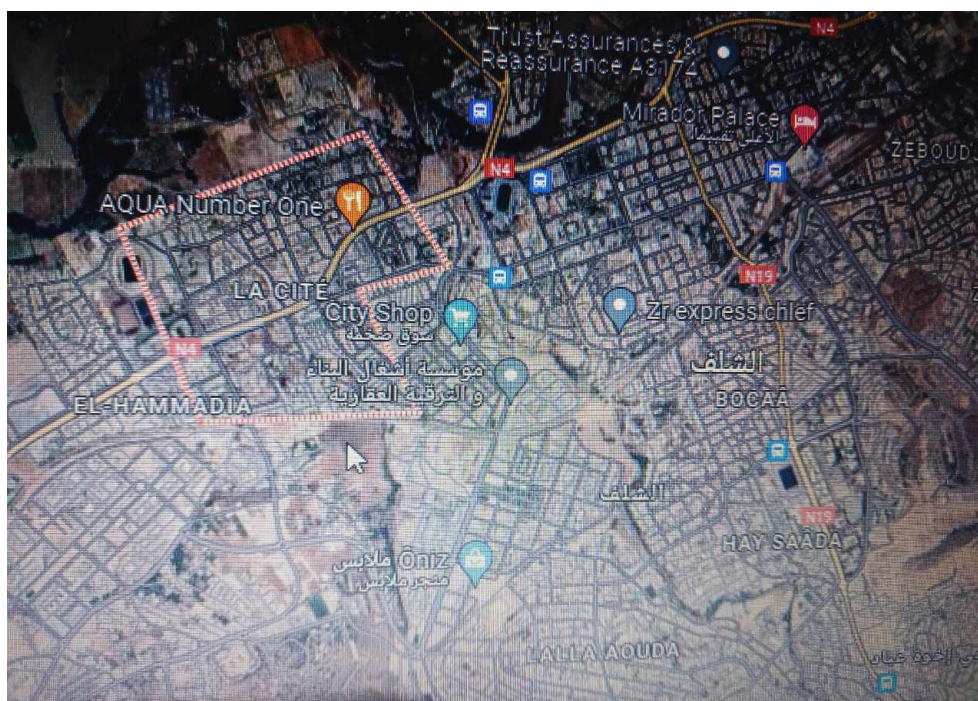
الملحق رقم (01) خريطة ولاية الشلف



الملحق رقم (02) خريطة حي الحرية (الفيرم)



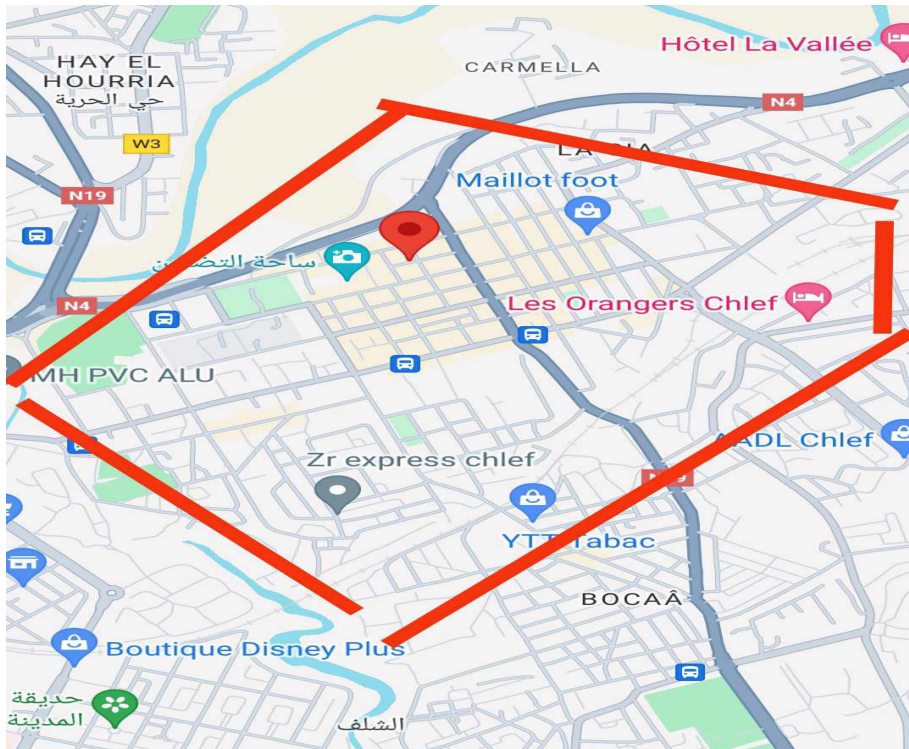
الملحق رقم (03) خريطة حي السلام (البقعة)



الملحق رقم (04) حي الشريف (لاسيتي)

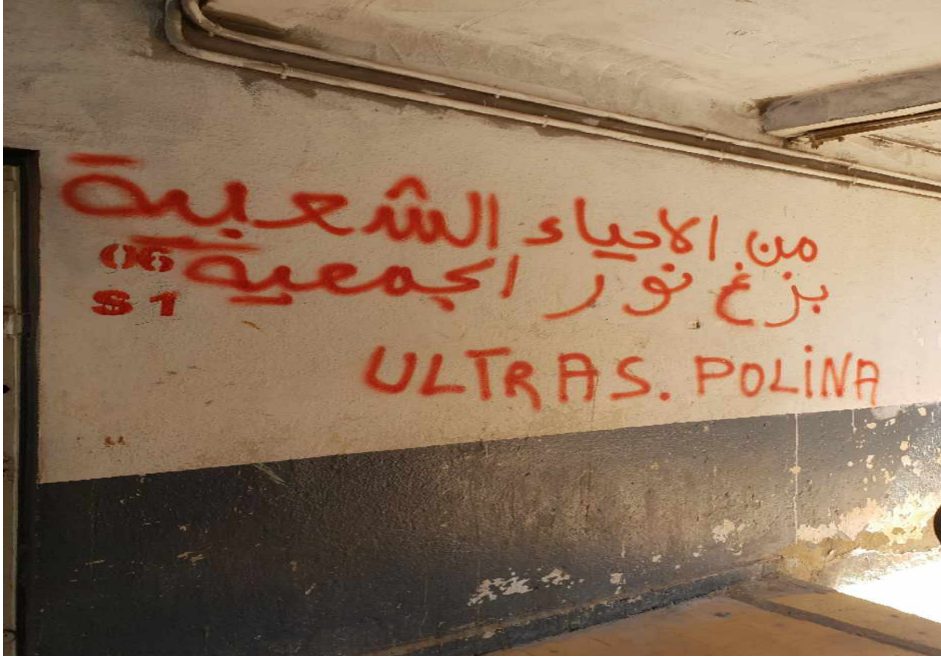


الملحق رقم (05) خريطة حي المصالحة

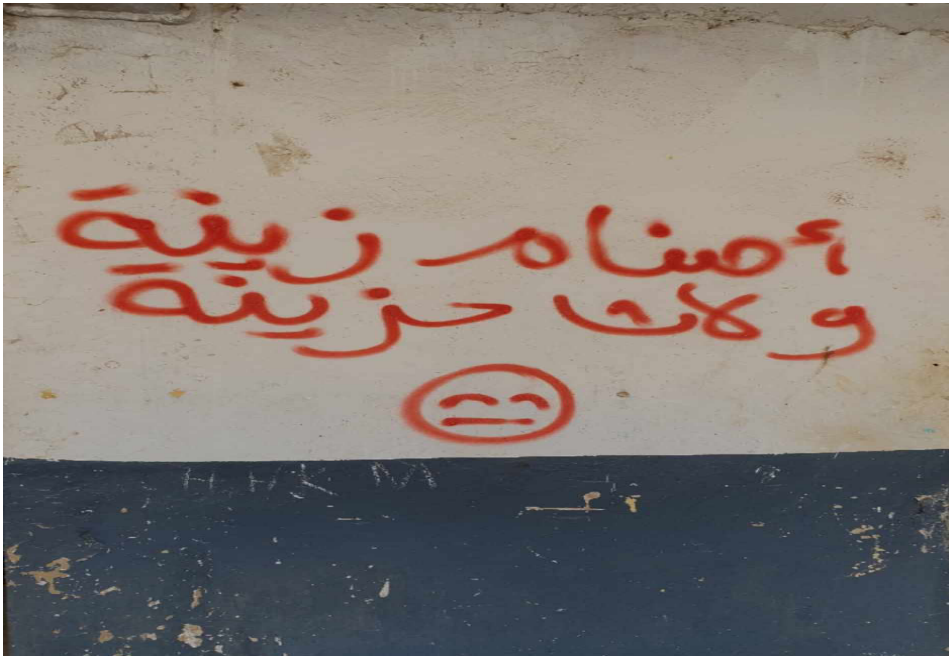


الملحق رقم (06) خريطة الشلف مركز

2- نماذج مصورة للكتابات الحائطية في مدينة الشلف:



الملحق رقم (07) (من الأحياء الشعبية بزغ نور الجمعية Ultras polina) صورة من وسط المدينة ، الشلف مركز



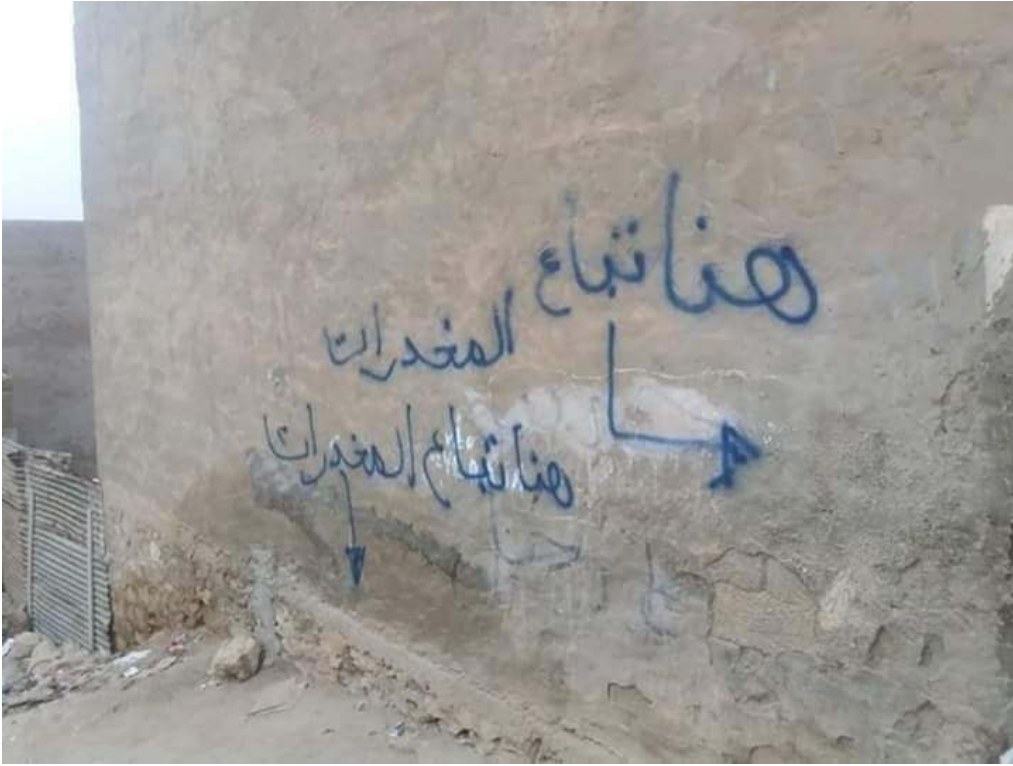
الملحق رقم (08) (أصنام زينة ولات حزينة) التقطت في وسط المدينة



الملحق رقم (09) (Ultras polina 2010) أخذت الصورة في وسط مدينة الشلف



الملحق رقم (10) (الصطاد صطادنا مكش لي يسالنا) صورة من وسط المدينة مقابل فندق
(الهاتف)



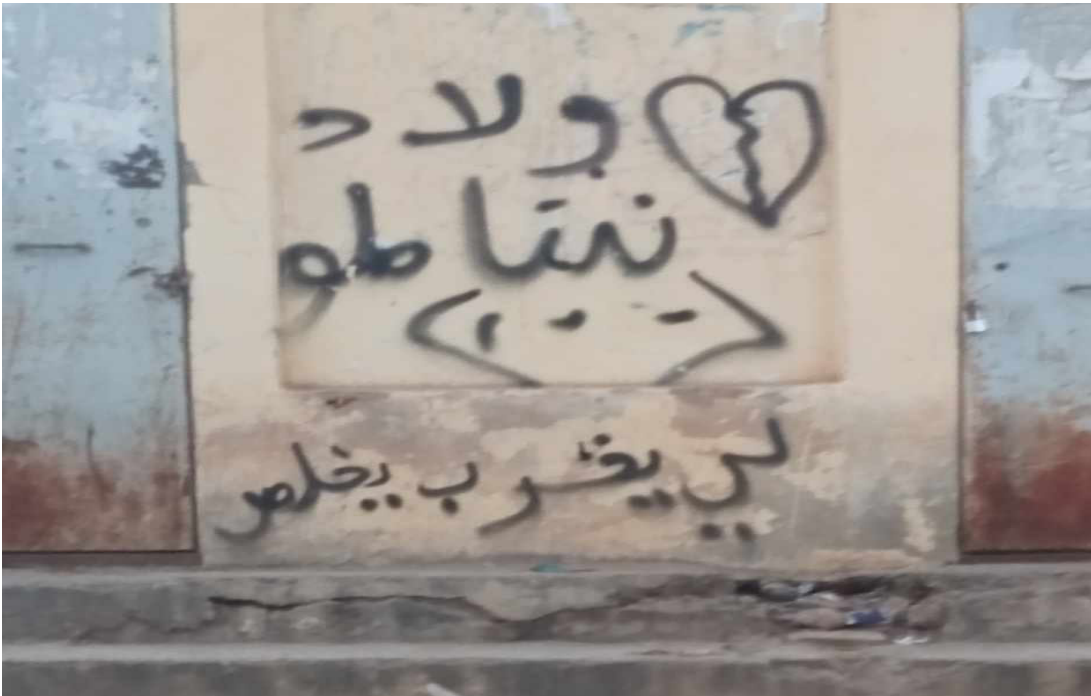
الملحق رقم (11) (هنا تباع المخدرات) صورت بحي لاسيتي



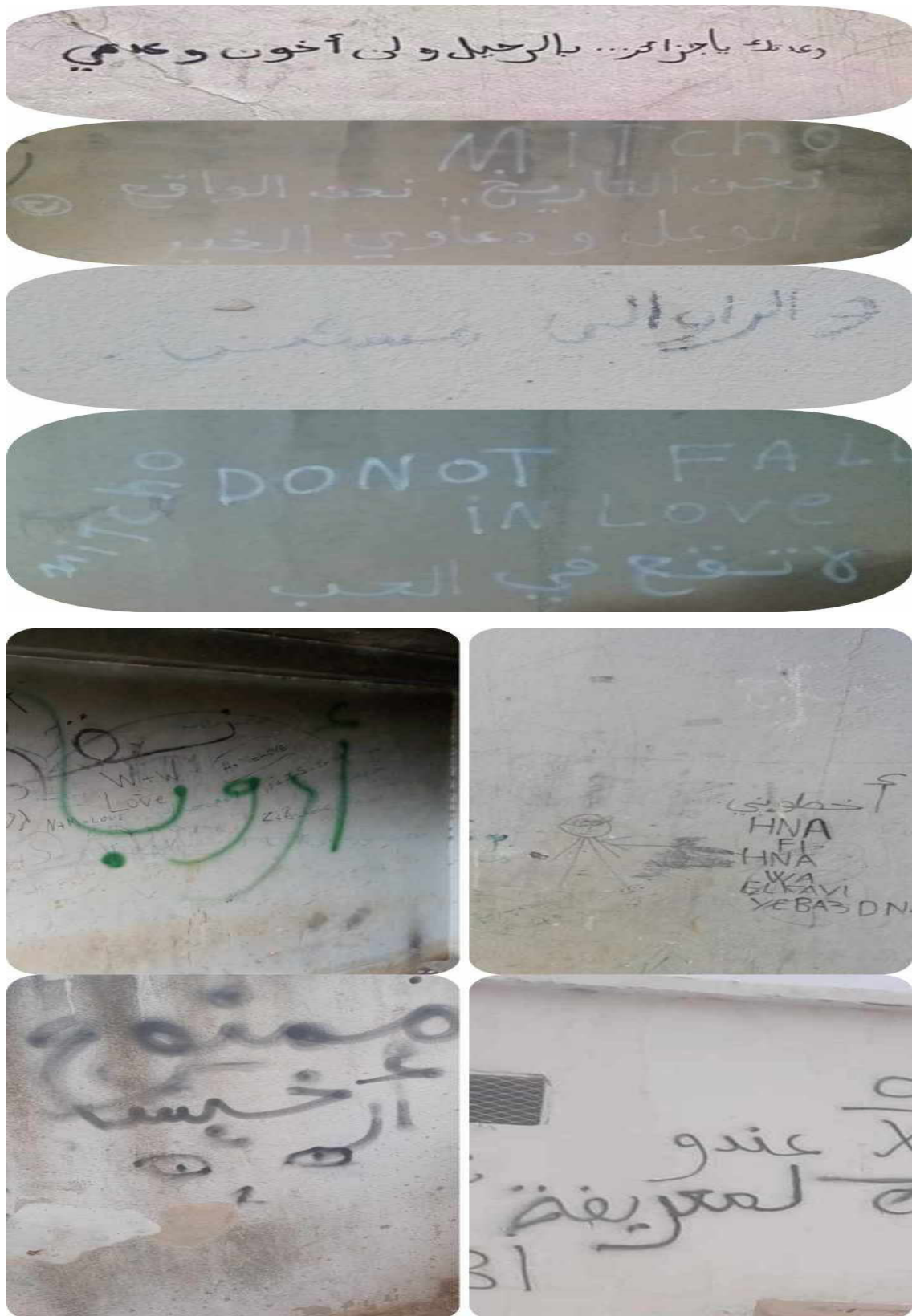
الملحق رقم (12) (هنا يجلس بائعوا المخدرات) تم التقاطها بحي لاسيتي

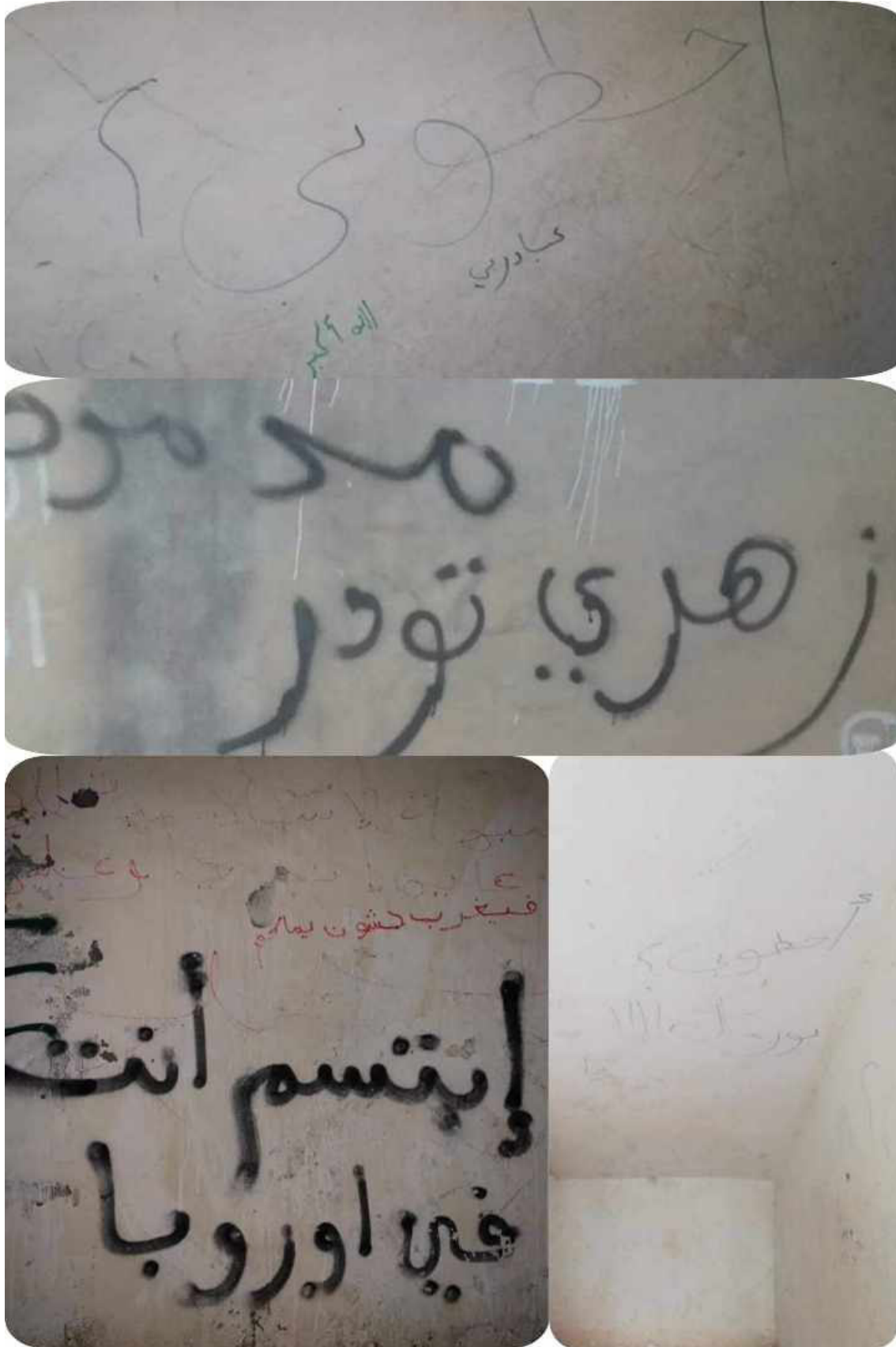


الملحق رقم (13) كتابة حائطية تتضمن سب وشتم تم طمسها من أمام مديرية الشباب والرياضة بالشلف



الملحق رقم (14) (ولاد الشاطو ، لي يقرب يخلص) صورة بحى لاسيتي





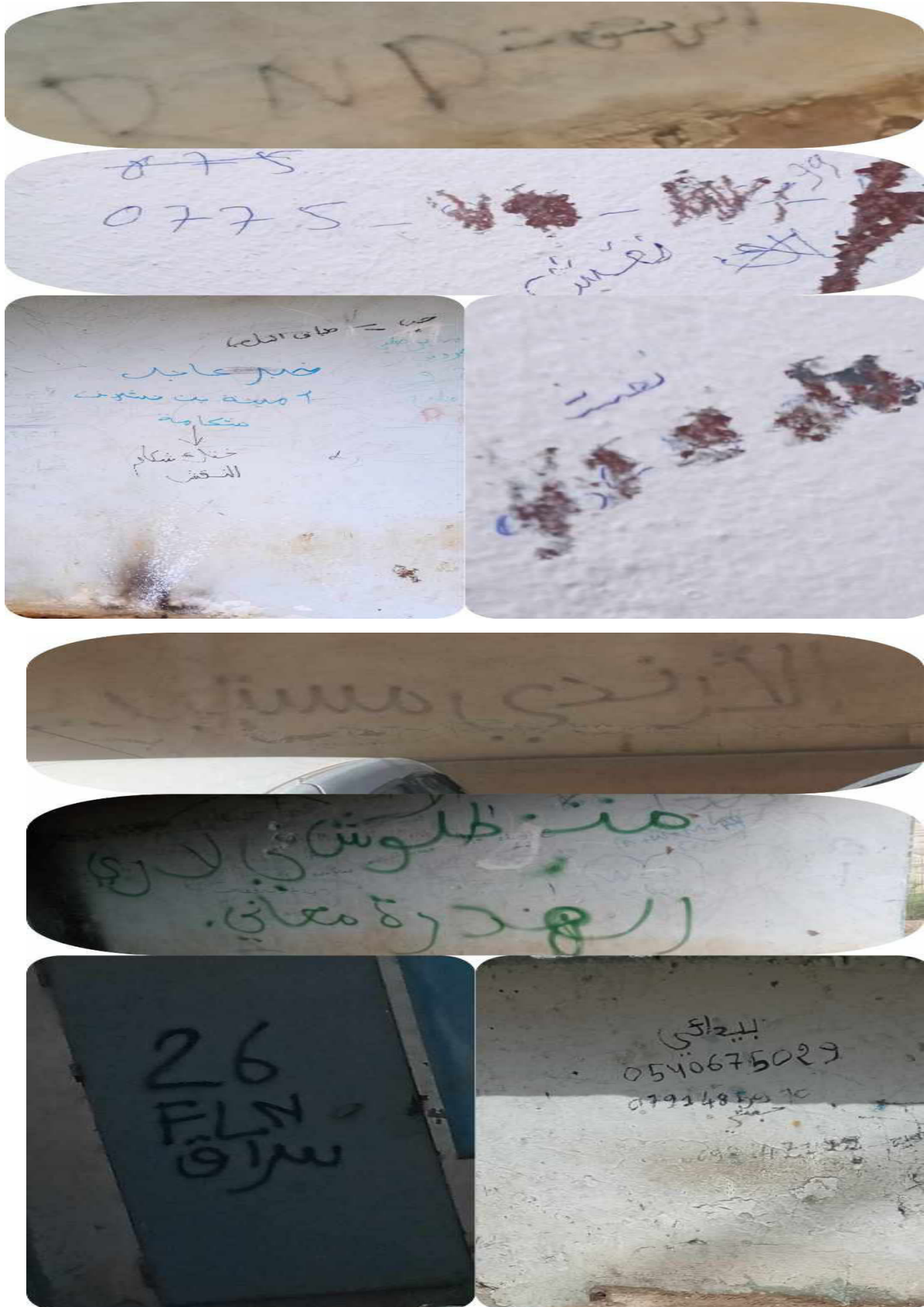
الملحق رقم (15) نماذج من الكتابات الاجتماعية اليومية



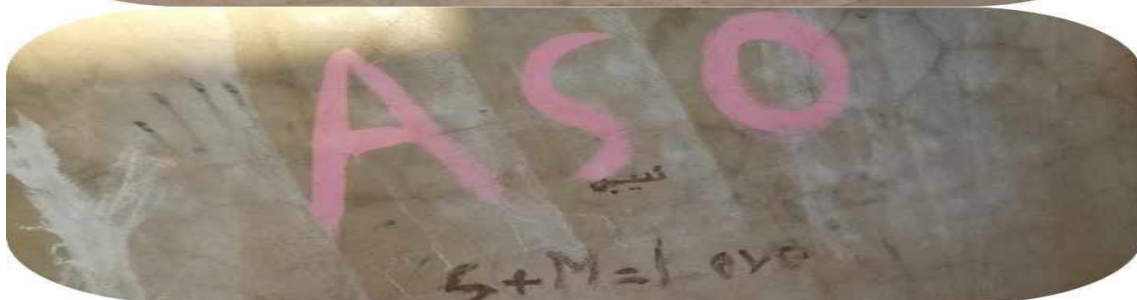
الملحق رقم (16) نماذج من كتابات معاني حميمة وجنسية



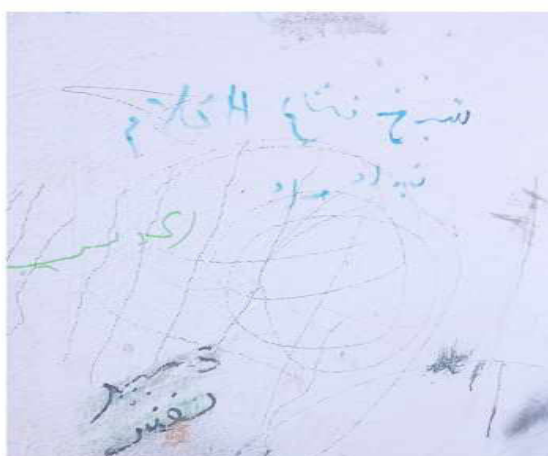
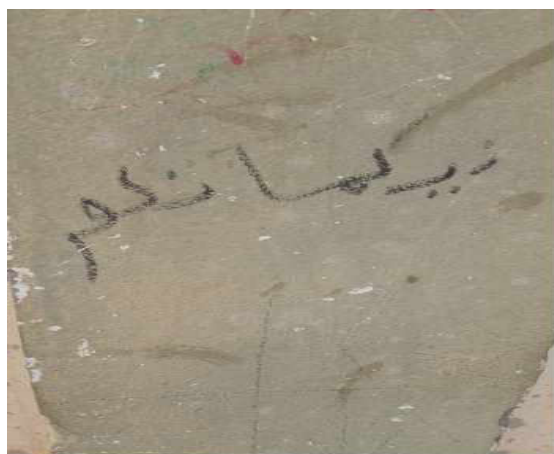
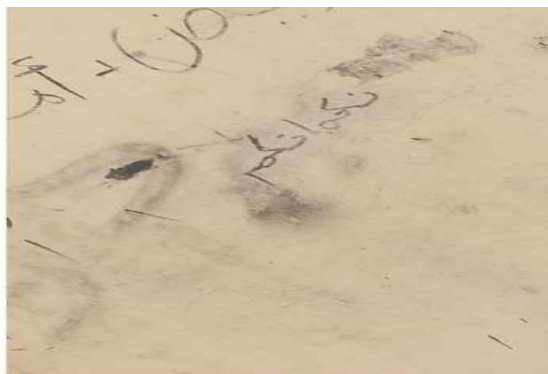
الملحق رقم (17) نماذج من كتابات ذات طابع سياسي



الملحق رقم (18) نماذج من كتابات حائطية مخالفة للقانون



الملحق رقم (19) نماذج من الكتابات الشبابية الرياضية (تعبيرات شباب الألتراس)



الملحق رقم (20) نماذج من كتابات حائطية تحمل سب وشتم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
	شكر وتقدير
	إهداء
	مقدمة
	الفصل الأول: البناء المنهجي
10	1. إشكالية الدراسة
14	2. فرضيات الدراسة
15	3. أسباب اختيار الدراسة
16	4. أهداف الدراسة
16	5. أهمية الدراسة
17	6. الدراسات السابقة
26	7. المقاربات النظرية
36	8. منهجية الدراسة
48	9. مفاهيم الدراسة
	الفصل الثاني: الكتابات الحائطية المفهوم، التاريخ والقضايا
55	تمهيد
55	1-1. مفهوم الكتابات الحائطية
59	2-1. التعريف الإجرائي للكتابات الحائطية
60	3-1. الجدار، التعريف والرمزية

فهرس المحتويات

63	2. الجذور التاريخية للكتابات الحائطية
69	3. الكتابات الحائطية في العالم
69	3-1. الكتابات الحائطية في قارة أمريكا
74	3-2. الكتابات الحائطية في قارة أوروبا
78	3-3. الكتابات الحائطية في العالم العربي
85	3-4. الكتابات الحائطية في إفريقيا
87	4. الكتابات الحائطية في الجزائر
91	4-1. الكتابات الحائطية والقانون
94	5. الأدوات المستخدمة في الكتابات الحائطية
94	5-1. الأصباغ
94	5-2. الأسننسل
95	5-3. أدوات الرش
95	5-3. ملصقات الغرافيتي
96	6. أنواع الكتابات الحائطية
96	6-1. الكتابات الحائطية المكتوبة
96	6-1-1. كتابة الطاك
97	6-1-2. الكتابة بالترديد
97	6-1-3. الكتابات الحائطية متعددة الأدوات
98	6-2. الكتابات الحائطية المرسومة
98	6-2-1. الكتابات الحائطية ثنائية الأبعاد

فهرس المحتويات

98	2-2-6. الكتابات الحائطية ثلاثية الأبعاد
99	3-2-6. الكتابات الحائطية أو الجرافيتي الحُرّ
99	3-6. أشكال الكتابات الحائطية
99	1-3-6. الكتابات الشخصية
100	2-3-6. التقسيم على أساس طبيعة الكتابات
100	أ- كتابات عامة
100	ب- كتابات خاصة
100	7. مواضيع الكتابات الحائطية
100	1-7. الكتابات الاجتماعية
101	2-7. الكتابات السياسية
101	3-7. الكتابات العاطفية
102	4-7. الكتابات الدينية
102	5-7. كتابات الألتراس الرياضية
103	8- التنشئة الاجتماعية والكتابات الحائطية
106	9- المدينة والكتابات الحائطية
106	1-9. المدينة لغة واصطلاحا
110	2-9. الكتابات الحائطية وسوسيولوجيا التحضر
112	3-9. العنف الحضري، قراءة في المفهوم
113	4-9. سوسيولوجيا المكان ودلالته في الكتابات الحائطية
116	5-9. تأثير الكتابات الحائطية على المدينة كفضاء الحضري

فهرس المحتويات

122	خلاصة
الفصل الثالث: مدخل عام حول العنف وعلاقته بالكتابات الحائطية	
124	تمهيد
124	1. مفهوم العنف
124	1-1. مفهوم العنف لغة
125	1-2. مفهوم العنف اصطلاحا
127	1-3. التعريف السوسيولوجي للعنف
127	1-3. التعريف القانوني للعنف
129	2- الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف
129	1-2. الاتجاه البيولوجي
132	2-2. الاتجاه النفسي
141	2-3. الاتجاه الاجتماعي
150	2-4. الاتجاه الأنثروبولوجي
152	3. أبرز أشكال العنف
152	1-3. من حيث المصدر
154	2-3. من حيث نمط سلوك العنف
157	4. عنف اللغة، قراءات متعددة
163	5. العنف وبعض المفاهيم المرتبطة
163	5-1. العنف والكتابات الحائطية
165	5-2. العنف والاغتراب

فهرس المحتويات

168	3-5. العنف والقيّم
169	4-5. العنف ضد المرأة
172	5-5. العنف والمدينة
174	6. العنف الرمزي من خلال الكتابات الحائطية
178	خلاصة
الفصل الرابع: دراسة ميدانية حول الكتابات الحائطية في مدينة الشلف	
180	1. التعريف بمجال الدراسة
180	1-1. موقع الدراسة
180	2-1. مكان إجراء الدراسة
181	2. عرض البيانات
181	2.1. الكتابات الحائطية في مجال البحث
186	2-2. موضوعات العنف في الكتابات الحائطية
197	3-2. لغة الكتابات الحائطية
203	4-2. علاقة الألوان بالكتابات الحائطية
205	5-2. أماكن تواجد الكتابات الحائطية
209	6-2. الأخطاء اللغوية في الكتابات الحائطية
212	7-2. الكتابات الحائطية وتشويه الفضاء العمومي
216	3. نماذج من الكتابات الحائطية في مجال الدراسة
216	3-1. ظاهرة الاحتجاج
231	3-2. الكتابات الحائطية وخطاب المنع

فهرس المحتويات

237	4. خطابات العنف في الكتابة الحائطية
243	5. العنف ضد المرأة من خلال الكتابات الحائطية
243	1-5. ظاهرة التشهير
249	6. نماذج من الكتابات الحائطية والقضايا الاجتماعية
249	1-6. ظاهرة الهجرة غير الشرعية (الحرقة)
256	2-6. ظاهرة الرشوة
259	3-6. ظاهرة الإرهاب والتهديد
260	4-6. ظاهرة سب السلطات العليا
262	5-6. ظاهرة الإخلال بالأمن الوطني والنظام العام
263	6-6. الاحتجاج على السلطة القائمة
264	مناقشة النتائج
273	خاتمة
278	قائمة المصادر والمراجع
306	الملاحق
321	فهرس المحتويات
327	ملخص الدراسة

عنف اللّغة من خلال الكتابات الحائطية : دراسة ميدانية بمدينة الشلف

الملخص:

تعد الكتابات الحائطية ظاهرة اجتماعية وثقافية في المجتمع، حيث تتجلى من خلال خطاب مباشر أو غير مباشر يترجم جملة من الرغبات، التي قد تتناقض مع المنظومة الأخلاقية والقانونية التي تحكم الأفراد، ومن أوجه ذلك ما تعلق بعنف اللّغة، إذ حاولنا من خلال هذه الدراسة تفكيك الظاهرة ودراستها وربطها بمفاهيم عديدة على غرار العنف والتنشئة الاجتماعية وموضع الممارسة من القانون. كما يقع البحث ضمن سوسيولوجيا الجريمة والانحراف، حيث كانت الانطلاقة من اعتبار الكتابة الحائطية ممارسة غير حضارية وتخريبية، ومخالفة للقانون لأنها تمس الممتلكات العامة، فهي جريمة تلحق أضرارا بممتلكات الآخرين. حيث تمثل الكتابات الحائطية دليلاً مادياً يعتد به في إثبات جرائم التشهير والقذف والتهديد...

استعنا بمناهج بحثية ك المنهج الوصفي الذي ساهم في وصف ظاهرة الكتابات الحائطية وصفا موضوعيا بغية تشخيص الملامح الأساسية لها، وكذا المنهج التاريخي الذي ساعدنا على تتبعها في سياقات تاريخية وثقافية واجتماعية، وفي تحليلنا الكيفي للظاهرة تم الاستعانة بالمنهج السيميولوجي حيث تدعمت الدراسة من خلاله في تحليل بعض نماذج الكتابات الحائطية سيميولوجيا، كما تم جمع معلومات بيانات مكتوبة ك الكلمات بهدف الوصول إلى استنتاجات تضيف قيمة لهذه الدراسة من خلال توظيف المنهج الكيفي. وفي خضم هذا تم استعارة أدوات بحثية متعددة كالمقابلة، والملاحظة، وتحليل المضمون.

توصلنا إلى النتائج التالية:

- يؤدي عنف اللّغة في الكتابات الحائطية إلى زيادة التوترات والصراعات داخل المجتمع المحلي من خلال زيادة التوترات والصراعات بين الأفراد والجماعات، وتدهور العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، مع انعكاسات سلبية على السلم الاجتماعي.
- يؤثر على الأفراد الذين يعيشون في بيئة مليئة بتلك الكتابات بعدة طرق من بينها زيادة مستويات الضغط النفسي والقلق، والشعور بالتهديد والخوف، وعن طريق الإحراج أو الضغط النفسي نتيجة للتهديدات أو الإساءة التي يواجهونها من خلال الكتابات الحائطية العدوانية.
- تؤثر بشكل كبير على صورة المدينة من خلال تشويه الجمال البصري، التأثير على الأمان والاستقرار، وكذا السمعة العامة للمدينة.
- تؤدي الكتابات الحائطية العنيفة إلى إثارة قضايا قانونية وأخلاقية، خاصة إذا كانت تحتوي على مضامين تحرض على العنف أو الكراهية، والتمييز العنصري، أو تنتهك حقوق الأفراد مثل: القذف أو الشتم أو الاعتداء على الشخصية، التي قد تكون موضوعة للمساءلة القانونية، مع العديد من المخالفات البيئية.

ختاماً، يؤدي عنف اللغة في الكتابات الحائطية بشكل للتأثير على الصحة الاجتماعية والنفسية للأفراد ويخل بسلامة المجتمعات، من هنا وجب على السلطات المحلية تطبيق القوانين بشكل صارم، للتصدي والتقليل من حجم الظاهرة وتأثيراتها، إذ أن مواجهة هذه الظواهر كعنف اللغة وممارسة الكتابات الحائطية يسهم في بناء بيئة مجتمعية آمنة ومتعددة الثقافات تعزز التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع.

كلمات مفتاحية: عنف اللغة، الكتابات الحائطية، العنف، التنشئة الاجتماعية، علم اجتماع الجريمة والانحراف.

the violence of language through graffiti: A Field Study in The City of Chlef

Abstract:

Graffiti is a social and cultural phenomenon in society, where it manifests through direct or indirect discourse that translates into a set of desires, which may contradict the moral and legal system that governs individuals. One aspect of this is related to the violence of language. Through this study, we have attempted to deconstruct and study the phenomenon and link it to various concepts such as violence, socialization, and the place of practice in law. The research also falls within the sociology of crime and deviance, where the starting point was to consider graffiti as an uncivilized and destructive practice, and a violation of the law because it affects public property. It is a crime that damages the property of others. Graffiti represents material evidence that can be used to prove crimes of defamation, slander, and threats.

A variety of research methods were employed in this study to effectively examine the phenomenon of wall writings. These methods included:

Descriptive Method: This method was utilized to provide an objective description of wall writings, identifying their key characteristics.

Historical Method: This method enabled the tracking of wall writings through historical, cultural, and social contexts, providing a deeper understanding of their evolution and significance.

Semiotics Method: This method was employed in the qualitative analysis of wall writings, allowing for the interpretation of their symbolic meanings and underlying messages.

Qualitative Method: Data was collected in the form of written words to supplement the analysis and draw meaningful conclusions. This involved the application of qualitative research techniques such as interviews, observations, and content analysis.

The following conclusions were reached:

- The use of violent language in graffiti leads to increased tensions and conflicts within the community. This is due to the increased tensions and conflicts between individuals and groups, as well as the deterioration of social relations within the community. This has negative repercussions on social peace.*
- The impact on individuals living in an environment saturated with such writings manifests in several ways, including:*

Increased levels of psychological stress and anxiety: Exposure to these writings can trigger or exacerbate feelings of stress, worry, and unease. The constant presence of these

negative messages can make it difficult for individuals to feel safe and secure in their environment.

- *A sense of threat and fear: The aggressive and intimidating nature of these writings can instill a sense of fear and vulnerability in those who encounter them. The fear of being targeted or victimized by the perpetrators of these messages can significantly impact one's mental and emotional well-being.*

Embarrassment or psychological pressure: The threatening or abusive nature of these writings can also lead to feelings of embarrassment or humiliation. Individuals may feel ashamed or targeted by the messages, and this can cause significant emotional distress.

- *It significantly affects the city's image by distorting its visual beauty, impacting security and stability, as well as the city's overall reputation.*

Vandalism leads to legal and ethical issues, especially if it contains content that incites violence or hatred, racial discrimination, or violates individual rights such as: defamation, insult, or personal assault, which may be subject to legal accountability, along with numerous environmental violations.

In conclusion, the use of violent language in graffiti has a negative impact on the social and psychological health of individuals and disrupts the peace of communities. Therefore, it is imperative for local authorities to strictly enforce laws to combat and reduce the scope of the phenomenon and its effects. Confronting these phenomena, such as language violence and graffiti, contributes to building a safe and multicultural community environment that promotes understanding and cooperation among community members.

Key words: *violence of language, graffiti, violence, socialization, sociology of crime and deviance*